روضة الحبور ومعدن السرور

في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور

تصنيف

العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح بن الأطعاني البسطامي

المتوفى سنة ٨٠٦ هـ

تحقيق ودراسة

أحمد فريد المزيدي

قدم له

الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي

عميد كلية القرآن الكريم بالأزهر الشريف



دارة الكرز
للنشر والتوزيع
email:darat_al_karaz@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

رقم الإيداع: ١٩٧٤٦ /٢٠٠٤

الترقيم الدولي I.S.B.N 977-6156-00-2

طبع في القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـــر

الحمد لله الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد، الفعال في خلقه ما يريد، وهـــو أقرب إليهم من حبل الوريد.

والصلاة والسلام على كنــز الوجــود، ومعـــدن الشــهود، صـــاحب الوسيلة والفضيلة واللواء المحمود، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وورثته الأولياء المتحققين، بكمال التوحيد والتفريد، كالإمام الجنيد والغوث أبي يزيد رضـــي الله تعالى عنهم، وحبانا بذخر عطائهم، ووصلنا بهم في الدنيا ويوم المزيد.

أمـــا بعـــد...

فإن مناقب الصفوة من الأولياء العارفين على التحقيق هي مرايا تنعكس على صفحاتها كمالات هذا الدين الحنيف، وثمار التحقيق بأركانه وشعبه ومُثله العليا في أبهى صورها.

ذلك لأن معالم الإسلام والإيمان والإحسان الوضاءة بما تشتمل عليـــه مـــن منازل وأحوال ومقامات: ما تجسدت بعد سيد الخلـــق ﷺ إلا في شخصـــيات أولئك الصفوة بدءاً من سيدنا أبي بكر [illegible] الراشدين مع آل بيـــت النبـــوة الأطهار، ثم سلاسل الأولياء بما تضمن من أقطاب وأفراد وأئمة وأبدال وأوتـــاد ونجباء ونقباء.. ففي هؤلاء وأولئك تجسدت عظمة الإسلام بأروع مجاليها!!

وإن الذين ابتليت بهم الأمة منذ عدة قـــرون مـــن الـــذين حُرمـــوا مـــن مشرب القوم الصوفية، فعكروا صفاء مشارب السواد الأعظم منها بالإنكار على مسالك الأولياء الأخيار، وسخروا طاقاتهم لحجب شموس الهداية في سماء الأمـــة، وحالوا بينها وبين نواظر النشئ والدهماء، واخترقوا صفوف العلمـــاء والـــدعاة، وليس لهم إلا همٌ واحدٌ هو محو اسم التصوف والصوفية من الوجود - لا مكنهم الله من ذلك - هؤلاء هم الذين طغوا على روحانية الإسلام وبدَّدوا أروع مُثلـــه ومثاليات عظمته بطمس الحقائق وتـــزييف المفاهيم، والحيلولة بين سواد الأمـــة

وبين الرموز العرفانية المثلى، بل وبين أئمة أهل السنة والجماعة كالإمام الأشعري والإمام الماتريدي، وإمام الحرمين، وحجة الإسلام الغزالي، والإمــام الشــعراني وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فحينما تنهض البقية الصالحة من ورثة أهل الحق والتحقيق لتبعث الكنــوز المطمورة من سير ومناقب أئمة التحقيق والولاية كسيد الطائفة الصوفية الإمــام الجنيد، وسلطان العارفين سيدي أبي يزيد البسطامي رضوان الله عليهما.

فإن هذا لا شك عمل جليل وإنجاز طيب مبارك يسهم في تصحيح النظــرة إلى أقطاب المعرفة، وتوثيق الصلة بأهل الحضرة الإلهية وحملة العلوم الاصــطفائية على أنه مما يجب التنويه به:

أن مرامي عبارات أهل التحقيق بعيدة المدى، وإن كان بعضها في المتنــاول لمن لديه مصداقية بمعرف الخاصة، فمتى وجد القارئ غموضاً أو إشكالاً عليه في بعض المعاني، فإنه إما أن يسلك مسلك التفويض في معرفتها، حتى يفتح الله عليه بذلك.

وإما أن يرجع إلى متخصص في فهم عبارات ومصطلحات الصوفية.

والمرجع الأساسي: كتاب الله المجيد وسنة رســوله ﷺ، ثم إنــه لا شــك سيحظى القلب والعقل والوجدان بالتعايش مع أروع المفاهيم في المعرفة والسلوك وأسرار الحقائق مع قطبين عظميين هما: سيدي الإمام أبو يزيد البسطامي الملقــب «سلطان العارفين» والذي كان يُطلق عليه الإمام محي الدين بن عــربي قــدس الله سره «أبا يزيد الأكبر» لعلو مرقاه في التحقيق والمعرفة، وسيد الطائفــة الصــوفية سيدي أبو القاسم الجنيد البغدادي رضوان الله تعالى عليهما.

فهي صحبة النور مع القطبين النيرين:

«الجنيد»، و«طيفور» في الأُفق الأعلى من سماء المعرفة، في «روضة الحبور ومعــدن السرور» !!

أسأل الله تعالى أنه يرزقنا رؤية الحق والحقيقة، وأن يسقي ذواتنا من ذايـــتي القطبين المباركين، لنحظى بمعيتها المشرّفة في الدارين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

أ.د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي «النقشبندي»

عميد كلية القرآن الكريم بجامعة الأزهر «فرع طنطا»

بالرحاب الزينبي المبارك بالقاهرة

في ٦ شعبان ١٤٢٥هـــ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي منح أولياءه جزيل عطائه، ووهب أصفياءه جليل حبائه، وتجلى لهم بمظهر أسمائه، فتاهت عقولهم في مشاهدة عظمته وكبريائه، وطافت أرواحهم هائمة في قدس سنائه، وأفناهم عن أنفسهم فلم يشهدوا سواه في أرضه وسمائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخرها ليوم لقائه، ونستوجب بها جميل جزائه، أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل رسله وأنبيائه، أفاض عليه مولاه من أنواع العلوم والمعارف ما تنوء الجبال الشم بحمل أعبائه، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاما خالدين مع خلود الدهر.

باقين بعد فنائه، ورضي الله عن آله الكرام حماة الدين، الدافعين عنه بالسيف والبرهان حملات أعدائه، وعن أصحابه الفخام، والتابعين لهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

أما بعد..

وإن المطلع على تاريخ الإسلام وتراجم رجاله، يجد نفسه وسط بحر زاخر من الشخصيات اللامعة، والنجوم الساطعة في شتى العلوم والفنون، وإن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة إلى نظرة صحيحة في تراثها، نظرة تعيد الأمور إلى نصابها، وتوضح الرؤية الإسلامية للتاريخ، وفق المنهج المتميز المعتمد على الشريعة والحقيقة.

والواقع أن أهم ما يميز التاريخ الإسلامي عن غيره:

إنه تاريخ دعوة، يرتبط بها، وترتبط به، بمعنى أن التصوف هو ركن من أركان الدين، وجزء متمم بمقامات اليقين، فمبنى الدين على ثلاثة أركان:

١- الإيمان.

٢- الإسلام.

٣- الإحسان.

والتصوف هو مقام الإحسان.

فإن التصوف كبير قدره جليل خطره عظيم وقعه، عميم نفعه، أنواره لامعة، وأثماره يانعة، واديه رطب خصيب، وناديه يندو لقاصديه من كل خير بنصيب، يزكي النفس من الدنس، ويطهر الأنفاس من الأرجاس، ويرقي الأرواح إلى مراقي الفلاح، ويوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمن.

ولما كان هذا الكتاب العظيم حاوياً للإسرار، ومشعاً للأنوار، يذكر أحوال ومقامات أولياء خصهم الله بالاختيار، وكان من أجدرهم بالذكر قطب الأولياء الصالحين سيدي أبي يزيد البسطامي، وكذلك تاج العارفين أبي القاسم الجنيد، وأشايخهما، وأتباعهما، قدس الله أسرارهم ورضي عنهم وعنا بهم.

فسارعت إلى تحقيق هذا الكتاب ليكون إضافة جديدة لمكتبة التراث الإسلامي الصوفي، ولا شك أنه من الكتب التي تستحق الاهتمام والاعتناء، حيث اعتباره من أمهات ما صنف في نوعه بهذه الصورة الظاهر بها.

فهو فريد في تضمينه سلسلة طريق السادة الأُول، من كانوا وما زالوا نبراس العقول، ومرآة الأرواح، و سلوة أنفاس العارفين.

فهو بحق تبصرة للمبتدى، وتذكرة للمنتهى.

وبحق قد أجاد مصنفه وأفاد، وها هو بين أيدي القراء، ليضم إلى مكتبة أهل العلم باحثي الحقيقة المحمدية.

راجين من الله ﷻ أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والإهداء إلى الشيخ الإمام عظيم الشأن، رفيع القدر، عالي الجناب، شيخ الشريعة والحقيقة، مربي الأولياء، وهادي الأصفياء، جامع شمل الأحباء إلى طريق الله.

* * *

ترجمة المصنف

هو الشيخ الإمام الفقيه العلامة الصوفي:

محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح ابن أبي سالم، شمس الدين بن الأطْعاني البسطامي الحلبي، والأطعاني — بفتح الهمزة وسكون المهملة بعدها مهملة.

ولد في حلب، في شعبان سنة ٧٤٨ هـ.

حفظ المنهاج، وتفقه على الزين الباريني، وكان ولده ينوب في الحكم في بعض البلاد، ففرض عليه أن يكون عوضه بعد أن يموت، وقد عرضت عليه نيابة القضاء فامتنع وتزهد، وسافر إلى القدس، فلبس خرقة التصوف من عبد الله البسطامي، وجاور بمكة مراراً، وانقطع بحلب في زاويته المعروفة خارج باب الجنان، قال الحافظ: وكان ديناً خيراً مقبلاً على شأنه، بهي المنظر، حسن المخبر، أثنى عليه الشيخ برهان الدين المحدث وغيره من الفضلاء.

١- روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد وأبي يزيد طيفور «كتابنا هذا».

٢- تذكرة المريد.

٣- تحفة الطالب المستهام في رؤية النبي عليه الصلاة والسلام.

٤- بغية الطالب لأعز المطالب.

٥- المقدمة في أصول الدين.

وفاته: توفي رحمه الله في شهر القعدة، سنة ٨٠٧ هـ.

انظر: إنباء الغمر (٥/٢٥٢)، وتاريخ ابن قاضي شهبة (٢٦٠/أ)، الضوء اللامع (٥/٢٦٧)، شذرات الذهب (٧/٦٩)، الأعلام للزركلي (٥/٦٧٥)، ذيل الدر الكامنة لابن حجر (ص ١٠٨)، (٢٤٠)، بتحقيقنا، طبع دار الكتب العلمية، كشف الظنون (١/٩٢٥)، وفهرست تاريخ معهد المخطوطات بالقاهرة (٣/١٤٦)

وصف المخطوط

تم تحقيق الكتاب معتمداً على نسختين وحيدتين، لا أعلم لهما نسخة ثالثة.

الأولى:

من محفوظات مكتبة مراد ملا (١٢٤٩)، وهي بخط المؤلف، كتبها في الزاوية البسطامية بحلب، وذلك سنة ٧٩٩هـ، بقلم نسخ معتاد، وهي مسودة المصنف، وتقع في ١٠١ ورقة ذات وجهين، وعدد الأسطر ١٩ سطراً تقريباً، وبها آثار تلويث وذهاب لمداد الحمرة الذي كتبت به رؤوس التراجم والمواضيع وغير ذلك.

وقد استدركت بعض الكلمات الزائدة أو الساقطة، وذلك بقلم المصنف أو أحد تلامذته بحضرته، والله أعلم.

الثانية:

نسخة أحمد الثالث، تقع تحت رقم (٣٠٠٧)، وعدد أورقها ٧٨ ورقة ذات وجهين، وعدد الأسطر ٢٥ سطراً تقريباً، وقد كتبت سنة ٨٧٤ هـ، وخطها نسخي بقلم معتاد، وهذه النسخة بالرغم من وضوحها نوعاً ما إلا أنها بها كثير من السقط، وتصرف قليل في صياغة بعض الألفاظ.

* * *

منهج التحقيق

إن المنهج المتخذ هو الحرص على ظهور النص سليماً واضحاً، ولذلك نجمل الخطوات في الآتي: ◦

أولاً: نسخ المخطوط الأصلي، ثم مقابلته على النسخة الأخرى، وإثبات أهم الفروق، مراعاة عدم الحشو والإطالة.

ثانياً: ضبط النص ضبطاً علمياً صحيحاً، حيث عرضته على المصادر التاريخية والصوفية، حتى يبدو خالياً من الأخطاء، إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: تفصيل النص وترقيمه، وجعله موافقاً ما عليه أصول الكتابة والطباعة الآن.

رابعاً: عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وإثبات ذلك في المتن.

خامساً: تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب من مصادرها.

سادساً: توثيق التراجم من أهم المصادر الخاصة بها، قدر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

سابعاً: التعليق على بعض المواضع والألفاظ المبهمة والمهمة.

ثامناً: عمل مقدمة للتحقيق تشمل التعريف للكتاب وأهميته وترجمة للمصنف ووصف المخطوط ومنهج التحقيق، وكذلك فهرست تعريفي، حتى يسهل على القارئ الاستفادة منه.

تاسعاً: صف الكتاب وجمعه ومراجعته ليخرج في هذه الصورة المرجوة.

وآخراً أسأل الله التوفيق والسداد والقبول، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو الحسن أحمد فريد المزيدى
كلية أصول الدين — جامعة الأزهر — القاهرة
وباحث المخطوطات العربية
دار الحقيقة المحمدية لتحقيق التراث
جوال: ٠١٠١٤٦٣٠٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوب أوليائه العارفين بالنور، ومنحهم ذكره
ومحبته فعمارة ذكرهم يعلو على مر الدهور، وصفاهم فصفوا
وصافوا فلقب لهم بالتسمية بالصوفية منشورة، وشرفهم من بين
خلقه بياء النداء والإضافة في الكتاب المسطور، وبشرهم بقوله
لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهو العزيز الغفور، أحمده
حمدًا يعجز عن حصره السطور، وأشكره شكرًا دائمًا وهو الغفور
الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخرها [illegible]
معهم يوم العرض والنشور، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله [illegible]
المحبور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تنقذ من الويل
والثبور، أما بعد [illegible] اعلموا أيها الطالبون العابدون والأحباب
[illegible] أنه لما أنعم الله علي بتوفيقه والإتيان لسلوك طريقته
وشرفني بأن جعلني من جملة من أدخل [illegible]
محمد إلى الشرف التام لانتمائي إلى جنابه فلله الحمد والمنة على نعمه
النعم وسعد القائل

لقد [illegible] إلى مناقب البكم وإن بكم أدعى إليه وأعرف
إذا الملوك لكم دون قوم تشرفوا فلي شرف منكم أجل وأشرف

ولله در القائل أيضًا

لي [illegible] من عزتهم أقدامهم فوق الجباه إن لم أكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه

صورة الصفحة الأولى من نسخة مراد ملا

من مسائل المستحاضة رحمة الله عليه، توفي بقزوين سنة عشرين وخمسمائة
وكان شيخ الشيخ أبي النجيب السهروردي. الفصل الخامس
في ذكر مناقب الشيخ أبي النجيب السهروردي قدس الله روحه. هو الشيخ
الكبير الولي الشهير العارف الخبير ذو المقامات العلية والأحوال
السنية والأنفاس الصادقة والكرامات الخارقة والتصانيف المنيفة
الوثيقة في الشريعة والحقيقة. ضياء الدين ويلقب أيضاً نجيب الدين
أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبي جعفر المعروف
بعمويه بفتح العين وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وفتح الياء، ابن
سعد بن الحسين بن القسم بن النضر بن القسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن القسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه القرشي التيمي البكري
السهروردي بضم السين والواو، بليدة عند زنجان من عراق العجم
الفقيه الصوفي الواعظ كان من أعيان المحققين وأعلام العلماء العاملين
والصفوة العارفين. وهو أحد من درس بالنظامية على مذهب
الشافعي وتصدر للفتاوى ووضع التصانيف منها آداب التصوف
كتاب البيان وكتاب آداب المريدين. وكان يلقب مفتي العراقين
وقدوة الفريقين انعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام ووضع
الله له في الصدور القبول التام. وكان يتكلم على أحوال القوم ويتطيلس
ويلبس لباس العلماء ويركب البغلة وترفع بين يديه الغاشية على ما
نقله بعض العلماء في تصنيفه. تفقه على أسعد الميهني بالنظامية وقرأ

صورة صفحة من وسط المخطوط من نسخة مراد ملا

وتعدم من عهاط انرا بحل اشارة ذوق ذ تهيجه
بين الحباب وعن اللبات بعدا غاية بعلم الطريقة ومن شعره
احبابنا دمت حبا ومنا وان كنتوا اكرملتم في هجا بهما
وعدتم قلبي تسو في البكم غشي القاتكم وحي يا دنيا
ودل خروجي من حاسي لاني نفدت بها فاكنت فيهم باديا
واحوان صدق لسانه قربتهم وكانوا بنا دون في كل شراد بيا
لقد طمس داري وفاضت عدي وزال الانس كان توري زنادنيا
فيا ليت اراح الله بيننا شمعت لبشيرا تهوي بنا دنيا
قال الحافظ ابو المواهب الحسن بن صصرى توفي ابو النجيب رحمه الله في جمادى
الاخرة من سنة ثلاث وستين وخمس مائة بعد عوده من الشام الى العراق
وخروجه الى الحج وعوده منه وقد قارب الثمانين لانه اخبران مولده
سنة تسعين واربعمائة بشهرورد وقال ابن عساكر ليلة السبت ثامن
عشر جمادى الاخرة من سنة ثلاث وستين وخمس مائة وقال العماد الشيخ
بن باطيش قرات بخط الحافظ ابي الفرج بن الجوزي توفي ابو النجيب يوم الجمعة
وقت العصر سابع عشر جمادى الاخرة من سنة ثلاث وستين وخمس مائة
ودفن بحرة العدس برباطه على شاطئ دجلة وذكر صدقة ابن الحسين في تاريخه توفي
عشية يوم الجمعة ثامن عشر الشهر المذكور وصلي عليه يوم السبت برباطه
في ذكر مناقب الشيخ شهاب الدين السهروردي
قدس الله روحه هو الشيخ الجليل السيد الجميل استاذ زمانه وفريد
اوانه مطلع الانوار ومنبع الاسرار دليل الطريقة وترجمان الحقيقة
استاذ الشيوخ الاكابر الجامع بين علمي الباطن والظاهر قدوة العارفين
وعمدة السالكين العالم الرباني المربي ابو حفص عمر بن محمد البكري الصوفي
السهروردي مصنف كتاب عوارف المعارف المشتمل على مكنونات المعارف
ومصونات المحاسن واللطائف وغيره ذلك من التصانيف الحسنة الجامعة بين
قواعد الملاحة وقواعد الفصاحة وحلاوة العبارة المشتملة على درر المعارف

صورة صفحة من نسخة أحمد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بهج قلوب أوليائه العارفين بالنور، ومنحهم ذكره ومحبته فصار ذكرهم يعلو على ممر الدهور، وصفّاهم فصفوا وصافوا، فكتب لهم بالتسمية بالصوفية منشوراً، وشرفهم من بين خلقه بالنداء، والإضافة في الكتاب المسطور، وبشرهم بقوله:

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٤] أحمده حمداً تعجز عن حصره السطور، وأشكره شكرا دائماً وهو الغفور الشكور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدخل قائلها معهم يوم العرض والنشور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المتوج المحبور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تنقذ من الويل والثبور.

أما بعد..

اعلموا أيها الطالبون الصادقون والأصحاب الأخصون أنه لما أنعم الله عليّ بتوفيقه وألهمني لسلوك طريقه وشرفني بأن جعلني من جملة من أدخله تحت صحبة أوليائه وإرادة شيخي قدس الله روحه فحصل لي الشرف التام لانتمائي إلى جنابه فلله الحمد والمنة على هذه النعمة.

ولله در القائل:

كفى شرفاً أني مضافٌ إليكم ... وأني بكم أدعى وأعرفُ
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا ... فلي شرف منكم أجلُّ وأشرفُ

ولله در القائل أيضاً: -

لي شارة من عزهم أقدامهم فوق الجباه ... إن لم أكن منهم فلي في ذكرهم عزٌّ وجاه

[ق أ/ب] وكانت نسبة طريقته قدس الله روحه متصلة إلى أبي يزيد البسطامي وإلى الجنيد البغدادي قدس الله روحيهما، فاستخرت الله تعالى في التقاط بعض مناقب هذين الشيخين، وبعض الشيوخ الذين هم في سلسلة النسبة

إليهم ما أجرى الله على ألسنتهم من الحكم والمعارف الصادمة عن القلوب المنورة المصفاة عن دنس الأغيار لعلي أن أُكتب في ديوان محبيهم ومكثري سوادهم، وقد ورد: «**من أحب قوماً فهو منهم، ومن كثر سواد قوم فهو منهم**[1]» ولعل أن ينتفع بذلك مريد صادق ويقوى يقينه وتتمكن جأشه، وقد سُئل سيد الطائفة الجنيد قدس الله روحه ما للمريدين في مجارات الحكايات، يعني حكايات الصالحين؟.

فقال: الحكايات جندٌ من جنود الله يُقوي بها قلوب المريدين، فقيل له: فهل في ذلك شاهد؟.

قال: قوله تعالى:

﴿**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**[2]﴾ [هود: ١٢٠].

والتقطت ذلك **[من]** كتب الأئمة الأعلام ككتاب النور لأبي محمد بن علي السهلجي[3]، وكتاب مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار للشيخ أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس[4] وهو جمعه من كتب معتمدة، [عديدة[5]]:

وكتاب اللمع لأبي نصر السراج[6]، وبهجة الأسرار لابن معضاد في مناقب سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه[1]، وكتاب العوارف للشيخ شهاب الدين السهروردي قدس الله روحه[2].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد رواه الحاكم في المستدرك (١٩/٣)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢٦٥/٢، ٢٩٠)، بنحوه.

(٢) أورده اليافعي في روض الرياحين (ص٥)، والطوسي في اللمع (ص٢٧٥)، والقشيري في الرسالة (٣٤٧/٢)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢٦٥/٢) والمناوي في الكواكب الدرية (٥٧٧/١).

(٣) تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

(٤) ويوجد منه نسخة بمعهد المخطوطات العربية باسم «المنتقى من مناقب الأبرار» ونسخة بدار الكتب المصرية، منسوبة لسيدي محي الدين بن عربي، وقد حققه طارق فتحي لدار الكتب العلمية.

(٥) ما بين [ ] سقط من (ح).

(٦) أزهى طبعات الكتاب، تحقيق د.عبد الحليم محمود وطه سرور بدار الكتب الحديثة مصر ١٩٦٠م، وقد طبع ببيروت وإيران.

وكتاب شرح التعرف للشيخ علاء الدين القونوي[٣]، وكتاب لطائف المنن للشيخ تاج الدين بن عطاء الله [٤]، وكتاب مجمع الأخبار [ق٢/أ] للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الحسن الحسيني الشافعي[٥]، وكتاب تهذيب الأسماء واللغات للشيخ محي الدين النووي[٦]، وكتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان للشيخ عفيف الدين عبد الله اليافعي[٧]، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان[٨]، وكتاب بغية الطلب في تاريخ مدينة حلب للصاحب كمال الدين بن العديم[٩]قدس الله أرواحهم ورحمهم، وغير هذه الكتب.

وسميته: روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب سيد الطائفة الجنيد وأبي يزيد طيفور. وأشياخهما وأتباعهما ذوي الأحوال السنية والنور، ورتبت الكتاب على بابين: **الباب الأول ينقسم على ثلاثة أقسام** :

القسم الأول: في ذكر مناقب الشيخ أبي يزيد.

القسم الثاني: في ذكر مناقب أشياخه من أهل البيت وهو مشتمل على فصول:

الأول: في مناقب شيخه جعفر الصادق.

الثاني: في مناقب أبيه محمد الباقر.

الثالث: في مناقب أبيه زين العابدين.

---

(١) هو بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، لنور الدين أبي الحسن على بن يوسف بن حريز بن معضاد المعروف بالشطنوفي، طبع بدار الكتب العلمية بيروت بتحقيقنا سنة ٢٠٠٢م.

(٢) طبع بالمطبعة الأزهرية سنة ١٨٧٧م، وكذلك في ١٨٩٨م، هامش إحياء إحياء علوم، ثم بالمطبعة التجارية ١٩٦٦م، وحققه د.عبد الحليم محمود، ومحمود الشريف، في مطبعة السعادة سنة ١٩٧١م، ثم طبعات أخري في بيروت، ومصر، والإمارات العربية.

(٣) وهو حسن التصرف بشرح التعرف للكلاباذي، يسر الله لنا تحقيقه .

(٤) طبع عدة طبعات بمصر وبيروت.

(٥) توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

(٦) طبع بمصر قديماً، مطبعة بولاق، ثم مصوراً، في مصر وبيروت.

(٧) طبع بمصر قديماً، ثم حديثاً في بيروت.

(٨) طبع بمصر وبيروت.

(٩) طبع ببيروت، ودمشق.

الرابع: في مناقب أبيه الحسين بن علي.

الخامس: في مناقب أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعنهم أجمعين.

والقسم الثالث: في ذكر مريديه وهو يشتمل على فصول.

الباب الثاني: وهو مشتمل على ثلاثة أقسام أيضاً:

القسم الأول: في ذكر مناقب الجنيد قدس الله روحه.

القسم الثاني: في ذكر أشياخه وهو مشتمل على فصول «وخاتمة»

الأول: في مناقب شيخه سري السقطي.

والثاني: في مناقب شيخه معروف الكرخي.

والثالث: [ق٢/ ب] في مناقب شيخه داود الطائي.

والرابع: في مناقب شيخه حبيب العجمي.

والخامس: في مناقب شيخه الحسن البصري وهو صحب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

والسادس: في ذكر مناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

والخاتمة فهي مشتملة على فصلين:

الأول: في ذكر علي الرضا.

الثاني: في ذكر «مناقب» أبيه موسى الكاظم.

والقسم الثالث: مشتمل على عشرة فصول «في ذكر أتباعه في هذه السلسلة» وتنبيهات وخاتمة:

الأول: في ذكر مناقب الشيخ ممشاذ الدينوري.

الثاني: في ذكر مريده الشيخ أحمد الأسود.

الثالث: في ذكر مريده الشيخ فرج الزنجاني.

الرابع: في ذكر الشيخ أحمد الغزالي.

الخامس: في ذكر مريده الشيخ أبي النجيب السهرودي.

السادس: في ذكر مريده وابن أخيه الشيخ شهاب الدين السهرودي.

السابع: في ذكر قوام الدين البسطامي.

والثامن: في ذكر مريده الشيخ علاء الدين البسطامي قدس الله أرواحهم.

التاسع: في ذكر مريده شيخنا الشيخ جلال الـــدين البســـطامي قـــدس الله أرواحهم.

العاشر: في ذكر سندنا الشريف والخرقة المباركة، وأســـأل الله الكـــريم أن ينفعني به وأحبائي وإخواني وسائر المسلمين، وهو تعالى حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

***

الباب الأول

وهو مشتمل على ثلاثة أقسام:

القسم الأول

في ذكر مناقب الشيخ الكامل الوارث قطب الأحوال الشيخ أبي يزيد قدس الله روحه[١].

ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: ومنهم التائه الوحيد القائم[٢] الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد بإستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان[٣] [ق٣/ أ] وكان جده مجوسياً فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده:

هو رجل مرضي الخصال، لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي، وإنما أُحبه لذلك، فقال له والده: قل له:

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٣٣،٤٠)، وفيات الأعيان (١/٣٠١)، صفة الصفوة (٤/٨٩، ٩٤)، المنتظم (٥/٢٨)، الرسالة القشيرية (١٧)، طبقات الصوفية للسلمي (٨)، ميزان الاعتدال (١/٤٨١)، الكواكب الدرية (١/٢٤)، البداية والنهاية (١١/٣٥)، مرآة الجنان (٢/١٧٣)، نفحات الأنس (٥٦)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٩)، طبقات الأولياء (١٠٨)، النجوم الزاهرة (٣/٣٥)، جامع كرامات الأولياء (٢/٤٠)، نتائج الأفكار القدسية (١/١٠٤)، رشحات عين الحياة (١٤)، معجم البلدان (١/٦٢٣)، درر الأبكار (ص١٢٠).

(٢) هكذا في الأصل، والذي في الحلية (١٠/٣٣) الهائم.

(٣) ويقال: سروشان.

إن أبي يجيئك ضيفاً، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام.

قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي.

قال: وما ذاك؟.

قال: أن تسلم.

قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده رسوله، فكان هذا سبب إسلامه.

وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركاً واستسعاداً، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله.

قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى[1].

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله:

مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها مالا يصح ويكون مقولاً [ق٣/ ب] عليه يرجع إلى أحوال سنية، وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة.

مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

قال شيخ المشايخ الداستاني قدس الله روحه:

لم يكن لأحدٍ بوفاة أبي يزيد خبر إلا أنه كان أشار إلى بعض تلامذته لما أراد أن ينصرف إلى قريته واستأذنه على الخروج، فقال له:

لا تخرج حتى تصلي على الجنازة، ولم يكن يعلم ما تلك الجنازة إلا أنه علم صدق قوله فلم يستخبره عنها حرمة وحشمة له، فلما أصبح كانت الجنازة جنازة نفس أبي يزيد[1].

---

(١) نقلاً عن النور (ص٣).

قال شيخ المشايخ:

لم يتـــزوج أبو يزيد قط ومن انتسب إليه فليس من أولاده بل هم من أولاد آدم وعلي، أخوي أبي يزيد، وكانوا ثلاثة إخوة وأختين، أبو يزيد وآدم وعلـــي، فآدم كان أكبرهم سناً، وعلي أصغرهم، وأبو يزيد كان أجلهم.

قال أبو يزيد:

لقد هممت أن أسأل الله تعالى مؤنة الأكل، ومؤنة النساء، ثم قلـــت: كيـــف يجوز لي أن أسأل هذا و لم يسأله رسول الله ﷺ؟ فلم أسأله، ثم إن الله تعالى كفاني مؤنة النساء حتى لا أُبالي استقبلتني امرأة أو حائطٌ.

قال شيخ المشايخ:

خدم أبو يزيد ثلاثمائة وثلاثة عشر أستاذاً آخرهم جعفر الصادق سقى له الماء سنتين، وكان يسمى طيفور السقاء، حتى قال له: إني أرى فيك أثر جدي أرى أن ترجع إلى بيت نفسك فتبني بيتاً وتنادي في [هذا[2]] الخلق نداءً، يعني تدعو الخلق إلى الله تعالى، فرجع و لم يسكن قلبه، وذلك عند أهل الله خاصة[3].

وكانت أمه في قيد الأحياء أمة غريبة في النساء مع الضياء والبهاء والســـتر والحياء والتواضع والدعاء، والخوف والرجاء زاهدة عابدة صائمة عفيفة شـــريفة راضية مرضية، رأت اضطرابه وانـــزعاجه، فقالت له: اسكن فسكن عما كـــان فيه، وقال: سيدي! سكنتني إشارتها.

وقال شيخ المشايخ قدس الله روحه حكاها عن مشايخه:

إن عيسى والد أبي يزيد لما تـــزوج بأمه وزفها لم يباشـــرها و لم يلامســـها أربعين ليلة حتى علم أنه لم يبق في جوفها أثر ما أكلته من قبل وتناولته فيما غـــبر

---

(١) نقلاً عن النور (ص٨).

(٢) ما بين [ ] سقط من (ح).

(٣) لا يثبت اجتماع سيدي أبي يزيد بسيدي جعفر الصادق رضي الله عنهما إلا أن يكون أبو يزيد من المعمرين، والثابت في المصادر أن تربية سيدي جعفر بسيدي أبي يزيد كانت تربية روحية لا ظاهرية، والله أعلم.

من الأيام التي كانت في بيت والدها وأمها، ثم لما باشرها ظهر من أولاده مثل أبي يزيد قدس الله روحه[1].

وحكي عنه أنه قال: خالفت أمي مرتين فأصابتني المضرة، أمرتني بأن ألقي الشيح من السطح إلى أسفل الدار وكنت أرميه، فقالت: أمسك، فأرميت قطعة منها، فأردت أن أدركها طاعة لها وامتثالاً لأمرها، فسقطت من السطح، فانفتح أنفي، فعلمت أن ذلك من مخالفتي وتركي أمرها، ومرة أخرى أمرتني بالاستقاء، وقالت: احمل جرة واحدة فحملت جرتين، فلما برزت جاء سكران وضربني فكسر جرتي فرأيت أن ذلك من خلافي لأمر أمي، وقالت له ليلة من الليالي: اسقني، فخرج في طلب الماء ليسقيها، فلما رجع رآها نائمة فأمسك الكوز في يده حتى انتبهت، فلما انتبهت قالت: يا أبا يزيد أين الماء؟ قال: ها هو، فأخذت الكوز من يده.

وقد علق الكوز من إصبعه، وكان قد جمد على إصبعه من شدة البرد فبقي بعض جلد الإصبع في عروة الكوز، فلما رأت ذلك سألته عنه؟ فقال: هو جلد إصبعي، قلت في نفسي: [ق٤/ب] إن وضعت الكوز ونمت فلعلك تريدين الماء ولم تَرِه، وما أمرتني بوضعه فأمسكته ابتغاء مرضاتك والقيام بأمرك، وقيل له: بم بلغت ما بلغت؟ فقال: أنتم تقولون ما تقولون، وأنا أقول برضا الأم.

وقال شيخ المشايخ: إن أبا يزيد كان يجد ولم يعلم ما يجد وكل من دخل عليه سأله عن ذلك ويقول له: هل تعلم لوجع قلبي هذا دواء؟ فكان بعضهم يقول: تأكل كذا، [ويقول بعضهم[2]]:

وتشرب كذا، حتى ورد الحاج مرة، فدخل عليه بعضهم وقد اشتهر ذكره وبعد صيته، فقال له ذلك، فأجابه، وقال له: إني وجدت في بعض الكتب [إن[2]] الله تعالى إذا أراد أن يتخذ [أحداً[2]] حبيباً أخذ قلبه في الاتساق والاشتياق حتى صفاه، فإذا صفاه أعشقه إلى نفسه وعَشِقَه، يعني حببه إلى نفسه وأحبه.

---

(١) نقلاً عن النور (ص٦).

(٢) ما بين [ ] سقط من (ح).

قال: فلما سمع ذلك علم ما به، وإن ما يجده في قلبه وجع يتصل من اشتياق قلبه إلى الله تعالى، ومن مطالبة فؤاده من الحق فاشتغل بعبادة الله تعالى وبخدمة الأم، حتى بلغ ما بلغ[1].

وحكى بعضهم عن أبي يزيد أنه كان يقول: إلهي تعذب أقواماً – يعني في النار– غداً من الأجنبية[2] لا يعرفون معذبهم فهلا تعذبني فأعرف من معذبي.

وقال: شيخ المشايخ: طعن بعض العلماء في كلام أبي يزيد، فقال: هذا الذي تقوله [ليس[3]] في العلم، فأجابه أكل العلم قد بلغك؟.

قال: لا.

قال: هذا من العلم الذي لم يبلغك، وطعن أيضاً بعض العلماء في كلامه، وقال له: ليس الذي تقوله من العلم، فقال: انظر في كتابك الفلاني إلى ورقة كذا تجد ما أقوله فيها، ففتشه، فوجد ما أشار إليه من العلم [ق٥/ أ] الدّال عليه[4].

وقال: أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد البسطامي ﷺ يقول: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال[5].

وقال أبو يزيد: غصت في بحار الأعمال أربعين سنة فصعدت، فإذا أنا مربوط بكل زنار، وقال: ما من أحد إلا وقد غرق في بحار الأعمال غيري، فإني قد غرقت في بحر المنة [وقصد أبا يزيد رجلُ، من أصحاب ذي النون المصري رضي الله عنهما، فقال له: من تطلب؟ قال: أبا يزيد، قال:

يا بني أبو يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة، فرجع إلى ذي النون المصري فأخبره فغشي عليه[6]]:

---

(١) نقلاً عن النور (ص٢٩)، بتصرف.

(٢) أي الأغيار.

(٣) ما بين [ ] سقط من (ح).

(٤) نقلاً عن النور (ص٧).

(٥) نقلاً عن النور (ص٥٧).

(٦) ما بين [ ] سقط من (ح).

وقال عيسى البسطامي: قال لنا يوماً أبو يزيد: قوموا بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي شهر نفسه بالولاية وكان بقومس[١] رجل مشهور بالزهد والورع.

قال: فمضينا معه، فلما خرج من بيته ودخل مسجده رمى ببزاقه نحو القبلة.

فقال أبو يزيد: قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلم عليه، فإن هذا الرجل ليس مأموناً على أدب من آداب الشريعة التي أدب بها رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين[٢]! وقال: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف ترونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود كما الشريعة، وقال شيخ المشايخ:

سمعت المتقدمين يقولون إن أبا يزيد قال: رُبَّ أحد قريب منا بعيد عنا، ورب أحد بعيد عنا قريب منا.

وسئل أبو يزيد قدس الله روحه عن ابتداء أمره، فقال: إن الله تعالى هداني للزراعة، فزرعت في نفسي أنواع العبادة، ثم أرشدني للطهارة، فلم أزل أغسل نفسي بأنواع الطهارات والمياه فلم أرها طهرت بعد.

[ق٥/ب] وقال: أبو يزيد النساء أحسن حالة منا المرأة تصير كل شهر طاهرة وربما تصير طاهرة في مرتين، فتغتسل من الحيض، ونحن لا نكاد نصير طاهرين في عمرنا مرة واحدة.

وكان هجِّيراه أنه كان يقول: يستزيد أبو يزيد ولا مزيد على التوحيد[٣].

وقال عمي موسى بن عيسى:

سمعت أبي يقول مقال أبو يزيد: طلقت الدنيا ثلاثاً بتاً لا رجعة لها ثم تركتها، وصرت وحدي إلى ربي ﷻ فناديته بالاستغاثة إلهي ومولاي أدعوك دعاء من لم

---

(١) قُومس: بالضم ثم السكون وكسر الميم وسين مهملة، تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار، انظر: معجم البلدان (٤/٤١٤).

(٢) نقلاً عن النور (ص٢٣).

(٣) نقلاً عن النور (ص٢٤)، وفيه هجيري أبي يزيد.

يبق له غيرك، فلما علم صدق الدعاء من قلبي مع الإياس مني، كان أول مـــا ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

وقيل لأبي يزيد: بم نلت هذه الدرجة؟.

قال: جمعت أسباب الدنيا كلها فربطتها بحبل القنوع، ووضـــعتها في منجنيـــق الصدق، ورميت بها في بحر الإياس واسترحت.

وقيل له: وبم بلغت إلى ما بلغت؟.

قال: بأشياء: اتخذت الله سبحانه معلمًا، فقلت: إن لم يكفك ربك لم يكفك أحد غيره في السماوات والأراضين، وشغلت لساني بذكره وبدني بخدمته كلما أعيت جارحة رجعت إلى الأخرى، ثم قيل: أبو يزيد أبو يزيد.

وقيل له: بم يصل العبد إلى الله تعالى؟.

قال: بالخرس والصمم والعمى.

وقيل [له] أيضاً: بم نلت ما نلت؟.

قال: انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها.

وقيل له أيضاً: بم نالوا ما نالوا؟ بتضييع ما لهم وشهود ماله.

وقيل له: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟.

قال: ببطن جائع وبدن عارٍ.

قال عمي موسى بن عيسى، سمعت أبي يقول:

سمعت أبا يزيد يقول: ورد علي رجل من أرباب [ق٦/ أ] الحال، فقال: يا أبا يـــزيد بماذا وجدت هذه المنـــزلة؟ فقال أبو يـــزيد: دع عنـــك وجـــود المنـــزلة، ولكني أكرمني الحق سبحانه بثمانية كرامات، ثم بعدها ناداني أبا يزيد.

أولها: رأيت نفسي متأخرة ورأيت الخلق قد سبقوني.

والثانية: رضيت بأن أحرق بالنار بدل خلقه شفقة عليهم.

والثالثة: قصدي إدخال الفرح في قلب مؤمن.

والرابعة: لم أمسك شيئاً [قط] لغد.

والخامسة: أردت رحمة الله بالناس أكثر مما أردتها لنفسي.

والسادسة: بذلت جهدي في إدخال السرور على المؤمن، وإخراج الغم من قلبه.

والسابعة: ابتدأت بالسلام على من لقيني من المؤمنين من شفقتي عليهم.

والثامنة: قلت: لو غفر الله لي يوم القيامة وأذن لي بالشفاعة لشفعت أولاً فيمن آذاني وجفاني، ثم فيمن برني وأكرمني[١].

وقيل لأبي يزيد: بم بلغت ما بلغت؟ قال: أحببت الله حتى أبغضت نفسي، وتركت مادون الله حتى وصلت إلى الله تعالى، واخترت الخالق على المخلوقين فشغل بخدمتي كل مخلوق.

وحكى الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله عن الجنيد قدس الله روحه، أنه قال: كل الخلق يركضون، فإذا ابلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا [٢].

قال أبو الحسين: فمثل هذا إذا حُكي عنه لا يوافق ما يحكيه الجهال عنه من العبارات.

وكان أبو يزيد يقول: يا رب هذا فرحي بك، وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتك، يا رب أفهميني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك.

وكان يقول: طوبى لمن كان همه هماً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه، ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه. وقال: إذا وقفت بين يدي الله فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنار بين يديه.

وقال [ق٦/ب] قدس الله روحه: ما من عبد اصطنعه الله لنفسه وشغله بذكره وحماه عن مخالفته. وجعل له محادثة بقلبه إلا سلط عليه فرعوناً على كل حال ينكر عليه ويؤذيه[٣]. وقال رجل لأبي يزيد: احسبْ لي، فألقى عليه، وقال: كم معك؟.

قال: واحد فألقى مراراً، فقال: واحد. فقال: الرجل: إيش تقول؟

---

(١) نقلاً عن النور (ص ٢٦).

(٢) أي ساروا سيراً حسناً في سرعة وهو كناية عن لزوم الأدب في حضرة سيدي أبي يزيد ﷺ.

(٣) نقلاً عن النور (ص٢٧).

فقال: لا أعلم سوى الواحد، والجميع يخرج من الواحد، والواحد لا يخرج من الجميع، لأن الحساب لا يتم إلا بالواحد، إذا تم ألف ونقص منه واحد سقط اسم الألف من الألف.

وعاب رجل على أبي يزيد، فقال: إنك تذكر بالزهد والعبادة ولا أعرف لك كثير عبادة. فهاج.

وقال: يا مسكين الزهد والمعرفة مني اشتقت.

[وقال أبو موسى الديبلي: وجه ذو النون إلى أبي يزيد رضي الله عنهما مصلى، وقال صل عليه، فرده، وقال: ما أصنع بالمصلى، وجّهْ إلي متكئاً أتكئ عليه(١)].

وقال أيضاً: سمعت أبا يزيد يقول: نوديت في سِري، فقيل لي: خزائننا مملوءة من الخدمة فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار.

وقال شيخ المشايخ:

سمعنا مشايخنا المتقدمين يقولون: إن أبا يزيد لم يجد في ابتداء أمره ليلة من الليالي حلاوة الطاعة، كما كان يجدها من قبل، فقال لأبي موسى: انظر هل تجد في البيت شيئاً من المأكولات والمطعومات؟ فدخل، فنظر نصف معلاق عنب فأخبره، فقال: أعطه أحداً، صار بيتنا بيت البقالين.

وقال أيضاً: سمعنا مشايخنا، يقولون: أسرج ليلة من الليالي السراج فكان يظلمه ويوحشه ضوء ذلك السراج، فقال للقوم: فتشوا عن ذلك؟ فقالوا: استعرنا قارورة لنأتي بها الدُّهن مرة فأتينا بها مرتين(٢).

وقال أبو يزيد لأمه: قولي لي ما تقدم من حالي، وما جرى علي من قبل بحيث لم أكن أعلمه أنا فأني لا أجد أحياناً حلاوة العبادة(٣).

قال: فقالت له:

فكرت فيما قلت، وفتشت عنه فلم أعلم غير أنك كنت تبكي مرة، فدخلت إلى بعض الجيران، فألعقتك إصبعاً من كامخهم(١) فاجتهد في إصلاح ذلك.

---

(١) مابين [ ] سقط من (ح)، وهو في النور بنحوه (ص٧٣).

(٢) نقلاً عن النور (ص٢٨).

(٣)نقلاً عن النور (ص٢٨).

وبكى صبي مجوسي في جواره ليلة من الليالي، ولم يكن لهم سراج فوضع أبو يزيد السراج في كوخهم حتى سكت صبيهم بضوء السراج براً وشفقة، فقالت أم الصبي لأبيه لما حضر، وكان غائباً حين بكائه: ألا ترى إلى شفقه ابن عيسى بن شروشان قد فعل مثل هذا فعجب من شفقته عليهم، ودعت بركة شفقته عليهم أن أسلموا عن آخرهم.

وقصد أبو يزيد الجامع يوم الجمعة للصلاة، وكان وحلاً فزلقت رجله فوضع إصبعه على جدار في الطريق فأمسك نفسه بسبب، فلما ثبت تفكر في ذلك، وقال لنفسه: تفحصي عن صاحب هذا الجدار ليجعلني في حل مما تعاطيت وفعلت، خير لي من أن أمضي إلى المسجد، فإن ذلك لا يفوتني، ففي الوقت سعة، فانصرف وتعرف عن صاحب الجدار، فقيل: مجوسي، فتقدم إلى باب داره وناداه، فخرج إليه فأخبره بالقصة، وطالبه أن يجعله في حل من ذلك، فقال المجوسي:

ولكم في دينكم تلك الرقة، وكل هذا الاحتياط، أمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ، وآمن كل من في الدار ببركة كل ذلك القصد.

وقال يوسف بن الحسين: كنت عند ذي النون، فجاء رجل فقال له:

رأيت أبا يزيد؟ قال: نعم، وقلت له: أنت أبو يزيد؟ فقال: ومن أبو يزيد؟

يا ليتني رأيت أبا يزيد [ق/٧ ب] فبكى ذو النون، ثم قال: إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله تعالى، فصار يطلبها مع الطالبين[٢].

وقال الجنيد: بلغني عن بعض العلماء ببسطام، أنه قال: كانت لأبي يزيد خادمة كثيرة الاجتهاد والبكاء لا تنام الليل.

قال: وكانت ليلة نائمة، فرأت في منامها رب العزة سبحانه وتعالى، يقول: الناس يطلبون غيري ما خلا أبو يزيد، فإنه يطلبني.

وفي رواية أنها سمعت نداء: الناس كلهم عبيدي غير أبي يزيد فإنه ولي من أوليائي. لأن كل أحد طلب مني شيئاً ورجع بشيء غير أبي يزيد فإنه طلبني.

---

(١) الكامخ هو ما يؤتدم به (معرب).

(٢) نقلاً عن النور (ص ٣٢).

وقال أبو يزيد: كنت اثنتا عشرة سنة حدّاد نفسي، وخمس سنين كنت مرآة نفسي، وسنةً أنظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملتُ في قَطْعه اثنتا عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في باطني زنار ظاهر، فعملت خمس سنين، أنظر كيف أقطعه فكشف لي عن ذلك فنظرت إلى الخلق موتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات، وقال: مررت إلى بابه فلم أر ثم زحام، لأن أهل الدنيا حجبوا بالدنيا، وأهل الآخرة شغلوا بالآخرة، والمدعين من الصوفية شغلوا بالأكل والشراب والكدية، ومن فوقهم حجبوا [ق٨/ أ].

بالسماع والشواهد، وأئمة الصوفية لا يحجبهم شيء من هذه الأشياء فرأيتهم حيارى سكارى.

وقيل لأبي يزيد: إن سهلاً بن عبد الله يتكلم في المعرفة؟.

فقال: إن سهلاً على شاطئ المعرفة سلك ولم يغرق في اللجج، فقيل له: يا أبا يزيد فكيف يكون حكم من غرق في اللجج؟ فقال: يغرق عن رؤية الخلق حتى يتعطل عن عمارة الدار.

وجاء حاتم الأصم زائراً لأبي يزيد، فقال حاتم: قد قلت لتلامذتي: من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعاً في أهل النار، فيدخلهم الجنة لم يكن لي تلميذاً.

فقال له أبو يزيد: ولكن قد قلت لتلامذتي:

ليس من تلامذتي إلا من وقف يوم القيامة، فكل من أمر به من الموحدين إلى النار أخذ بيده، فأدخله الجنة.

وقابل رجل أبا يزيد؟ فقال: دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى؟ .

قال أحب أولياء الله ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم وليلة سبعين مرة، فلعل أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه، فيغفر لك.

ونقل ابن الجوزي في تاريخه المسمى «بالمنتظم[1]» بسنده إلى العباس بن حمزة، قال: صليت خلف أبي يزيد البسطامي الظهر، فلما أراد أن يرفع يديه للتكبير لم يقدر إجلالاً لاسم الله، وارتعدت فرائصه حتى كنت أسمع تقعقع عظامه فهالني ذلك، وقال رجل من أهل الحديث لأبي يزيد: يا غلام تحسن تصلي؟

---

(١) انظر: المنتظم (٥/٢٨).

فقال: نعم إن شاء الله.
فقال له: كيف تصلي؟
فقال: أكبر بالتنبيه، وأقرأ بالترتيل، وأركع بالتعظيم، وأسجد بالتواضع، وأسلم بالتوديع.
فقال: يا غلام إذا كان لك هذا الفضل والمعرفة فلم تدع الناس يتمسحون بك؟.
فقال أبو يزيد: ليس بي يتمسحون لكن بحلية حلانيها ربي، فكيف أمنعهم عن ذلك وهو لغيري.
وقال: كنت أطوف حول البيت أطلبه، فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي.
وقال [ق٨/ب] بعضهم: حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون: فلان لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكتب الكثيرة، وفلان لقي فلاناً.
فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، والناس يقولون به، وأنا أقول عنه.
وقال أبو يزيد قدس الله روحه: ما أكلت مما يأكل الآدميون أربعين سنة، ودخل أحمد بن خضرويه البلخي على أبي يزيد البسطامي قدس الله روحهما.فقال له أبو يزيد: كم تسبح؟
فقال: إن الماء إذا وقف في مكان نتن.
فقال: كن بحراً حتى لا تنتن.
وورد عليه أحمد بن خضرويه زائراً له في بلخ، فوقف على سكة أبي يزيد والتفت إلى تلامذته وهم ألف نفرٍ.
فقال لهم: كل من له أن يطير في الهواء ويمشي على الماء وتستجاب دعوته، حتى عد أمثال هذه الكرامات، تعالوا ندخل على هذا الشيخ.
ومن لم يكن له ذلك فلينصرف فلا تصلحون لذلك فلم ينصرف منهم أحد لأنهم كانوا كلهم لهم مثل تلك الكرامات، ثم قال لهم: تعالوا حتى نرى أنفسنا كدرهم زائف لا يأخذه أحد بشيء، فدخلوا عليه فلما سمع كلام أبي يزيد قدس الله روحه لم يدركه ولم يقف على فهمه، فقال له: انكص على عقبك في كلامك قليلاً حتى أعرف ما تقوله، ثم لما فرغ أبو يزيد من كلامه،

قال له أحمد: إني رأيت أبا مُرة على باب السكة مصلوباً مضروباً، فقال له أبو يزيد: إنما يضرب اللصوص على أبواب السلاطين، فلما خرج أحمد من عنده. قال: كل من رأيته دعوته إلى الله غير أبي يزيد فإني دعوته من الله[1].

وقال أحمد بن خضرويه قدس الله روحه:[ق٩/أ] رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

وقال: كنت في الطريق إلى مكة فوقعت رجلي في شكال فكنت فرسخين متعلقاً به إذ رأني بعض الناس فنـزعه عني فقدمت بسطام فابتدأني أبو يزيد، وقال: الحال الذي ورد عليك في الطريق مكة كيف كان حكمك مع الله فيه، قلت: أردت أن لا يكون في اختياره لي اختيار، فقال لي: يا فضولي قد اخترت كل شيء حيث كانت لك إرادة.

وحكي أن زوجته أم علي كانت من بنات الكبار حللته من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامي، فحملها إليه، فلما دخلت عليه وقعدت بين يديه أسفرت عن وجهها، فقال لها زوجها أحمد:

رأيت منك عجباً أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد، فقالت: ألم تعلم أني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي، وكلما نظرت إليك رجعت إلى حظوظ نفسي، فلما خرج قال لأبي يزيد: أوصني، فقال: تعلم الفتوة من زوجتك، وأحمد بن خضرويه هو أحد رواة كلام أبي يزيد.

وقال عمي أبو موسى خادم أبي يزيد:

كنا قعوداً في مسجد أبي يزيد وأبو يزيد حاضر، فقال: قوموا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب إذا أبو إبراهيم الهروي المعروف على الدرب، فقال له أبو يزيد:

وقع في خاطري أن استقبلك وأتشفع إلى ربي بك، فقال: لو شفعك في الخلق كلهم لم يكن كثيراً فإنه شفعك في قطعة طين، أو قال: كف من تراب [ق٩/ب] فتحير أبو يزيد في جوابه.

وقال أيضاً: سمعت أبا يزيد يقول: أهل خاصة الله على ثلاثة منازل:

---

(١) نقلاً عن النور (ص ٣٢).

– فطائفة هم مقيمـــون مبهوتـــون لا يحتملون ما يرد عليهم إلا أنهم ممنوعـــون من الاختيار.

– وطائفة يطردهم فيقولون: لا نبرح.

– وطائفة قد أحاط بهم ولا يمكنهم البراح.

وقال أبو يـــزيد قدس الله روحه: علامة الانتباه خمسة: إذا ذكر نفسه افتقر، وإذا ذكر حوبته استغفر، وإذا ذكر الدنيا اعتبر، وإذا اذكر الآخرة استبشـــر، وإذا ذكر المولى افتخر.

وقال الجنيد: قال لي السري السقطي:

قال لي أخي أبو يزيد بن عيسى قدس الله أرواحهم: من نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم، وهرب إلى الله تعالى منهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عـــذرهم وكان طريقاً لهم إليه.

قال: وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة كلمـــا أردت أن أذكـــر الله تعـــالى تمضمضت وأغسل لساني إجلالاً لله ﷻ.

وقال: عند نسيان النفس ذكر بارئ النفس.

وقال: كمال العارف احتراقه بحبه لربه.

وقال: لو صفا لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء[1].

وسئل عن اسم الله الأعظم؟ فقال: في قولك لا إله إلا هو، و أنت لا تكون هناك وسئل أيضاً: عن اسم الله الأعظم، فقال: لا إله إلا الله، وأنت هناك ثابت، فقيل له: كيف ذلك؟.

قال: تعرفه إذا ذكرته.

وقال له رجل: بلغني أن عندك الاسم الأعظم فأحب أن تعلمَنيه؟.

فقال: أبو يزيد: اسم الله الأعظم ليس له حد محدود ولكن طهر قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارفع أي اسم شئت، فإنك تسير به المشرق والمغرب وتجـــئ وتَصِفُ، فقال له الرجل: سبحان الله ويكون هذا! يسير الرجـــل في ســـاعة إلى المشرق والمغرب، ثم يجئ وتَصِفُ [ق١٠/ أ]، فقال له أبو يزيد: نعم، وليس لهذا

---

(١) نقلاً عن النور (ص٤٠).

خطر أن يمشي باسمه الأعظم أقطار السماوات والأرض، لأن جميع مادون الله يكون تحت قدميه فيمر بقدميه إلى حيث شاء، ويمد يديه به إلى حيث شاء إذا ذكره ويأخذ من حيث شاء فقال له الرجل: وأي مقام هذا؟ فقال أبو يزيد:

أما المقام فلا صفة له، ولكن مثله شبه مرآة لها ستة أوجه، فإذا أراد الله أن ينظر إلى خلقه نظر في هذا الرجل الذي هو مرآته، فيرى خلقه فيه ويُدبر أمرهم.

وكان أبو يزيد كلما أدرك هذه الحالة صار تمنيه وإرادته بأسرع من الطرف، وكان لا يهم بشيء حتى يصور له ذلك على ما يريد، فكانت له من الإجابات العجائب.

وسُئل أبو يزيد قدس الله روحه عن قول الله ﷻ:

﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾ [الحديد:٣]، فقال: هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكوا فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه.

وسُئل فقيل له إن الناس يقولون: إن شهادة لا إله إلا الله مفتاح الجنة، فقال: صدقوا، ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء: لسان بغير كذب ولا غيبة، وقلب بغير مكر ولا خيانة، وبطن بغير حرام ولا شبهة، وعمل بغير هوى ولا بدعة.

وسُئل عن الزاهد؟ فقال:

الزاهد:

هو الذي يلحظ إليه لحظة فيبقى عنده، ثم لا يرجع نظره إلى غيره.

والعابد:

هو الذي يرى منة الله عليه في العبادات أكبر من العبادة حتى تغرق عبادته في [ق١٠/ب] في المنة[1].

وقال: أحببت الله حتى بغضت نفسي وأبغضت الدنيا حتى أحببت الله، وتركت ما دون الله حتى وصلت إلى الله، واخترت الخالق على المخلوقين حتى آنست به.

---

(١) نقلاً عن النور (ص٤١).

وقال: خرجت إلى الحج فرأيت الطريق أسود، فقال لي: يا أبا يزيد إلى أين؟ فقلت: إلى مكة، فقال: إن الذي تطلبه بمكة تركته ببسطام، وأنت لا تدري، تطلبه وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

وقال أبو يزيد: لو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون ولا ما فيه.

وقال: لله عباد لو بدت لهم الجنة بزينتها لضجوا منها كما يضج أهل النار في النار.

وسُئل متى يكون الرجل عاملاً على معنى العبودية؟ فقال: إذا لم يكن له إرادة، فقيل له: وكيف يكون ذلك، قال: تكون إرادته وتمنيه وشهوته داخلة في محبة ربه، ولا تتقدم له إرادة في شيء أبداً حتى يعلم إرادة الله ﷻ ومحبته فيه.

وقال عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد: كنت عند أبي يزيد فذكر عنده الجاه والنفس، فقال: يا أبا موسى، إن المؤمن بلا نفس، ثم تلا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم**﴾ [التوبة:١١١]، فمن باع نفسه فكيف يكون له نفس.

وقال أبو يزيد: أول مقام التوحيد أن تكون للعلم قائلاً ومستمعاً.

وسمع أبو يزيد رجلاً يقول: الله أكبر، فقال له: ما معنى الله أكبر؟ فقال الرجل: أكبر من كل شيء سواه، فقال له: ويحك حددته أو كان معه شيء فيكون أكبر منه؟ فقال له الرجل: ما معنى الله أكبر، فقال أبو يزيد: أكبر من أن يقاس بالناس، أو يدخل تحت القياس، أو يُدرك بالحواس.

وقال أبو موسى الديبلي:

سمعت أبا يزيد يقول: الأسماء كلها اسم الصفات والله اسم الذات [ق١١/أ] الاسم علامة يعرف به المعنى، والمعنى علامة يعرف به الذات، والأسماء علامة يعرف بها الذات، فمن أقر بالصفات و لم يقر بالذات فليس بمسلم، ومن أقر بالذات قبل الصفات يسمى مسلماً، ويجب أن يقر بالصفات قبل الذات، والدليل على ذلك لو أن رجلاً قال:

لا إله إلا الرحمن، أو لا إله إلا الرحيم، ثم يأتي على الأسماء كلها لا يكون مسلماً حتى يقول: لا إله إلا الله، ومن أقرّ بهذا الاسم الواحد وهو الله، فالأسماء كلها

داخلة في هذا الاسم، ومنه تخرج معاني الأسماء كلها، ولا يحتاج هذا الاسم إلى اسم سواه.

والدليل على ذلك: أن الله تعالى تفرد بهذا الاسم، ويجوز أن يسمى الرجل عالماً ورحيماً وكريماً على معاني هذه الأسماء، ولا يجوز أن يسمى الرجل الله فإنه اسمه، وما دعا أحد باسم من الأسماء كلها إلا ولنفسه في ذلك نصيب، إلا الله، فإن ذلك حظ الله من عبده، ومعنى ذلك أن من طالب ربه برحمته فيقول: يا رحيم، ومن طالبه بكرمه، فيقول يا كريم، ومن طالبه بجوده فيقول يا جواد، فكل اسم تحته معنى يدعوه إلى نصيب الناس من أمر الدنيا والدين إلا لله، فإن هذا الاسم يدعوه إلى وحدانية الله تعالى وليس للنفس فيه نصيب، ومن أراد من الله عطاء يدعو الله بأسماء الصفات، ومن أراد من الله إليه يدعو إليه بأسماء الذات[1].

وقيل لأبي يزيد: من تأمرنا أن نصحب؟ فقال: من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك[2].

وقال: أليس الله يعطي الجنة برضاه، فإن أعطى عبداً من عباده رضاه ما يرجو بقصور الجنة.

وجاء [ق١١/ب] رجل إلى أبي يزيد، فقال له: أريد أن أجلس من مسجدك الذي أنت فيه، فقال: لا تطيق ذلك، فقال: إن رأيت أن توسع لي في ذلك، فأذن له فجلس يومه فلم يطعم وصبر، فلما كان اليوم الثاني، قال: يا أستاذ لابد مما لابد منه

قال: يا غلام لابد من الله تعالى.

قال: يا أستاذ أريد شيئاً يقيم صلبي في طاعة الله؟.

قال: يا غلام إن الأجسام لا تقوم إلا بالله.

وقال: إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه وخلع عليهم خلعاً من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله.

---

(١) نقلاً عن النور (ص٤٢).

(٢) نقلاً عن النور (ص٤٨).

وقال: كنت قاعداً يوماً من الأيام فخطر لي أبي شيخ الوقت، فخرجت إلى طريق خراسان، وآليت على
نفسي أن لا أقوم حتى يوجه إلي الحق من يعرفني نفسي، فبقيت ثلاثة أيام بلياليها قاعداً، فلما كان اليوم الرابع أشرف علي رجل أعور على راحلة، فشهدت فيه حالاً، فأخرجت يدي، وأومأت إلى الجمل فغاص برجله في الأرض اليابسة، فنظر إلي، وقال: تلجئني أن أفتح عيني المغلقة، فأغرق بسطام وأهلها وأبو يزيد فيهم، ثم التفت إلي فغشى علي، فقلت: من أين أقبلت؟.

قال: من الوقت الذي عقدت بينك وبين الحق، وقد جئتك من ثلاثة آلاف فرسخ، ثم قال: يا أبا يزيد احفظ قلبك وحول وجهه عني ومر.

وكان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن أبي يزيد ولا يفارقه، فقال له ذات يوم: يا أستاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل، وقد تركت الشهوات ولست أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئاً، وأنا أؤمن بكل شيء تقول وأصدق به، فقال له أبو يزيد: لو صمتَّ [ق١٢/أ] ثلاثمائة سنة، وقمتَّ ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك، لا تجد من هذا العلم ذرة.

قال: و لم يا أستاذ؟

قال أبو يزيد: لأنك محجوب بنفسك.

قال له: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب؟.

وقال: نعم، ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

قال: بلى أقبل وأعمل ما تقول، فقال له أبو يزيد:

اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك، وانزع عنك هذا اللباس، واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزا واجمع حولك صبياناً، وقل بأعلى صوتك: يا صبيان من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل إلى سوقك الذي تعظم فيه وينظر إليك [كل[1]] من عرفك على هذه الحالة، فقال:

---

(١) الزيادة من (ح)، والنور (ص٤٦).

يا أبا يزيد سبحان الله تقول لي مثل ذلك، ويحسن أن أفعل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك.

قال: وكيف؟ فقال أبو يزيد: لأنك عظمت نفسك فسبحتها[1].

فقال: يا أبا يزيد هذا لست أقدر عليه ولا أفعله، ولكن دلني على غير هذا أفعله، قال له أبو يزيد: أبداً، فهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك، ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك، فقال: لا أطيق هذا.

قال قلت لك: إنك لا تقبل.

وكان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية، فقصد أبا يزيد، وقال له: قد حكي لي عنك عجائب، فقال له أبو يزيد: وما لم تسمع من عجائبي أكثر.

قال: علمك هذا عمن ومن أين؟ فقال أبو يزيد: علمي من عطاء الله ﷻ، ومن حيث قال رسول الله ﷺ:

«**ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم**[2]».

ومن حيث قال: العلم علمان: [ق١٢/ب] علم ظاهر وهو حجة الله على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع فعلمك يا شيخ نقل من لسان للتعليم لا للعمل، وعلمي من الله إلهاماً من عنده، فقال له الشيخ:

علمي بالتأكيد عن الثقات أكابراً عن أكابر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الرب ﷻ، فقال له أبو يزيد:

يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لا يطلع عليه جبريل، ولا ميكائيل.

قال: نعم! ولكن أريد أن يتضح لي علمك الذي تقول هو من عند الله؟.

قال: نعم أبينه لك بقدر ما يستقر في قلبك معرفته.

ثم قال: يا شيخ علمت أن الله ﷻ كلم موسى عليه السلام تكليماً، وكلّم محمد ﷺ ورآه كفاحاً، وكلم الأنبياء عليهم السلام وحياً.

---

(١) وهذا من دقيق نظر سيدي أبي يزيد ومعرفته التامة بأغوار النفوس، فإن الرجل لم يقل سبحان الله إلا من حيث تعظيم نفسه عن الاتضاح، ورفض التربية التي تـنزيل عن نفسه استعظام قدرها.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٦٣/٦)، وأورده العجلوني في كشف الخفاء (٢٨٧/٢، ٣٤٧).

وقال الشيخ: بلى!.

ثم قال: أيها الشيخ أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالإلهام منه لهم وفوائده من قلوبهم، وتأييده لهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع به الأمة.

ومما يؤكد ما قلت، ما ألهم الله ﷻ أم موسى أن تلقي موسى في التابوت حتى حملت ولدها وألقته في اليم، وكما أُلهم الخضر عليه السلام أمر السفينة، وأمر الغلام وأمر الحائط.

وقوله لموسى: ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾، وآتاه علماً من لدنه قال ﷻ: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً**﴾ [الكهف:٦٥].

وكذلك ألهم يوسف عليه السلام في السجن، وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما: إن ابنة خارجة حاملة ببنت فولدت جارية، فقال: إنما ألهمت ذلك، وما ألهم عمر رضي الله عنه، وكان على المنبر ونادى: يا سارية الجبل.

ومثل هذا كثير وأهل الإلهام قوم خصهم الله بالفوائد فضلاً من الله عليهم وكرامة منه، وقد فضل الله بعضهم على بعض في الإلهام والفراسة، فقام الشيخ [ق١٢/ أ] وقال: أعطيتني أصلاً، وشفيت صدري[1].

وقال أبو يزيد: سر في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد، وطر في ميدان التفريد حتى تلحق وادي الديمومية، فإن عطشت سقاك كأساً من الذكر لا تظمأ بعده أبداً[2].

وقال أبو عمران موسى بن عيسى هو ابن أخي أبي يزيد البسطامي:

سمعت أبي يقول: خرج أبو يزيد حاجاً مع عديل له من أهل بسطام، فلما أراد الحاج دخول البادية عمد أبو يزيد فاشترى شيئاً من الحوائج وحملها على الجمل الذي عليه محمله، فقال له عديله: كل هذه الأمتعة لا يحملها الجمل ونهاه عن ذلك، وأبو يزيد يتغافل عنه وكان عمل أمره على قلة الورع، فلما ارتحل.

قال أبو يزيد لعديله:

يا مسكين طأطيء رأسك وانظر هل نحن على ظهر الجمل؟

---

(١) نقلاً عن النور (ص٤٨).

(٢) نقلاً عن النور (ص٤٩).

فنظر فإذا الجمال تمر وراء المحامل في الهواء فوق ظهور الجمال فبقي متعجباً.

فقال: يا أبا يزيد المحامل بينها وبين ظهور الجمال أكثـــر من ذراع فقـــال أبو يزيد: إذاً فلا تكثر عليّ، فقال: بم نلت هذا يا أبا يزيد؟ فقـــال أبـــو يزيـــد: يا مسكين وهل يقوم على هذا غير الله[1].

وقال أيضاً: سمعت أبي يزيد يقول: كان أبو يزيد إذا أراد الخلوة دخل بيتـــاً، وجعل يحشو ثقب البيت كلها لئلا يدخل فيه صوت، ويقول: هذا مشغل عـــن ربي.

وبلغ أبا يـــزيد رحمه الله أن جاره المجوسي قد مرض فدخل عليه عائداً، كلمـــا بصر المجوسي أبا يزيد أزال رأسه عن فراشه ووضع خده على التـــراب تعظيمـــاً وإجلالاً لأبي يزيد.

فلبث ساعة، ثم قام منصرفاً، فلما بلغ وسط الدار رفع أبو يزيد طرفه إلى السماء كأنه سأل فيه ربه [ق١٢/ب]. فلما بلغ الدهليز إذا ببعض أولاد المجوسي جـــاء على أثـــر أبي يزيد، وقال: إن أبي يقول: بحق الله عليك إلا رجعت إليه فرجـــع، فقال: يا أبا يزيد اعرض علي الإسلام فأعرض عليه فأسلم وقضى المجوسي مكانه، فقام أبو يزيد وأمر بدفنه[2].

وجاء شقيق البلخي، وأبو تراب النخشبي إلى أبي يزيد قدس الله أرواحهـــم، فقدم إليهما طعاماً وكان بعض أصحاب أبي يزيد قائماً يخدمهـــم، فقـــال لـــه أبو تراب:

اقعد كُل معنا، فقال: أنا صائم، فقال له أبو تراب: كُل معنا ولك أجر شـــهر، فقال: أنا صائم، فقال له شقيق: اقعد وكُل معنا ولك أجر سنة، فقال: أنا صائم، فقال أبو يزيد: دعوا عنكم من سقط من عين الله.

قال: فما مضى إلا مده يسيرة حتى أخذ الرجل في سرقة فقطعت يداه[3].

---

(١) نقلاً عن النور (ص٥٠).

(٢) مثله في النور (ص٥١).

(٣) نقلاً عن النور (ص٥٢) نحوه.

وقال أبو يزيد: من عرف الله صَار على النار عذاباً، ومن جهل الله صارت عليه عذاباً: وكان في جوار أبي يزيد فقيه يحسده على ما كان يجـري الله علـى يديه، فتقدم إلى أبي يزيد رجل، وقال له: إذا تَبصَّرَ بنا هذا الفقيه يقول لنا:

لا تشتغلوا بما لا يعنيكم، ألا تتعلمون ما ينفعكم؟ ما هذا الذي يحملكـم على خدمة هذا المهووس الذي لا يحسن أن يتطهر، فقال أبو يزيد قولوا له: عليك بنفسك، فالزم دينك أن ترك عليك فإني لا آمن عليك أن تموت حـين تمـوت مسلماً، فأخبر الفقيه بذلك فأغاظه ذلك، فَقُضِي أن الفقيه مرض، فأوصى أن لا يدفن في مقابر المسلمين، فإنه كان على دين النصارى فلما مات اختلفـوا فيـه فحمل إلى مقابر النصارى.

وكان أبو يـزيد بعد ذلك يقول:

ما شيء بأعون على أحدكم من تعظيمه لأخيه المسلم وحفظ حرمتـه ولا شيء أضر بكم في دينكم من تهاونكم بإخوانكم وتضييع حقوقهم[1].

وأمر بعض تلامذته أن يشتري له خبزاً فاشترى فلما رآه وجده محاشاً، فأمره برده على صاحبه وأمره أن يأخذ الأجود والأبيض، وقال: كأنهم يقولون إنهـم متقربون يأكلون كيف عنا يكون.

وحضر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس الله روحه عند رأس ضريح الشيخ أبي يزيد قدس الله روحه وجلس في وجاهة، وأشار إليه، وقال: قال هذا الشـيخ إن الله تعالى جعل أقدام الأولياء نثار الأرض فما لهؤلاء الحساد لا يرتضون بذلك.

وقال أبو يزيد: كنت أربعين سنة ديدبان القلب[2] فبعد الأربعين وجدته مشركاً وشركه أن يلتفت إلى ما سواه.

وصحب رجل أبا يزيد مدة يسيرة فرآه وقتاً يهتـز، فقال له: يا أبا يزيد من أي شيء تهتـز الرجال؟ فقال له: لا تقدر أن تسعى عشرين وثلاثـين سـنة في طريق الصدق تعلم ما يهتـز منه الرجال فمنذ متى قمت من تحت التختج تريـد تَعْلَمُ منه الرجال؟

---

(١) نقلاً عن النور (ص٥٣).

(٢) نقلاً عن النور (ص٩٥).

وجاء أبو يزيد قدس الله روحه يوماً دجلة بغداد فانضمت بعضها إلى بعض كرامة له فجلس أبو يزيد، وقال: أنا أحمل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر بدانق[١] لا أبيع عمر ثلاثين سنة في هذا الحديث بدانق: يعني أني أتوقع منك شيئاً آخر دون الكرامة لأرضى منك بغيرك.

فخرج مرة أخرى له ببلخ فلما وصل إلى نهر جيجون[٢] ورآه ببلخ أُلقِيَ له حافتاه، فقال: سيدي إيش هذا المكر الخفي وعزتك ما عبدتك لهذا، وعزتك ما أردت هذا، ثم رجع و لم يعبر.

وقال: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعات، وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى [ق١٣/ب] هذا الشأن فهو مُدَّعٍ.

وقيل لمجوسي في أيام أبي يزيد: أسلم؟ فقال مجيباً لهم: إن كان استعمال الإسلام كما يستعمل أبو يزيد فلست أطيقه، وإن كان كما تستعملونه فلست أشتهيه.

واجتاز شقيق البلخي بسطام حاجاً فعقد المجلس في مسجد من مساجدها في محلة يقال لها: كدغان[٣]، وبقي الصبيان يلعبون على بابه، وأبو يزيد فيهم وكان يجيء إلى باب المسجد ويسمع كلامه وينصرف ويضحك فوقع عليه بصر شقيق، فقال فراسة: سيكون هذا الصبي رجلاً من الرجال فصار كما قال.

ورأى أبو يزيد رب العزة تبارك وتعالى في المنام فقال: إيش تريد؟.

فقال أبو يزيد: أريد أن لا أريد غير ما تريد.

فقال: أنا لك كما أنت لي.

وقال: غلطت في ابتداء أمري حسبت أني أذكره، فإذا هو ذكرني قبل ذكري له وحسبت أني أطلبه، فإذا هو طلبني له قبل طلبي له، وحسبت أني أعرفه، فإذا هو

---

(١) الدانق: بفتح النون وكسرها وهو سدس الدرهم.

(٢) جيجون: وفي نسخة (ح) جيحون، وهو بالفتح، اسم اعجمي، وقد تعسف بعضهم فقال هو من جاحه إذا أستأصله، ومنه الخطوب الجوائح، وأصله بالفارسية هارون، وهو اسم وادي خراسان، وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ. وانظر: معجم البلدان (٢/١٩٦).

(٣) في الأصل (كذغان)، والحكاية في النور(ص٥٣).

عرفني قبل معرفتي له، وحسبت أني أحبه، فإذا هو أحبني قبل محبتي له، وقد جعل خلائق الأرض خدمتي.

سُئل عن الفريضة والسنة؟

فقال: السنة ترك الدنيا والفريضة صحبة المولى فمن تعلم السنة والفريضة، فقد كملت معرفته لأن الكتاب كله بدل على صحبة المولى والسنة تدل على ترك الدنيا[١].

وقال: طلقت الدنيا بتاتاً[٢] لا رجعة لها، وصرت وحدي إلى ربي فناديته بالاستغاثة التي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك، فلما أن علم صدق الدعاء من قلبي كان أول ما ورد على من إجابته أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم [ق١٤/أ].

وسئل عن الصوفي فقال: هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسول الله ﷺ بشماله وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة والأخرى إلى النار يتزر بالدنيا ويرتدي بالآخرة ويلبي من بينهما للمولى لبيك اللهم لبيك.

وقال: رأيت رب العزة في المنام، فقلت يا رب كيف الطريق إليك، فقال: دع نفسك وتعال.

وقال: الدنيا لأهل الدنيا غرور في غرور، والآخرة لأهل الآخرة سرور في سرور، ومحبة الله لأهل محبته نور على نور، فالسرور من الدنيا سرور من غرور، والسرور من الأخرة سرور من سرور، والسرور من محبة الله سرور من نور.

وقال: من اختار الدنيا على الآخرة يغلب جهله على علمه، وفضوله ذكره ومعصيته طاعته، ومن اختار الآخرة على الدنيا يغلب سكوته كلامه، وفقره غناه، وهمه سروره[٣]، ومن اختار رضا المولى على الدارين تصير نفسه مقيده بقيد الخدمة، وقلبه أسير الخوف من الفرقة، وسره مستأنساً بأُنس الصحبة.

وسُئل فقيل له: كيف عرفت الله؟ فقال للسائل:

---

(١) في النور (ص ٥٧).

(٢) في النور (بتة)، (ص٦٠).

(٣) زاد في النور (ص٥٨): وقبله محبته، وسره قربه.

لو عرفت الله لما كنت تسألني عنه، ومن لا يعرف الله فـلا يعـرف قـول العارف، ومن عرف الله استغنى عن السؤال[1].

وكان يعظ نفسه ويصيح عليها ويقول: يا مأوى كـل سـوء! المـرأة إذا حاضت طهرت في ثلاثة أيام وأكثر بعشرة، وأنت يا نفس قاعدة منذ عشـرين وثلاثين سنة بعدما طهرت فمتى تطهرين؟ إن وقوفك بين يدي الطاهر ينبغـي أن تكوني طاهرة.

وقال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول:

مجرى طريق العبودية لله تعالى ومنازلها على ثلاثة أوجه: عام، وخاص، وخـاص الخاص، فأما حفظ مجرى عبوديته العام فعلها خمسة أوجه:

الأول:

عبد وذنب مريب غير تائب، قد غرته الدنيا فاغتر بها ونسي الآخرة ورضي بحطام الدنيا، فهذا عبد مسيء لا يخاف من الله هارب من ربه لا يعرف حق ربه ولا يحفظ حرمته، فهذا مسيء لا يخاف من الله ولا يحذر الوعد والوعيد، فـإن تاب تاب الله عليه، وإن مات على غير توبة فهو في مشيئة الله تعـالى، إن شـاء عذبه وإن شاء غفر له فهو عدل منه.

والثاني:

عبد مرائي بعمله يريد محمدة الناس وحسن الثناء عليه، يجتهـد في العبـادة والخدمة لله ﷻ، ويريد بها العز عند الناس والشرف والذكر في الآفاق قد رضـي من الآخرة بالدنيا، ومن الدنيا بثناء الناس، فهذا عبد خاسر غافل.

والثالث:

عبد مطيع لله تعالى في تأدية حقه سامع له مؤد لفرائضه مجتنـب المعاصـي كلها متباعد عن الآثام متابع لأمر الله ﷻ مقيد بسنة رسول الله ﷺ، فهذا ناصح لله ولرسوله ولنفسه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وهو محمود عند الله وعند عباده قائم على حفظ العبودية مستقيم عليها.

والرابع:

---

(١) في النور (ص٥٨).

عبد راغب في أعمال البر مقبل على إقامة التطوع بعد أداء الفرائض، كثير النوافل، طالب للخيرات بائع دنياه بآخرته جعل أيامه في طاعة الله تعالى، فهذا عامل لله تعالى، طالب للثواب ملتمس رضا ربه، راغب فيما عند الله تعالى، تابع لأنبيائه ورسله فطوبى له [ق١٥/أ].

والخامس:

عبد مجتهد في ارتياد مرضاة الله تعالى مؤدب لنفسه قائم عليها باستخراج العيوب منها محارب لعدوه، صاحب اجتهاد وسهر وتفزع مخالفاً لنفسه غير متبع هواها، زاهد في دأبها يروم كسرها بحملها على المحجة الواضحة، فمرة يقوم ومرة يسقط فهو مع المحاربة مع العدوة(١) إلى أن ينصره الله عليها، فهذا عبد صاحب صلاح، وهو العبد الصالح يحفظ حق عبودية معبوده.

وأما مجرى الخاص وخاص الخاص، فعلى خمسة أوجه:

عبد تائب إلى ربه نادم على ما ضيع من أمر ربه مقبل إليه بقلبه هارب من الخلق إليه، وعبد خائف قد عرف الوعد والوعيد راج راغب راهب، وعبد كريم على ربه صادق مستقيم شاكر لآلاء الله راض بقضائه متنعم به، وعبد زاهد في كل ما شغله عن ربه ﷻ قد ولى وجهه عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، واستأثر بذكر مولاه عن سائر خلقه، وعبد مفوض أمره إلى الله ﷻ قانع بعطيته شاكر قلبه إليه راكن إلى ما عنده منيب إليه يريد الأنس، والزلفة لديه لا يريد من الدنيا والآخرة غيره(٢).

وقال أبو موسى خادم أبي يزيد: سمعت أبا يزيد يقول:

ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة، فقال له أبو موسى الديبلي: أشد شيء لاقيته في أمر الله ما هو؟.

قال: لا أستطيع أن أخبرك.

قال: ما أسهل شيء لاقيته في أمر الله ما هو؟.

قال: ولا ذاك.

---

(١) هكذا في النور (ص ٥٨) والذي في الأصل [العدو].

(٢) النور (ص٥٩،٥٨).

قال: فأصعب ما لاقيته من أمر نفسك.

قال: ولا ذاك [ق٥١/ب].

قال: فأسهل ما لاقيته نفسك.

قال: أسهـــل ما لاقيته نفسي مني سألتُها أمراً من الأمور فأبت، فعزمـــت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة، فقال: لم أزل أسوق نفسي إليه وهى تبكي حتى ساقتني إليه وهي تضحك، وقال أبو موسى الديبلي: قلـــت لأبي يـــــزيد قـــدس اللـــه روحه: لو قال الله تعالى لك يوم القيامة: عبدي هل ســـجدت لي قط، فما أنت قائل؟.

قال: كنت أقول كنت إذا سألت عنك أجيب منك، وإذا سألتني عني أجيبك.

وقال إبراهيم الهروي رحمه الله تعالى: قال أبو يزيد: خصصت رجالاً وأكرمتـــهم فأطاعوا فيما أمرتهم، ولم يبلغوا ذلك إلا بك، وكانت رحمتك إياهم قبل طاعتهم لك.

وقال وسمعته يقول: لا يكون العبد محباً لخالقه حتى يترك نفسه لله تعالى في طلب مرضاته سراً وعلانية يعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو.

قال وسمعته يقول:

اطلب هواه في خلاف هواك، ومحبته في مخالفة نفسك وبغضها، فإنه معروف عند مخالفة الهوى محبوبُ عند بغض النفس(١).

وقال سمعته ذات يوم يقول:

هلموا إلى رغبة الزاهدين، وشوق الراجين، وسرور العارفين وغنـــاء المقـــربين، ومناجاة المحبين، وركون المستأنسين، وحب الواصلين، وحلاوة المتصلين وأنـــس رب العالمين.

وقال سمعته يقول: عبادة العارفين حفظ أنفاسهم مع معروفهم لأنهم تركـــوا في جنبه كل شيء.

وقال سمعته يقول:

---

(١) نقلاً عن النور (ص٦١).

على الباب صوت وصياح واضطراب من شوق صاحب الدار وخوفه [ق١٦/أ]، وفي الدار سكون، وسكوت وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاحب الدار.

وقال سمعته يقول:

ما أفرح العارف بقدر معروفه إذا أيقن أنه قادر على كل شيء فيرى نفسه من قدرته متحركة بمشيئته لا يبالي بأي تحريك يحركها بعد ما عرف أنه قائم عليها بقدرته، ولا يخرج من العبودية في القدرة.

وقال سمعته يقول: اقطع قلبك عن التصنع والتزين والتملك والتريس والتدبر عن كل ما دونه(١).

وسمعته يقول: لا تتكلف بفكرة قلبك فيه تملك فيه تهلك بالتشبيه فإنه موجود للمتفكرين في صفته، ومفقود للمتوهمين في ذاته(٢).

قال سمعته يقول: لا تصل إلى المخلوق إلا بالسير إليه، ولا تصل إلى الخالق إلا بالصبر عليه، وإذا أردت أن تطلبه فاطلبه في رجوعك عما دونه.

قال سمعته يقول: لا يشكو قلب العارف وإن قطع بالمقراض، ولا ييأس منه البتة ولا يأمن من مكره وإن نؤدي بالغفران، ولا يدل عليه إلا به ولو مشى على الماء والهواء ولا يستريح من كده، ولو جلس على السرير ولا يغفل عنه، ولو كان في السوق، ولا يطمئن بدونه ولو كان في السماء.

وقال سمعته يقول: إذا سكت العارف يريد أن لا ينطق إلا عند معروفه، وأغمض يريد ألا يفتح إلا عند لقائه وإذا وضع رأسه على ركبته يريد أن لا يرفع إلى أن ينفخ في الصور من شدة الأُنس به.

وقال سمعته يقول: كن فارس القلب راجل النَفْس.

قال سمعته يقول: روح المؤمن كالمصباح في الزجاجة [ق١٦/ب] تضيء في الملكوت لأن الله تعالى موجود عند الناظرين في صفته مفقود عند الناظرين في ذاته.

---

(١) في النور (ص٦٢)، بنحوه.

(٢) في النور: ومفقود عند المتوهمين في ذاته، (ص٦٢).

وقال سمعته يقول: إذا شربوا بكأس حبه وقعوا في بحار أُنسه، وتلـــذذوا بـــروح مناجاته، وإذا عرفوا حق معرفته، ولهوا في عظمته.

وقال سمعته يقول: إذا عرفوه أسروا وإذا أسروا أسكنوا في معرفته.

وقال أبو صالح الحذاء مؤذن مسجد أبي يزيد: كان أبو زيد يقول:

هلاك الخلق في شيئين: في ترك الحرمة ونسيان المنة.

وقال أبو الحسن الشقيقي: صلى أبو يزيد البسطامي ليلة فأضاء البيت كأنه نصف النهار، فقال أبو يزيد: إن كنـــت شيطاناً فأنا أعـــز وأمنع جانباً من أن تطمع في عند الله فإني أسأله أن يؤخره من دار الخدمة إلى دار الكرامة[1].

وقال أبو موسى الديبلي: سمعت أبا يزيد يقول:

طلبت قلبي ليلة من الليالي، فلم أجده فلما كان في السَّحر سمعت قائلاً يقول: يـــا أبا يزيد هو ذا تطلب غيرنا؟

قال وسمعته يقول: في عيون الخلق إني مثلهم، ولو رأوني كيف صفتي في الغيـــب لماتوا دهشاً.

وقال: وددت أن الله تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة فأعطانيها حتى أنبـــذها بـــين يدي كلب حتى لا يغتر بها الخلق، ولو عذبني في نار جنهم مكان الخلق جميعاً لما كان مني بكثير بما ادعيت أني أحبه، ولو غفر لي ولجميع الخلق لما كان منه بكثير حيث يقول: إني رءوف رحيم[2].

وقال: أهل المعرفة مع الله تعالى على ثلاث مقامات: فقوم طلبـــوا الله ﷻ مـــن حيث الغفلة عنه، وقوم تقربوا من الله ﷻ من حيث العجز عنه، وقوم وقفوا فيما لا طلب معه ولا هرب لهم عنه.

وردّ جماعة على أبي يزيد، فقالوا [ق١٧/أ] يا أبا يزيد كنا نسمع كلام ذي النون وأبي سليمان الداراني، وننتفع به ومنذ سمعنا كلامك تركنا كلامهم؟ فقال: نعـــم القوم تكلموا من بحر صفاء الأحوال، وأنا أتكلم من بحر صفاء المنـــة فتكلمـــوا

(١) نقلاً عن النور (ص٦٣).

(٢) نقلاً عن النور (ص٣٧).

ممزوجاً، وأنا أتكلم صرفاً، وشتان بين من يقول: أنا وأنت، وبين من يقول أنت، وأنت.

وقال يوسف بن الحسين:

سمعت ذا النون المصري يقول لبعض من أراد أن يزور أبا يزيد قل لأبي يزيد: إلى متى هذه الراحة والنوم وقد جازت القافلة؟.

قال: فخرج الرجل قاصداً إلى أبي يزيد وسلّم عليه.

وقال له: ذو النون يقرئك السلام، ويقول لك: إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة!.

فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: إن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله، فإذا أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة.

قال: فرجع الرجل إلى ذي النون وأخبره، فقال: هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئاً له[1].

وقال: اعلم أن هذا المنزل عالٍ شريف فيه أسرار عجيبة ومعانٍ لطيفة والقائم به هو الإمام الأكمل، واعلم أيضاً: أن سلوك أهل طريق الحق على طريقين:

طريق يسلكونها بأنفسهم، وهو قوله:

«من عرف نفسه عرف ربه[2]».

وطريق يسلك بهم عليها، وهذه حالة المريدين المنقطعين، والأولى حالة المريدين والمنقطعين، ومع هذا فكلا الفريقين سالك، وإن سُلِكَ به، ومثالهما في

---

(١) نقلاً عن النور (ص٣٧).

(٢) أورده القاري في المصنوع (ص١٨٩)، والعجلوني في كشف الخفاء (٣٤٣/٢)، وقال: النووي: ليس بثابت وقال ابن السمعاني في القواطع: إنه لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى ابن معاذ الرازي يعني من قوله، وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي كلامه: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقنه مساق الحديث كالشيخ محيى الدين بن عربي وغيره قال: وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محيى الدين بن عربي معهود من الحفاظ، وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيى الدين قال: هذا الحديث وإلا لم يصح بطريق الرواية فقد صح عندنا بطريق الكشف، وللسيوطي فيه تأليف لطيف سماه القول الأشبه قلت: وكذلك للشيخ الجيلي.

السفر الحسي سلوك المشاة في قطع المسافات وسلوك راكبي البحر، ولهذا شبه بعضهم سير العمر بالإنسان براكب البحر.

وقال قائلهم:

فسيرك يا هذا كسير سفينة يقوم قعود والقلاع تطير

[ق١٧/ب] فيظهر من كلام أبي يزيد أنه يريد هذا السفر بقوله أصبح آمنا في المنزل قبل نزول القافلة، فيدل كلامه أنه طالب ما طلبت القافلة وهو نائم مستريح ما طلب وتنعم به قبل وصول القافلة، وزاد عليهم بالراحة والنغم مثل الفقراء مع الأغنياء بنصف اليوم الذي يختصون به في نعيم الجنة، ثم تقع الشركة بعد ذلك، هذا هو الظاهر من كلام أبي يزيد قدس الله روحه.

وقال ابن الأنباري: أراد صاحب لنا أن يسافر، فقال لأبي يزيد:

أوصني بوصية؟ فقال: أوصيك بثلاث: إذا صاحبك سيء الخلق، فأدخل سوء خلقه في حسن حلقك حتى يهنيك العيش، وإذا أنعم عليك منعم بنعمة فاشكر الله بدءاً فإنه هو أعطف القلوب عليك، وإذا بدا عليك شيء من بلاء الله فأسرع بالاستقالة منه.

وسُئل: ما علامة العارف؟ فقال: أن لا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره[1].

وقال: عشرة أسباب فريضة على البدن:

١- أداء الفرائض.

٢- واجتناب المحارم.

٣- والتواضع لله.

٤- وكف الأذى عن الإخوان.

٥- والنصيحة للبر والفاجر.

٦- وطلب المغفرة.

٧- وطلب مرضاة الله تعالى في جميع أموره.

٨- وترك الغضب والكبر والبغي والمجادلة وإظهار الجفاء.

---

(١) في النور (ص٩٩).

٩- وأن يكون وصي نفسه.

١٠- يتهيأ للموت.

وقال: عشرة أشياء حصن البدن:

١- حفظ العينين.

٢- ومعاودة اللسان بالذكر.

٣- ومحاسبة النفس.

٤- واستعمال العلم.

٥- وحفظ الأدب.

٦- وفراغ البدن من شغل الدنيا.

٧- والعزلة عن الناس.

٨- ومجاهدة النفس.

٩- وكثرة العبادة.

١٠- ومخالفة النفس.

وعشرة أشياء شرف البدن:

١- الحلم.

٢- والحياء.

٣- والعلم [ق١٨/أ].

٤- والورع.

٥- والتقى.

٦- والخلق الحسن.

٧- والاحتمال.

٨- والمداراة.

٩- وكظم الغيط.

١٠- وترك السؤال.

وفي عشرة أشياء تخرب البدن:

١- مصاحبة من تتهمه في دينه.

٢- ومفارقة أهل الخير.

٣- ومتابعة النفس.

٤- ومجانبة الجماعة.

٥- ومجالسة أهل البدع.

٦- وطلب ما لا يعنيه.

٧- وتهمة الخلق.

٨- وطلب العلو.

٩- وهَم الدنيا.

١٠- [.....[1]]

وعشرة أشياء تميت البدن:

١- قلة الأدب.

٢- وكثرة الجهل.

٣- وتهمة الخالق.

٤- وشهوة البدن.

٥- وطلب الرياسة.

٦- والميل إلى الدنيا.

٧- ومحاباة النفس عند الحق.

٨- وكثرة الأكل.

٩- وكثرة النوم.

١٠- وكثرة الكلام.

وعشرة أشياء فيها ذُل البدن:

١- الحدة

٢- والغضب.

٣- والكبـــر.

٤- والبغي.

---

[1] العاشرة غير موجودة بالأصل قد يكون سها المصنف عن كتابتها.

٥- والمجادلة.

٦- والبخل.

٧- وإظهار الجفاء.

٨- وترك حرمة المؤمنين.

٩- وسوء الخلق.

١٠- وترك الإنصاف.

وسُئل: كيف الطريق؟.

قال: غب عنْ الطريق تصل إلى الله تعالى[١].

قال: حسب المؤمن من عمله أن يعلم أن الله غني عن عمله.

وقال إبراهيم بن محمد الخواص قدس الله روحه: سمعت أبا يزيد يقول:

ظاهر التصديق وباطنه سواء، وقد اشترك الإيمان والحب في قلب الصدِّيق.

فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فإذا قال ذلك رمى قوس الدنيا بالفرقة وقطع حلقوم الطمع بسكين اليأس: وألجم نفسه بلجام الخوف وساقها بسوط الرجاء، ولبس قميص الصبر، وتردى بـرداء التصابر، واستوى عنده المنع والعطاء والشدة والرخاء والذم والثناء، فيسقط مـن ظاهره وباطنه التصنع، فليس عنده فرق بين الدانق والدينار، لعلمه أنه بورك له في الدانق كان أعظم بركة من الدنيار، ويعلم [ق١٨/ب] أنه لو سلط عليه السنور كان أضر عليه من الأسد، فإذا كانت هذه حالته قالت الجنة:

اللهم اجعل هذا العبد ساكني، فكانت الجنة طالبة له دونه، وإذا رأته على هـذه الحالة النار علمت أن نوره يطفئ شررها، فتعوذت النار منه فلو عرج بذلك العبد إلى أعلى عليين لكان شكره ذلك الشكر الذي كان من أعظم البلاء، ولو أنزلـه الله من أعلى عليين فأسكنه الدرك الأسفل من النار، لكان شكره ذلك الشـكر الذي كان في أعلى عليين[٢].

---

(١) نقلاً عن النور (ص٦٣، ٦٥).

(٢) نقلاً عن النور (ص٦٥).

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله روحه:

يا من باع كل شيء بلا شيء، ويا أيها من اشترى لا شيء بكل شيء، إن في طاعاتك من الآفات ما يشغلك عن السيئات[(١)].

وقال يعقوب البحري، قال عمي:

قدم علينا من العجم فتى يقال له: أبا يزيد فلما فرغ نسكه وقضى صعد أبـا قبيس وجلس يتفكر ساعة فجاءه ثلاث نفر فصار أبو يـزيد رابعهم، فقال مـن القوم قائل:

ما مقام أولياء الله في الولاية؟ فقال الآخر:

مقامه مع الله أن يكون عنه راضياً، إن هـو حبسه في المـاء أو أدخلـه النـار، ثم قال للثاني: ما تقول أنت: كيف مقام الولي مع الله تعالى؟ فقال:

مقامه مع الله لو صيّر السماء من صفر فلا ينـزل المطر وصير الأرض مـن حديد فلا ينبت منها نبات لا يدخل قلبه شيء من الاهتمام بما وعـد اللـه لـه من رزقه، ثم قال للثالث: ما تقول أنت: كيف مقام الولي مع الله تعالى؟ فقال:

مقامه مع الله تعالى أن لو ضر به بأنواع البلاء فحطمه في كل يوم مائة مرة تحت حجر البلى والبلوى لا يتغير قلبه مع الله، قال:

يعني أبا يزيد أما أنا فلا أقول مثل ما [ق١٩/أ] قلتم، قالوا: فكيف تقول؟.

قال: أقول: مقام الولي مع الله تعالى لو قال لهذا الجبل زل عن مقامـك لـزال، فتحرك الجبل، فقال أبو يزيد للجبل:

ما هذه السعاية التي سعيت بها إلى خلق الله أتريد أن تفشى سري مع الله تعـالى بين خلق الله تعالى؟ فاستقر الجبل[(٢)].

وقال بعضهم لأبي يزيد:

صفّ معي قلبك ساعة حتى أتكلم معك بشيء، فأجابه، وقال: منذ ثلاثين سنة أريد أن أصفي قلبي مع الله تعالى ساعة واحدة وهو بعد لم يصف، فكيف أصفو معك في ساعة واحدة[(١)]؟

---

(١) نقلاً عن النور (ص٦٧).

(٢) في النور (ص٦٨).

سأل رجل أبا يزيد عن التصوف؟ فقال: طرح النفس في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، واستعمال كل خُلق سنية، والنظر إلى الله بالكلية.

وقال أبو يزيد:

من الناس من يزورني فيرجع عني وهو في رحمة الله، ومنهم من يزورني فيرجع عني وهو في لعنة الله، فقيل له: وكيف ذلك؟.

قال: ربما يزورني الإنسان فيكون علي غلبة الحق فيرجع عنى فيعذرني، فيرجع عني وهو في رحمة الله، ومنهم من يزورني فيرى علي غلبة حال فيقع في فينقلب عني وهو في لعنة الله.

وقال السلمي: وقال أحمد بن خضرويه لأبي يزيد قدس الله أرواحهم:

إني لا أصل إلى التوبة! فقال أبو يزيد: العزة لله وأنت تطلب العزة.

وقال أبو موسى الديبلي:

قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سيرك، فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة ينعمون، وأهل النار في [ق١٩/ب] النار يعذبون، ثم وقع لك تميز عليهم خرجت من جملة المتوكلين.

وقال بعضهم: رأيت أبا يزيد في المنام فقلت له: عظني فقال:

الناس بحر عميق والبعد منهم سفينة وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة.

وقال الجنيد بن محمد قدس الله روحه:

حكى لي أبو موسى بن عيسى بن آدم البسطامي ابن أخي أبي يزيد طيفور بن عيسى: أن بدء أبا يزيد وتوبته من رحم أمه وصلب أبيه أنه كان صبياً أقل من عشر سنين إذ نبهه الله لأمره وألهمه حكمة العمل فائدة من عنده من غير تعليم، فقال [أياماً][2] لوالدته:

---

(١) نقلاً عن النور (ص٦٨).

(٢) ما بين [ ] زيادة من النور (ص٧٠).

يا والدتي أقسم عليك هل تناولت شيئاً من الحرام بسببي أيام كنت ترضعيني، فإني لا آمن أن يكون قد وصل إلي قلبي شيء من ذلك وأنا لا أعلم فيحجبني ذلك عن ربي، فقالت له أمه:

لا أذكر إلا أني دخلت يوماً إلى بعض جيراننا وأنت في حجري فأخذت قارورة دهنهم فدهنت رأسك ولم أعلمهم، ويوماً آخر كحلتك بكحلهم ولم أستأذنهم، فقال أبو يزيد:

إن الله تعالى يحاسب عباده على مثقال ذرة، ثم قال: ألا ترين إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧:٨]، وهذا أعظم من ذرة فأخشى أن يقطعني عن ربي، ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم فاستحل منهم لنفسه ولأمه.

ومن شعره:

أشار سري إليك حتى ... فنيت عني ودمت أنت
وفي فنائي فنا فنائي ... وفي فنائي وجدت أنت
محوت اسمي ورسم جسمي ... سألت عني فقلت أنت[ق٢٠/أ]
فأنت نصب خيال عيني ... فحيث ما درتُ كنت أنت

وقال: بك أدل عليك ومنك أصل إليك، ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب، وأحلى المشي إليك بالأوهام في طرقات الغيوب، اللهم ما أحسن ما لا يكون للخلق كشفه ولا بالألسنة وصفه من حيث لا تدركه العقول.

وقال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

وقال: لو بدا للخلق منه ذرة ما بقى الكون ولا ما هو فيه.

وقال: إن لله خواصاً من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار للخروج من النار.

وقال: أهل الجنة يتزاورون، فإذا رجعوا من الزيارة عرض عليهم صور فمن اختار منهم صورة لم يرد إلى الزيارة.

وقال: ليس للعبد خير من أن يكون أبداً فقيراً ليس معــه شيء، لا التــزهـــد ولا التعبد ولا العلم ولا شيء من الأشياء، فيفنى عن الجميع، فإذا فني عن الجميع كان الجميع وراءه.

وقال: بلغني أن الله تعالى يقول: من أتاني منقطعاً إليّ جعلت له حيــاة لا مــوت فيها، ومن أتاني منقطعاً إليّ جعلت له مُلكاً لا يزول، ومن أتــاني منقطعــاً إلي جعلت إرادتي في إرادته.

قال أبو موسى:

كان أبو يزيد يوم الجمعة بحذاء المنبر، وقد صعد الخطيب المنبر، وهو يخطب فلما بلغ هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:٩١].

وسمعها أبو يزيد فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر.

وسُئل أبو يـــزيد متى يبلغ الرجل حد الرجال [ق٢٠/ب] في هـــذا الأمـــــر؟ فقال: إذا عرف عيوب نفسه فحينئذ يبلغ حد الرجال في هذا الأمر، ثم يقربه الحق تعالى على قدر همته ويشرفه على نفسه الأمارة(١).

وقال رجل لأبي يزيد: سمعت أنك تسير من المشرق إلى المغـــرب في ساعـــــة، فقال: يكون هذا للمؤمن منا، إنما المؤمن الجوهراني من يطلع فيكـــون المشـــرق والمغرب عنده بين يديه فيتناول من حيث شاء وجاءه رجل، فقال: يا أبا يزيـــد رأيت الصخور والجبال يبست والناس يحتاجون إلى المطر؟ فقال لخادمـــه: انظـــر سوى الناس ميازيبهم، فقال له الرجل: تهتم لميازيبهم، ليت أن الله تعـــالى قـــد سقاهم، فقال أبو يزيد:

هم أقوام مساكين عسى الله يسقيهم، أو كما قال، فما خرج الرجل من عنـــده حتى أخذ المطر السهل والجبل، ولا رأوا منه دعاء ولا شيئاً، وإنما همّ به.

وكان [أبو يزيد(٢)] إذا رأى الآيات والكرامات يسأل الله تعالى تصديق ذلـــك، فيرى نوراً أصفر فيه مكتوب بنور أخضر:

---

(١) نقلاً عن النور (ص٧٢).

(٢) الزيادة من النور (ص٧٤).

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إبراهيم خليل الله، موسى نجي الله، عيسى روح الله»، فيأخذ من الله آياته وكراماته بخمسة من الشهودة صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك في بدئه ثم انقطع عنه ذلك وارتفع.

وقال له رجل: يا أبا يزيد مات رجل بطبرستان فحضر الناس جنازته فرأيتك مع الخضر عليه السلام في الهواء يدك على عنقه ويده على عنقك، فلما رجع الناس من الجنازة رأيتك في الهواء، قال: كان كذلك.

وكان يقول: إلهي الخلق لك، وأنت مالكهم، مالي والتكلف بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة[1].

وقال: لذّات الدنيا ثلاث:

١- صديق واد.

٢- وصحبة ملك جواد.

٣- ومجالسة مفيد ومفاد[2].

وقال: الدنيا للعامة والآخرة للخاصة، فمن أراد أن يكون من الخاصة فحكمه أن لا يشارك العامة في دنياهم، وإنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة، فمن نظر منها إلى الآخرة نجا، ومن شغل بها عن الآخرة هلك، وأظلمت مرآته[3].

وصلى أبو يزيد خلف إمام [في] بعض المساجد، فلما كان بعد ساعة أخذ الإمام يسائله: من أين تأكل؟ فقال له أبو يزيد: اصبر حتى أُعيد الصلاة التي صليت خلفك، فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرازق[4].

وسُئل عن رفع اليدين في الصلاة؟ فقال: سنة من سنن رسول الله ﷺ، ولكن اجتهد أن ترفع قلبك إلى الله ﷻ، فإنه أولى.

وقال: ربما أطلب لنفسي أشد عقوبات الله تعالى من سوء معاملتها إياي فأجيل فكري في عقوبات الله تعالى، فلا أجد شيئاً أشد من الغفلة، لأن الغفلة عن الله تعالى طرفة عين أشد من النار.

---

(١) في النور (ص٧٥).

(٢) في النور (ص٧٦).

(٣) في النور (ص٧٦).

(٤) في النور (ص٧٧).

وقال: قطعت المفاوز حتى بلغت البوادي، وقطعت البوادي حتى وصلت إلى الملكوت حتى وصلت إلى الملك، فقلت الإجازة؟ قال: قد وهبت لك جميع ما رأيت، قلت: إنك تعلم أني لم أر شيئاً من ذلك. قال: فما تريد؟ قلت: أُريد أن لا أُريد.

قال: قد أعطيناك[1].

وسُئل عن طلب العلم.

قال: إنما حسن طلب العلم وأخبار الرسول ﷺ لمن يطلب المخبر به يعني النبيﷺ، أو المخبر عنه، فأما من طلبه ليزين نفسه عند الخلق فإنه يزداد بعداً من الله ورسوله، وقال: منذ أربعين [ق٢١/ب] سنة لم أستند إلى حائط إلا حائط مسجد، أو رباط فقيل له: لم لا تستند وفي ذلك رخصة؟ فقال: سمعت الله ﷻ يقول:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧:٨]، فهل ترى من رخصة؟.

وقال أبو حفص رحمه الله:

سألت أبا يزيد عن الزهد؟ فقال: ليس للزهد منزلة، فقلت: لماذا؟.

قال: لأني كنت ثلاثة أيام زاهداً، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه، فقال أبو حفص: كيف ذلك؟.

قال: زهدت أول يوم في الدنيا وما فيها، واليوم التالي زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث زهدت فيما دون الله تعالى فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله شيء، فسمعت قائلاً يقول: يا أبا يزيد! لا تَقْوىَ معنا، فقلت:

إنما أردت هذه الكل، فسمعت قائلاً يقول لي: وجدت وجدت.

وقال أبو يزيد:

لم أزل أبكي حتى ضحكت، و لم أزل أضحك حتى صرت لا أضحك ولا أبكي.

وقال: المعارف ثلاثة:

١- معرفة العوام.

---

(١) في النور (ص٧٨).

٢- ومعرفة الخواص.

٣- ومعرفة خواص الخواص.

- **فمعرفة العوام**: معرفة العبودية، ومعرفة الربوبية، ومعرفة الطاعة، ومعرفة المعصية، ومعرفة العدو، والنفس.

- **ومعرفة الخواص**: معرفة الإجلال والعظمة، ومعرفة الإحسان والمنة ومعرفة التوفيق.

- **وأما معرفة خواص الخواص**: فمعرفة الأُنس والمناجاة، ومعرفة اللطف والتلطف،، ثم معرفة القلب، ثم معرفة السر[١].

وقُرئ بين يديه قول الله تعالى:

﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ [مريم:٨٥]، فتواجد وهام وجعل يقول: من كان عنده لا يحتاج أن يحشر لأنه جليسه أبداً[٢].

وأوصى إلى أبي موسى خادمه، فقال [ق٢٢/أ]: أوصيك بإقبالك على ربك أيام حياتك بكليتك، ولا تولّ وجهك عنه إلي وقت، فإن ناصيتك بيده وإنه لا بد لك من لقائه والوقوف بين يديه، وأنت مسئول عن جميع أعمالك فشمر لذلك، واستعد لمعادك، واعقل عن ربك، وانتبه عن رقدة الغفلة، وتيقظ من نومة الغافلين، وألق كتفك بين يدي السيد الأكبر كل صباح ومساء، والزم ذكره، واحفظ حرمته، وأحسن به الظن، ولا تؤثر أحداً عليه، واصبر على ما أصابك من البلاء، وارض بحكم الله والقضاء والقدر، وبحسن اختياره بعبده، واقنع بعطيته، وثق به وآمن لموعوده، وأيقن بوعده ووعيده، وتوكل على الحي الذي لا يموت واذكر الله، واستعن بالله الكريم في كل أمورك، واحذر منه مادمت حياً، واهرب من الخلق إليه. وفوض أمرك إليه[٣].

وخرج أبو يزيد ليلاً، فسمع صوت الحارس يهلل ويكبر ويصبح، فالتفت إلي أبي موسى خادمه، وقال: يا أبا موسى قل لهذا الحارس: كم أجرتك هذه الليلة وأضعفها له وقل له يذكر شيئاً آخر ولا يذكر عزيزي بهذه الغفلة.

---

(١) في النور (ص٨١).

(٢) في النور (ص٨١).

(٣) في النور (ص٨٣).

وقال: أشد المحجوبين عن الله ثلاث:

١- الزاهد بزهده.

٢- والعابد بعبادته.

٣- والعالم بعلمه.

ثم قال: مسكين الزاهد قد تلبس بالزهد، وجرى في ميدان الزهاد، ولو علم قلة الدنيا وفي أي شيء زهد، وقد سماها الله قليلاً، فكم ملك من القليل، وفيم زهد مما ملك وكم مقدار ما زهد فيه، أين يقع زهده في الدنيا في الزاهدين، إن الزاهد الذي يلحظ الله فيبقى عنده ولم يرجع بطرفه إلى غيره وإلى نفسه.

وأما العابد الذي يرى منة الله تعالى عليه في العبادة أكبر من [ق٢٢/ب] العبادة حتى تغرق عبادته في المنة، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر من اللوح المحفوظ، فكم علم هذا العالم من ذلك العلم وبكم عمل فيما علم.

ثم قال: العالم الذي يكون علمه الذي يشتغل به لله يأخذه عنه إذا شاء متى شاء كيف شاء بلا تحفظ ولا كتب، وآخر محجوب بزهده، وآخر بعبادته، وآخر بعلمه، والجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة يسكنون إلى الجنة، وكل من سكن الجنة سواه فهو محجوب.

وقدم عليه رجل من الكبار فقال له يا أبا يزيد: أعطيت منك ملك الدارين؟.

قال: وأي شيء يكون، إنما هما دارا إبليس، فلما انصرف الرجل وجه أبو يزيد على أثره فرده، وقال له: إن كنت صادقاً فيما ادعيت، فادع كوكباً من السماء، فبقي الرجل متحيراً وقدم عليه آخر فقال: يا أبا يزيد بلغت المبلغ.

قال: ما هو؟ قال: أعطاني أن أطير في الهواء إن شئت و أن أمشي على الماء إن شئت، وقال له: وأي شيء هذا؟ خلق من خلق الله [لا] يقع عليهم قيمة، يمشون على الماء وهم الحيتان، وخلق من خلق الله يطيرون في الهواء وهو الطيور، والعبد الجيد أن يلحظ بلحظه فيلحظ الممالك كلها في تلك اللحظة.

وقدم عليه رجلان فقال أحدهما: يا أبا يزيد جئتك من وراء سبعة أبحر بأقل من ساعة نهاري، فنظر إليه شبيه المغضب، وقال: ليس ذا بعجب إنما أعطيت قوة خطاف، وقال الآخر: جئتك من وراء المشرق بأقل من يوم، فقال: لا تخدعن

فيما أعطيت، ثم قال: كم من خلق الله يمشي على الماء ويطير في الهواء، وليس لهم عند الله كبير مقدار، وليس ذلك بعجب إنما العجب أسرار قلوب أوليائه التي لم يطلع عليها أحد من الملائكة.

وسُئل لماذا خلق الله الخلق؟ فقال: خلق الله الخلق لإظهار قدرته [ق٢٣/ أ] ويرزقهم لإظهار جوده، ويميتهم لإظهار قهره، ويحييهم لإظهار عظمته، ويحاسبهم لإظهار عدله، ويدخل المؤمنين الجنة لإظهار رحمته.

وقال: محال أن تعرفه ثم لا تحبه.

وقال: من لزم العبودية لزمه اثنان: أن يأخذه الخوف من ذنبه، ويفارقه العجب من عمله.

وقال له رجل: بلغني عنك آية أنا مؤمن بها، ولكن يعارضني فيها الشك وأحب أن تقول لي شيئاً يذهب الشك عني؟ فقال: مثل ماذا يا مسكين؟ فقال: بلغني أنك تمشى على الماء وفي الهواء، وتأتي مكة بين الآذان والإقامة، وتركع وترجع؟ فقال له: يا مسكين إن هذا الذي ذكرت ليس له خطر، وإن أعطى المؤمن هذا، فأعطى عطاء طير من الطيور ليس لها ثواب ولا عقاب، بل المؤمن أكبر على الله من الغراب، وأما ما ذكرت أني أسير ما بين الأذان والإقامة إلى مكة، فإن بعض الجن يسيرون في نحو هذا إلى مكة ويأتون بالخبر، فإن أعطى المؤمن هذا فإنما أعطي عطاء بعض الجن، والمؤمن أكرم على الله من الجن، ثم هاج واضطرب، وقال:

المؤمن الجيد الذي تجيئه مكة وتطوف حوله وترجع ولا يُشعر به حتى كأنه أُخذ[1].

وقال له رجل: إن المريدين ليسوا يسكنون من السياحة والطلب، فما لك لا تسافر؟ فقال: صاحبي لا يسافر، وأنا معه لا أسافر، فقال له السائل:

إن الماء المقيم يتغير، والوضوء منه والغسل مكروه، فقال أبو يزيد: لم يروا بماء البحر بأساً، وإن كان متغيراً، وقد قال النبي ﷺ:

«**هو الطهور ماؤه، والحل ميتته**[1]»، ثم قال أبو يزيد:

---

(١) نقلاً عن النور (ص٨٧).

أما ترى الأنهار تجري [ق٢٣/ب] ولها دويها وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها ودويّها و لم يحس بها البحر، ولا زادت فيـــه، ولا إن خرجت يتأثر بها، ثم قال: مثلك في الرجال كمثل السيل والبحر لأن السيل مادام وحده يتهادى في جريه، ويخرر في صوته، فإذا دنا من البحر وامتـــزج به يسكت فورته وخريره، فلا يحسن به البحر ولا زاد فيه ولا نقص إذا استدبر عنه[٢].

أهدى ذو النون المصري إلى أبي يـــزيد قدس الله روحيهما مصلى فلم يقبله، وقال للرسول: قل لذي النون: إن هذا يصلح لمثلك لتصـــلي عليـــه، وقـــــال: فبعث ذو النون ثانياً إليه بوسادة قد كان أبلغ في تجويدها فلما أتاه الرسول.

قال: ارجع إليه بهذه، وقل له: من كان هو وسادته لا يشتغل بوســـادتك، وكان هذا في آخر عمره حيث ذاب وذل و لم يبق منه إلا الجلد والعظم.

وكان مشايخ ناحية بسطام من أصحاب أبي يـــزيد يحدثون عنه، أنه قـــال: كان ابتداء أمري أن أقامني الحق تعالى على أبواب العلماء وصحبة المتعلمين دهراً طويلاً، فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسي تحدثني:

إنك قد علمت وعرفت والعارف والعالم في أعلى المراتب، فأشـــرف بي الحـــق تعالى حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين، فلم أر لنفسي معهم موضـــع قـــدم، فتلاشيت وانصرفت و لم أصل إلى الحق، فقلت: العلم والمعرفة من غـــير حقيقـــة حجة، وكان عندي أن الحقيقة في العلم والاجتهاد، فأقامني الحق تعالى مع المصلين في الجماعة والمحاريب دهراً طويلا حتى لم يكن يفوتني مع الإمام التكـــبيرة الأولى فأشرف بي الحق تعالى حتى أراني [ق٢٤/أ] ازدحام المصلين الراكعين الساجدين على البـــاب، فلـــم أر لنفسي موضع قدم معهم فتلاشيت وانصرفت و لم أصل إلى الحق تعالى، فأقامني مع الصائمين دهـــراً طويـــلاً، ثم أشرف ازدحام الملـــبين المُحرمين الفجاجين الثجاجين من كل فج عميق قاصدين إليه، فلم أر لنفسي معهم موضع قدم فتلاشيت وانصرفـــت، و لم أصل إلى الحق، فأقامني مـــع المجاهـــدين أضرب معهم بالسيف في وجوه أعدائه دهراً طويلاً، ثم أشـــرف بي حـــتى أراني

---

(١) رواه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (٥٩)، وابن ماجة (٣٨٦)، ومالك في الموطأ (٢٢/١)، والشافعي (٢٣/١ ترتيب المسند).

(٢) في النور (ص٨٧).

ازدحام المجاهدين القاتلين أعداءه المقتولين المزملين بكلومهم ودماءهم بين يديه فلم أر لنفسي معهم موضع قدم فتلاشيت وانصرفت، و لم أصل إلى الحق، فقلت:

إلهي: ارحمني وارحم حيرتي وأقم بعبدك مقاماً أتقرب إليك لا ينافسني فيه منافس، ولا يزاحمني فيه مزاحم، فلقد أشرفت بي على من سبقوني إليك، ورأيتني لا أطيق اللحوق بهم، فناداني الحق: يا أبا يزيد إنه لا يتقرب إلى متقرب بمثل ما يأتيني بما ليس لي، فقلت:

إلهي وما الذي ليس لك فقال: يا أبا يزيد ليس لي فاقة ولا فقر فمن ابتغى لدي الوسيلة بهما قربته من بساطي قلت:

إلهي أشرف بي على ذوي الفقر والفاقة، فإذا هم شرذمة قليلون لا أري هناك ازدحام ولا تنافس ولا أرى لهم على [ق٢٤/ب] الباب جلبة ولا صياحاً، فعاهدته أن لا أوثر على الفقر والفاقة شيئاً فها أنا معه على العهد فليس من ساعة إلا وتأتيني الكرامة الجديدة، فقلت: إلهي هذا شيء خصصتني به من خلقك.

قال: هذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليها وأنس بها.

وقال قدس الله روحه:

خرجت أول مرة إلى الحج، فغلبني الزحام وخرجت الثانية، فغلبني البيت وخرجت الثالثة، فنوديت في بعض المتاهات إلى أين يا أبا يزيد؟ قلت: إلى الحج.

قال: كم معك من الدراهم؟.

قلت: معي مائتا درهم، فقال: طف بي سبع مرات حولي وناولني المائتين فإن لي عيالاً فطفت حوله وناولته المائتين.

وقال شيخ المشايخ: سئل أبو يزيد قدس الله روحه عن التوحيد، فقال: هو اليقين، قيل: فما اليقين؟.

قال: معرفتك أن حركات الخلق وسكناتهم فعل الله لا شريك له، فإذا عرفت ربك واستقر فيك فقد وجدته. ومعناه أنك ترى الله وحده لا شريك له في فعاله وليس يفعل فعاله أحد.

وقال أبو يزيد: من عرف الله بُهت، و لم يتفرغ إلى الكلام.

وسئل عن درجة العارف؟ فقال:

ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجوده.

وقال: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله.

وقال: العارف الحقيقي يكون طعامه ما وجد، وبيته حيث أدرك، وشغله ما اتفق[1]!.

وقال: أدنى درجة العارف أن يهب له ما قد ملك.

وقال: ثواب العارف من ربه.

وقال: إذا جاء حب الله يغلب كل شيء لا حلاوة الدنيا، ولا حلاوة الآخرة الحلاوة حلاوة الرحمن.

وقال: العارف علامته: [ق٢٥/أ] خمسة أشياء أولها:

١- يقيم على باب ربه ولا يرجع عن بابه بالبر.

٢- ويقبل إليه ولا يلتفت إلى شيء يحجبه عنه.

٣- ويكون دورانه وسيرانه في مجرة أنس ربه وحول مناجاته لا يرضى من نفسه أن يشتغل بشيء دون الله ﷻ.

٤- ويكون فراره من الخلق إلى الخالق.

٥- ومن جميع الأسباب إلى ولي الأسباب[2].

وقال: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول، ما فرح بشيء قط، ولا خاف من شيء قط، والعارف يلاحظ الرب، والعالم يلاحظ النفس.

وقال: العابد يعبده بالحال والعارف والواصل يعبده في الحال.

وقال: الزاهد همه ما يأكله والعارف همه ما يأكله الزاهد يقول: كيف أصنع، والعارف يقول: كيف يُصنع.

قال: أمل الزاهد في الدنيا الكرامات وفي الآخرة المقامات، وأمل العارف في الدنيا بقاء الإيمان معه، وفي الآخرة العفو يعني للخلق.

وقال الجنيد بن محمد: قال أبو يزيد قدس الله روحيهما:

---

(١) في النور (ص٩٣) [وشغله بربه].

(٢) نقلاً عن النور (ص٩٤).

إلهي إن كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي فيها حتى لا تسع معي غيري.

وأنشد شعراً في ذلك:

ولو قلتَ جُدْ بالكل منك لنا لما ... تأبيت فيما قلته عند ذلكِ

ولو وضع المعشار مني على لظى ... لضجت من التعظيم في وجه مالكِ

فحبك فرض كيف لي بأدائه ... ولستُ لفرضٍ ما حييت بتاركِ[1]

وجلس قوم إلى أبي يزيد، فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه إليهم، وقال: منذ جلستم هو ذا أجيل فكري التمس حبة عفنة أخرجها إليكم تطيقون حملها فلم أجد.

وجاء رجل إلى أبي يزيد، فقال: أوصني؟ فقال: انظر إلى السماء [ق٢٥/ب] فنظر، فقال له أبو يزيد: من خلق هذا؟ قال: الله.

قال: إن من خلقها مطلع عليك حيث كنت أنت فاحذره.

وقال: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

وقال: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

وقال: لا يعرف نفسه من صحبته شهوة، الجنة لا خطر لها عند المحبين، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم.

وقال: طوبى لمن كان الله همه، وطوبى لمن كان هماً واحداً، ولم يشغل قلبه عبارات عيناه وسمعته أذناه، ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عن الله، زمن سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهماً يكلم به الناس، ومن سمعه ليعمل به رزقه الله فهماً يناجي به ربه، وسئل: بماذا يستعان على العبادة؟ فقال: بالله إن كنت تعرفه.

وحكي أن قوماً كانوا يستسقون بالبصرة فتقدم واحد من بعض الناس، وقال: له بحق هذا الرأس، وما فيه أن تسقيني، فصارت السماء كأفواه القرب، وانصرف الرجل إلى منزله فقال بعض من رأى ذلك منه: أن اقف وأثره

(١) نقلاً عن النور (ص٧٧).

واعرف خبره فلما حضره واستخبره، وقال له: قلت: بحق هذا الرأس و ما فيه اسقني.

قال: كنت لقيت أبا يزيد البسطامي فقال الرجل: أنا ببسطام في جواره فقال له الرجل الداعي: أنت تطلب مني الدعاء وأنت في جواره فأنت أولى به مني.

وقال موسى بن عيسى البسطامي:

سمعت أبي يقول: بينما أنا قاعد خلف أبي يزيد يوماً إذ شهق شهقة فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه وبين الله تعالى.

قلت: يا أبا يزيد رأيت عجباً؟ فقال: يا مسكين وما ذلك العجب؟.

قلت: رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى وصلت إلى الله تعالى، فقال: يا مسكين إن الشهقة الجيدة هي إذا بدت لم يكن لها حجاب يخرق.

وسئل: هل العارف يحجبه شيء عن ربه؟ فقال: يا مسكين من كان هو حجابه أي شيء يحجبه.

وسئل أيضاً: بم نالوا المعرفة؟ فقال: بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له.

وقال: ثواب العارف من ربه هو، وكمال العارف احتراقه فيه له[1].

وقال: إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبته، وإذا فارقته هان عليك أمره، والعارف إذا رأيته هبته وإذا فارقته هبته.

قال: الجوع سحاب فإذا جاع العبد مُطر القلب الحكمة.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

فقال: إنا لله: إقرار بالملك، وإنا إليه راجعون: إقرار على النفس بالهلك، وقال: أولياء الله مخدرون مع الله في حجاب الأنس به لا يراهم أحد في الدنيا والآخرة إلا من كان محرماً لهم وأما غيرهم فلا.

وكتب إليه يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله:

سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب أبو يزيد في جوابه: سكرت وما شربت من الدور، وغيرك قد شرب بحور السماوات والأرضين، وما رُأي بعد ولسانه مطروح من العطش. ويقول هل من مزيد[1]!.

---

(١) في النور (ص٩٣) باختصار.

وأنشد في هذا المعنى:

عجيب لمن يقول ذكرت ربي ... وهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأساً بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويت

وقيل له: أيصل العبد في ساعة واحدة إليه؟ قال: نعم ولكن يرد بالفائدة والربح على قدر السفر[٢].

وقال [ق٢٦/ب] يوماً: ما ذكروه جل جلاله إلا بالغفلة ولاخدموه إلا بالفترة.

وسأله رجل من أصحابه، فقال: من لا يحتاج أن يكتمه شيئاً مما يعلمه منك.
وقال: لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذللة المروضة.

وقال أبو موسى الديبلي:

سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل؟ فقال: لو أدخلت يديك في فم التنين حتى تبلغ الرسغ لا تخاف مع الله غيره، قال: فخرجت إلى أبي يزيد لأسأله عن التوكل فدفعت الباب، فقال: أليس لك في قول عبد الرحمن كفاية! فقلت: افتح الباب؟ فقال: إنك ما جئتني زائراً قد أتاك الجواب من وراء الباب، و لم يفتح لي، فمضيت ولبثت سنة، ثم قصدته، فقال:
مرحباً جئتني الآن زائراً، وبقيت عنده شهراً فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا أخبرني به وعند وداعه قلت له: أفدني فائدة أخرج بها من عندك، فقال: حدثتني أمي أنها كانت حاملة بي فكان إذا قدم إليها الطعام من حلال امتدت يدها إليه، وإذا كان شبهة انقبضت يدها عنه.

وسُئل عن علامة من يحب الله جلت عظمته؟

فقال: هو مشغول بعبادته ساجداً وراكعاً، فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر القلب، فأما من يحب الله ﷻ أعطاه سخاوة كسخاوة البحر، وشفقة كشفقة الشمس وتواضعاً كتواضع الأرض.

---

(١) في النور (ص١٠٠).
(٢) في النور (ص١٠١).

ودفع أبو يــزيد فروة إلى خياط ليصلحها فخاطها وحملها إليه، فلما مـات رؤى في المنام وسئل كيف كان حالك عند السؤال؟ فقال: جاء الرسل فقـالوا: من ربك؟ فقلت: ألمثلي يسأل عن هذا! وأنا قد حملت فروة أبي يزيد على عاتقي، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نذهب، فلا يجئ من هذا شيء.

وقال: إن أهل الحج يطوفون حول البيت يطلبون اللقاء، وأهل المحبـة يطوفـون حول العرش يطلبون اللقاء.

وكان يقول: اللهم من فعل بي سوءاً فعلاً وقولاً فاجمع عليه من همك كما تهـب الريح فتجمع الثلج في الوادي. ورأى أبو يزيد قدس الله روحه تفاحاً أحمر مليحاً، فقال: تفاح لطيف.

قال: فقيل له: يا أبا يــزيد [ق٢٧/أ] أما استحييت أن تضع اسمي على ثمـرة، قال: فأنسى اسم الله [الأعظم] أربعين يوماً، فقال: إلهي نذرت أن لا آكل مـن ثمار بسطام ما عشت[1].

ويحكى أنه قال لأصحابه ذات يوم: قمت البارحة وأنا أريد أن أذكـر الله تعالى فلم يمكني ذلك، وذلك أنه جاءتني وحشـة كلمـة قلتـها في صـباي، فقلت: كيف أذكره بلسان جرى عليه ما جرى ونطق ما نطق.

وقال شيخ المشايخ قدس الله روحه: سمعنا المتقدمين يقولون: إن أبا يــزيد قال: إذا أمر الأستاذ التلميذ أمراً من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه فمر في بعض طرقاته بمؤذن يقيم الصلاة في مسجد من المساجد، فيقول: أدخل أولاً المسجد وأصلي، ثم أكون وراء ما بعثني إليه فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها يعني ليس لها قعر[2].

وقال أبو يزيد:

حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصراً غيره ولا لرزقك خازناً غيره، ولا لعملك شاهداً غيره[3].

---

(١) في النور (ص١٠٧).

(٢) الكلام هنا يختص بصلاة الجماعة لا بالصلاة ذاتها، وصلاة الجماعة مختلفٌ فيها، فقد ذكر أهل العلم خمسة أقوال في حكمها: فرض، واجب، واجب على الكفاية، سنة مؤكدة، مستحبة.

(٣) في النور (ص١٠٨).

وقال: الخلق يظنون أن الطريق إلى الله تعالى أشهر من الشمس وأبين منها، وإنما سؤالي منه أن يفتح علي من الطريق إليه ولو بمقدار رأس إبرة.
وقيل له: ما أعظم آيات العارف؟ قال: أن تراه يُؤاكلك ويشاربك ويمازحك ويبايعك ويشاريك، وقلبه في ملكوت القدس، هذا أعظم الآيات.

وقيل له: متى يبلغ الرجل مقام الرجال في هذا الأمر؟ فقال: إذا عرف عيوب نفسه وقويت همته لها، وأن تعلم أنك الرجل السوء، ولكن إذا صوفحت وسكنت فتقع في التهمة.

قال أبو موسى الديبلي:

سألت أبا يزيد البسطامي عن [ق٢٧/ب] حقيقة التصوف؟ فقال: التصوف نور شعشعاني رمقته الأبصار فلاحظها.

وقال أبو يزيد:

النفس تنظر إلى الدنيا، والروح تنظر إلى العقبى، والمعرفة تنظر إلى المولى، فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين، ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين.

وحُكي أنه قصد في بدء أمره زيارة رجل من القوم ومشي مسيرة سبعمائة فرسخ، فلما رآه وجده سميناً فندم على القدوم عليه، فتوسم الرجل في ذلك، فقال له: يا أبا يزيد لا تفسد مسيرك إلى سبعمائة فرسخ، فإن من فرحي به سمني.

وحُكي عن بعضهم أنه قال: حضرت مشهد الشيخ أبي يزيد قدس الله روحه، فإذا أنا بعصفور يريد أن يصطاد نملة وكان يسير مسرعاً ليدركها حتى قربت من القبر، فلما بلغ قريباً من القبر انصرف عنها وتركها، فعلمت أنه إنما تركها حرمة وحشمة لذلك الشيخ فتعجبت منه.

وقال أبو يزيد قدس الله روحه:

قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.

وروي أنه أذّن مرة، ثم أراد أن يقيم فنظر في الصف، فرأى رجلا عليه أثر سفر فتقدم إليه وكلمه بشيء: فقام الرجل وخرج من المسجد، فسأله بعض من حضر فقال الرجل: كنت في السفر [فأجنبت] فلم أجد الماء فتيممت ونسيت،

ودخلت المسجد فقال لي أبو يـــزيد: لا يجوز التيمم في الحضر فتذكرت ذلـــك وخرجت.

قال: اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصـــلح لحمـــل المعرفة صرفاً فأشغلهم بالعبادة، وقال: إن في الليل والنهار لشراباً لقلـــوب أهـــل المعرفة، فإذا شربوا طارت قلوبهم في الملكوت حباً لله وشوقاً إليه، فبذلك يقطعون لياليهم إذا أظلمت عليهم، ألا وإن الناظرين إليه لا [إلى غـــيره] ذهبـــوا بصـــفو الدنيـــا والآخـــرة، ثم أنشد:

غرســـت الحـــب غرســـاً في فـــؤادي ... فلا أســـلوا إلى يوم التنـــــاد

جرحـــــت القلـــب مـــني بإتصـــال ... فشوقي زايد والحب بـــادي

ســـــقاني شـــــربة أحيـــا فـــؤادي ... بكأس الحب من بحر الـــوداد

فلـــــولا الله يحفـــــظ عارفيـــــه ... لهام العـــارفون بكـــل وادي

وروي أنه غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له، فقال له صاحبه: تعلـــق الثياب على جدران الكروم، فقال: كيف نغرز الوتد في جـــدران النـــاس بغـــير إذنهـــم؟ فقال: نعلقه على الأشجار، فقال: إنه يكسر الأغصان، فقال: نبســـطه على الأدخر، فقـــال: إنه علف الدواب لا يسره عنها، فولى ظهره إلى الشـــمس وجعل القميص على ظهره حتى جف جانب، ثم قلبه على الوجه الآخر حتى جف جانبه الثاني.

وقيل: إنه دخل يوماً إلى الجامع فغرز عصاه في الأرض، فسقطت ووقعت علـــى عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الأرض، فأسقطها فانحنى الشيخ وأخذ عصـــــاه، فمضـــى أبو يزيد إلى بيت ذلك الشيخ واستحله، وقال: إنما أحتـــاج ســـجني بسبب وقوع عصاي على عصاه، ورأى رجلاً، فقال له:

ما حرفتك؟ فقال الرجل: خربنده[1]، فقال له [ق٢٨/ب] أبو يـــزيد: أمات الله حمارك! لتكون عبد الله لا عبد الحمار.

---

(١) كلمة فارسية تعني سائق عربة يقودها حمار، أو مهنة حمّار، والله أعلم.

وقال: حظوظ كرامات الأوليات مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهي: هو الأول، والأخر، والظاهر، والباطن، فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما يجرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما يسبق، ومن لاحظ الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله، وكلٌ كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الله ببره.

وسئل عن المعرفة، فقال:

إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، ثم قال: للخلق أحوال، ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته لهوية غيره، وغيبت أثاره بآثار غيره، والعارف طيار، والزاهد سيار، والعارف لا يرى في يقظته ولا في نومه غير الله، ولا يوافق غير الله ولا يطيع غير الله.

وقال: إن الله خلق إبليس كلباً من كلابه، وخلق الدنيا جيفة لإبليس، ثم أقعد إبليس على آخر طريق الدنيا وأول طريق الآخرة، وقيل له انظر كلما وجدت في عمل عبد من عبادي شيئاً من جيفتك فقد سلطتك عليه.

وقال: نظرت فإذا الناس في الدنيا يتلذذون بالنكاح والطعام والشراب وفي الآخرة بالمنكوح والملذوذ، فجعلت لذتي في الدنيا ذكر الله تعالى ﷻ: وفي الآخرة النظر إلى الله تعالى.

وحُكي عن يحيى بن معاذ أنه رآه في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزاً على صدور قدميه رافعاً أخمصها مع عقبيه عن الأرض ضارباً بذقنه على صدره شاخصًا بعينه لا يطرف.

قال: ثم سجد عند السَّحر فأطال، ثم قعد، فقال:

اللهم إن قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء فَرَضُوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الهواء فرضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبت لهم الأعيان فرضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، حتى عد نيفاً وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء، ثم التفت فرأني، وقال: يحيى! قلت نعم يا سيدي:

قال: منذ متى أنت هنا قلت: منــذ حين، فسكت، فقلت: يا ســيدي حــدثني بشيء! فقال: أحدثك بما يصلح لك، أدخلني في الفلك الأســفل، فــدوربي في الملكوت السفلي، فأراني الأرضيين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلــني في الفلــك الأعلى، فطوف بي السماوات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه، فقال: سلني أي شيء أردت حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسلك إياه، فقال: أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلي صدقاً لأفعلن بك فذكر أشياء.

قال ابن معاذ: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه، فقلت: يــا ســيدي! ألا سألته المعرفة وقد قال لك مالك الملوك: سلني ما شئت؟ قال: فصاح بي صيحة، وقال: اسكت ويلك، عزّت عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه.

قــال الشيــخ أبو طالب المكي رحمه الله بعد هذه الحكاية: هذا حال عبــد [ق٢٩/ب] عن نفسه مأخوذ، إذ كان ربه له موجوداً طاول مقامه المقامــات، فقصرت به عن وصفه الصفات.

وحُكي أن الشيخ أبا تراب النخشبي رحمه الله كان معجباً ببعض المريــدين، وكان يخدمه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته، فقال له أبو تراب يوماً:

لو رأيت أبا يــزيد، فقال: أنا عنه مشغول، فلما أكثر عليه لو رأيت أبا يــزيد هاج وجد المريد؟ فقال: ويحك وما أصنع بأبي يــزيد؟.

وقد رأيت الله ﷻ فأغناني عن رؤية أبي يــزيد، قال أبو تــراب: فهــاج طبعــي فلم أملك نفسي، فقلت: ويلك تغتر بالله تعالى، لو رأيت أبا يــزيد مرة كان أنفع لك من أن ترى الله تعالى سبعين مرة.

قال: فبهت من قولي وأنكره، وقال: كيف ذلك؟ فقلت له: إنك إنما ترى الله ﷻ بما عندك، فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يــزيد عند الله فيظهر لك علــى مقداره يعني يظهر لك من تجلي صفــات الجــلال، والجمــال، وغيرهــا على مقدار حال أبي يــزيد.

قال: فعرف ما قلت، فقال: احملني إليه، فذكر قصةً كان في آخرها: فوقفنا على تل ننتظره ليتحرك إلينا من الغيظة، وكان يأوي إلى غيظة فيها سباع.

قال: فمر بنا أبو يـــزيد، وقد قلب أبو يـــزيد فروة طويت على ظهـــره، فقلت للفتى: هذا أبو يـــزيد، فانظر إليه فنظر الفتى إليه وصعق فحركناه، فإذا هو ميت فقلت لأبي يـــزيد: يا سيدي: قتلت صاحبنا، أو قال نظره إليـــك قتلـــه، فقال: لا ولكن صاحبك كان صادقاً، وأسكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه، فضاق عن حمله لأنه كـــان في مقـــام الضـــعفاء [ق٣٠/أ] ضعفاء المريدين فقتله ذلك ورضي الله عنهم.

وقال الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني: في كتاب الحلية بعد أن ذكر مناقبه وكلامه: اقتصرنا على هذا المقدار من كلامنا لما فيه من الإشارات العميقة التي لا يصل إلى الوقوف على مودعها إلا من غاص في بحره، وشرب من صافي أمواج صدره، وفهم بأقباب[1] سره المتولدة المنتشرة من سُكره، وهذا آخر ما وفق الله الكريم بذكره في مناقبه قدس الله روحه.

* * *

(١) بأقباب: تعني الأقداح.

خاتمة للباب

وهي مشتملة على فصلين:

الأول: في معني الشطح على لسان القوم.

والثاني: في ذكر بعض ما نُسب إليه من ذلك قدس الله روحه، وما قاله الأئمة في معناه.

الفصل الأول: في معنى الشطح[1] كان الشيخ أبو نصر السراج قدس الله روحه إن سأل سائل ما معنى الشطح؟.

فيقال: معناه عبارة مستغرقة في وصف وجد قام بقوته، وهاج بشدة غلباته، وبيان ذلك أن الشطح في لغة العرب:

هو الحركة، يقال: شطح يشطح إذا تحرك، ويقال للبيت الذي يكون فيه الدقيق: المشطاح، وإنما سمي ذلك البيت المشطاح من كثرة ما يحركون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذي يكون به! وربما يفيض الدقيق من جانبيه من كثرة ما يحركونه، فالشطح نقطة مأخوذة من الحركة لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم فيعبرون عن وجدهم ذلك بعبارة يستغربها سامعها فمفتون هالك بالإنكار والطعن عليها إذا سمعها، وسالم ناج يرفع الإنكار عنها، والبحث عما يشكل عليه منها بالسؤال عن تعلم علمها، ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى في نهر ضيق يفيض من جانبيه، يقال: شطح الماء في النهر، فكذلك المريد الواجد إذا قوي وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه شطح ذلك على لسانه، ويترجم عليها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعها، إلا من كان من أهلها، ويكون [ق٣٠/ب] متبحراً في علمها فسمى ذلك على لسان أهل الإصلاح، شطحاً.

وبعد هذا: فإن الله تعالى فتح على قلوب أوليائه، وأذن لهم بالإشراف على درجات متعالية بالتوجه والانقطاع إليه بكشف ما كان مستتراً عنهم قبل ذلك

---

(١) انظر: الفتح في تأويل الشطح، والأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء الصوفية، للشيخ للشعراني قدس الله روحه.

من مراتب صفوته ودرجات أهل الخصوص من عباده، فكل واحد منهم ينطق بحقيقة ما وجد، ويصدق عن حاله، ويصف ما ورد على سره بنطقه ومقاله؛ لأنهم لا يرون حالاً أعلى من حالهم حتى يحكموها فإذا أحكموها فعند ذلك يسمون بهمتهم إلى حالة أعلى من ذلك حتى تنتهي الطرق، والأحوال، والأماكن إلى غاية نهاية هي أعلى النهايات وغاية الغايات، قال الله عز وجل:
﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٧٦]، وقوله تعالى:
﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ [الزخرف:٣٢]، وقال:
﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [الاسراء:٢١]، وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في أوليائه ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم، وما يشكل على فهمه من كلامهم لأنهم في أوقاتهم متفاوتون وفي أحوالهم متفاضلون، ومتشاكسون ومتجانسون بعضهم لبعض، ولهم أشكال ونظراء معرفون، فمن بان فضله وشرفه على أشكاله بفضل علمه وسعة معرفته، فله أن يتكلم في عللهم ونقصانهم وزيادتهم، ومن لم يسلك سبلهم ولم ينح نحوهم ولم يقصد مقاصدهم، فالسلامة له في رفع الإنكار عليهم، وأن يكل أمورهم إلى الله تعالى ويتهم نفسه بالغلط فيما ينسبه إليهم من الخطأ، وبالله التوفيق.

* * *

الفصل الثاني
في ذكر بعض ما نسب إليه من ذلك، فمن ذلك ما نقل عنه قوله: «سبحاني سبحاني[(١)]».

قال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله:

وقد قصدت بسطام [ق٣١/أ] فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول:

لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائما أبا يزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

وكذا قال: شيخ شيوخنا الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف:

وما يحكى عن أبي يزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق.

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يزيد يسرف في الكلام، وقال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول:

«سبحاني سبحاني ما أعظم شأني» فقال لي الجنيد:

إن الرجل مستهلك في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به و لم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضناً من الحق به، ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن

---

(١) قال أبو عثمان المغربي عن هذه الحكاية: هي عين الفناء. وانظر: شذرات الذهب (١٤٣/١)، ووفيات الأعيان (١٠٠/٢).

اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه و لم يكن من شهوده إيــاه فيه، وقيـــل لـــه: من أنـــت؟.

قال: أنا من ليلى، ومن ليلى أنا.

وأما ما حُكي عنه قوله: ضربت خيمتي «بإزاء العرش» فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحــت العــرش، أو بإزاء العرش يعني: وجهت وجهي [ق٣١/ب] نحو ملك العرش، ولا يوجــد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن.

و أما ما حُكي عنه أنه قال: «خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله» فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم، ونذكر هنا ما قاله الشــيخ الكــبير أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه فإنه أقرب إلى أفهام الناس.

قال: إنما يشكو أبو يــزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر علــى ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفــت حيــث وقفوا.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله:

وهذا الذي فسربه الشيخ كلام أبي يــزيد هو اللائق بمقام أبي يــزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلــئ عســلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يــزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

وحُكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المســجد ينتظره، فجاء ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبــــو يــــزيد و لم يجتمع بــه، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشــريعة كيــف يؤمن على أسرار الله، وما جاء عن الأكابر أُولي الاستقامة مع الله سبحانه مــن أقوال وأفعالٍ يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه مــن اســتقامتهم وحُســن طريقتهم، وقد قال ﷺ:

«ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً[١]» انتهى كلامه.

وأما قوله في بعض كلامه [ق٣٢/أ]: رفعني وأقامني بين يديه، يعني: أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهم نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة، والله تعالى أعلم.

وأما قوله: قال لي وقلت له، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر خطر بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار، ما يقع في القلوب بدؤه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله، فهذا على هذا المعنى، والله أعلم.

وفيما ذكرته كفاية وهذا الباب واسع، وقد شرح الشيوخ ما نسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم.

قال الجنيد قدس الله روحه:

الحكايات عن أبي يزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه.

وقال الجنيد أيضاً:

---

(١) قلت: إنما هو من كلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله، من ثماني عشرة كلمة كلها حكم، وقد روى الجزء الذي ذكره المصنف، المحاملي في أماليه (ص٣٩٥)، وذكرها العجلوني في كشف الخفاء (١/٤٥)، تاماً عن عمر.

ورواها بتمامها البيهقي في الشعب (٦/٣٢٣)، من طريق يحيى بن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كتب إلى بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن صنع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت ... فذكر الأثر.

وكأن كلام أبي يـــزيد رحمة الله عليه بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده[1] [ق٣٢/أ].

وقال الجنيد أيضاً:

[كل] الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا.

وقال أبو الحسين:

ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبـــة لا يجـــوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها. وقال الشيخ أبو عبد الرحمن الســـلمي: سمعـــت علي بن بندار، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول: بلغني أن أبا حفـــص قـــدم على أبي يزيد، فقال له: يا أبا يـــزيد: يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكـــرة، فقال: إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي، والله أعلم.

* * *

(١) وهذا دقيق منه وحقيق رضي الله عنه، فالناظر في كلام سيدي أبي يزيد يعرف أنه لسان نسيج وحده.

وفي كل عباراته مباغتة مبهتة جرت على لسانه بإذن الله تنبيها وتحفيزاً للسامع كي يتوصل إلى ما خفي من الحقائق خلف ستار الغيب.

القسم الثاني
في ذكر مناقب أشياخه من أهل البيت، وهو مشتمل على فصول:
الفصل الأول
في مناقب جعفر الصادق ﷺ[1]

وهو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الهاشمي المدني، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، و أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ ولذلك قال: ولدني أبو بكر مرتين. واتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته.

قال عمرو بن المقدام:

كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.

قال البخاري في تاريخه:

ولد جعفر سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر، وجده علي زين العابدين، وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه، وأشرفه!

روى عنه محمد بن إسحاق، ويحيى الأنصاري، ومالك بن أنس والسفيانان، وابن جريج، وشعبة، و يحيى القطان، وآخرون عن الليث بن سعد رحمه الله [ق٣٣/أ] قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة، فلما صليت العصر رقيت جبل أبي قبيس فإذا رجل جالس وهو يدعو فقال:

يا رب يا رب، حتى انقطع نفسه.

ثم قال: يا رباه يا رباه، حتى انقطع نفسه.

ثم قال: رب رب رب حتى انقطع نفسه.

---

(١) انظر: طبقات الحفاظ(١/١٣١)، ومآثر الإنافة (١/١٧٩)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/٢٨)، ووفيات الأعيان (١/٣٢٧)، وشذرات الذهب (١/٢٢٠)، والأعلام للزركلي (٢/١٨١).

ثم قال: يا الله يا الله حتى انقطع نفسه.

ثم قال: يا حي يا حي حتى انقطع نَفَسه.

ثم قال: يا رحيم يا رحيم حتى انقطع نفسه.

ثم قال: يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات.

ثم قال: اللهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه، وإن برديّ قد خلقا -يعني ثوبيه- قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين فأراد أن يأكل، فقلت له: أنا شريكك، فقال: و لم؟ قلت: لأنك كنت تدعو، وأنا أؤمِّن، فقال لي تقدم وكل ولا تخبئ منه شيئاً، فتقدمت وأكلت شيئاً، لم آكل مثله: عنب ليس له عجم قط، فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص شيئاً.

ثم قال لي: خذ أحب البردين إليك فقلت له:

أما البردان فأنا غني عنهما.

ثم قال لي: توار عني حتى ألبسهما، فتواريت عنه فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلها على يده ونزل فاتبعته، حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: ألبسني كساك الله يا ابن رسول الله فدفعهما إليه فلحقت الرجل فقلت له: من هذا؟.

قال: جعفر بن محمد، فطلبته لأسمع منه شيئاً، فلم أجده رضي الله عنه.

وروي أنه طلبه الخليفة أبو جعفر المنصور وقد غضب عليه ووعده بالقتل، فلما دخل عليه تهدده، وقال له: اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغية الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك، فقال: يا أمير المؤمنين: إن سليمان [ق٣٢/ب] عليه السلام أُعطي فشكر، وإن أيوب عليه السلام أُبتلي فصبر، وإن يوسف عليه السلام ظُلم فغفر، فذهب غيظ المنصور وشره وجاء سروره وخيره ورضي عن جعفر الصادق وأثنى عليه، فلما خرج من عنده، قيل له: ماذا قلت حين دخلت؟

قال: قلت:

«اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام، واغفر لي»،

أو قال: «**وارحمني بقدرتك عليّ، لا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أجل وأكبر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شره**».

ومن كلامه أنه قال لسفيان الثوري لما قال له سفيان: لا أقوم حتى تحدثني: أما إني أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد ومن الشكر عليها، فإن الله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [ابراهيم:٧]، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله تعالى قال في كتابه:

﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**﴾ [نوح:١٠:١٢]، يعني في الدنيا والآخرة: ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾ [نوح:١٢]، يا سفيان إذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة، فعقد سفيان بيده وقال: ثلاث وأي ثلاث، قال جعفر: عقلها [والله] أبو عبد الله ولينفعه الله بها.

وقال سفيان الثوري:

سمعت جعفر الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول فإن [ظلت في الخمول] لم توجد فيه، فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول، لم توجد في التخلي فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي فإن [لم]توجد في الصمت فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة [ق٣/أ] ومن وجد في نفسه خلوة فليشتغل بها.

* * *

الفصل الثاني
في مناقب أبي جعفر محمد الباقر[١]

سُمي به لأنه بقر العلم أي: شقه فعرف أصله وعلم حقيقته، والتبقر هو [التوسع] وسمي الأسد «باقر» لأنه يبقر بطن فريسته، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهو تابعي جليل إمام مجمع على جلالته معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم، روى له البخاري ومسلم.

قال مصعب الزبيري:

توفي سنة أربع عشرة ومائة.

قال: قال يحيى بن معين:

سنة ثمان عشرة وقال ابن المديني: سنة سبع عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال الواقدي:

ابن ثلاث وسبعين سنة، وفي تاريخ البخاري عن ابنه جعفر أنه توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة رحمه الله.

حُكي أنه لما حج محمد الباقر ودخل المسجد نظر إلى البيت، وبكى حتى علا صوته، فقيل له: إن الناس ينظرون إليك فلو خفَضت صوتك قليلاً، فقال:
ولم لا أبكي لعل الله أن ينظر إلى بوجهه فأفوز بها عنده غداً، ثم طاف بالبيت وركع خلف المقام ورفع رأسه من السجود، فإذا موضع سجوده مبتل بدموع عينيه.

وعن جابر الجعفي قال: قال محمد بن علي: إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب، فقيل له: وما حزنك، وما شغل قلبك؟.

قال: إنه من [صافي خالِص] دين الله شغله عما سواه.

---

(١) انظر: طبقات الحفاظ (٥٦/١)، وحلية الأولياء (١٨٠/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٢/٤)، ووفيات الأعيان (١٠٠/٢، ١٠٥)، والطبقات الكبرى للشيخ الشعراني (٢٨/١)، وشذرات الذهب (١٤٩/١).

يا جابر ما الدنيا، وما عسى أن تكون هل هو إلا مركب ركبتــه؟ أو ثـــوب لبستـــه، أو امرأة أصبتها؟ يا جابر! إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيهـــا، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بـــآذانهم مـــن الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبـــرار، وان أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم مودة، وأكثرهم في ذلك معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله [ق٣/ب] قوامين بأمـــر الله، فأنـــزلوا الدنيا بمنـــزلة منـــزل نـــزلت به وارتحلت عنه، أو كمال أصـــبته في منامك فاستيقظت وليس عندك منه شيء فاحفظ الله ﷻ ما استرعاك مـــن دينه وحكمته.

قوله: من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه: أشار بذلك إلى المحبة لأن صافي خالص دين الله يستلزم محبة الله ﷻ حقيقة في القلب الذي حل فيـــه فحينئذ يشتغل بالمحبوب عما سواه فلا يسمع ولا يبصر إلا به، ومنه قول القائل:

حبيب قلبي به سمعي به بصري

وعليه يدل الحديث «**حبك الشيء يعمي ويصم**[1]».

* * *

(١) رواه أبو داود (٤/٣٣٤)، وأحمد في مسنده (٥/١٩٤)، (٦/٤٥٠)، والطبراني في الشاميين (٢/٣٤٦)، والقضاعي في الشهاب (٢/٣٤٠)، والبيهقي في الشعب (١/٣٦٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١٠٧)، مرفوعاً وموقوفاً عن أبي الدرداء.

الفصل الثالث
في مناقب أبي الحسين علي بن الحسين رضي الله عنهما

وقيل: أبو الحسن، وقيل: أبو محمد زين العابدين مفخر القانتين التابعي[1]
قال يحيى الأنصاري: هو أفضل هاشمي رأيته بالمدينة.
وقال الزهري: لم أدرك بالمدينة أفضل منه، وقال حماد بن زيد: كان أفضل هاشمي أدركته.

قال أحمد بن صالح ﷺ:

ولد ﷺ في سنة خمسين، وقال يعقوب بن سفيان: ولد سنة ثلاث وثلاثين.
وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وكان يقال لها: سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها منهم.
قال محمد بن سعد، وكان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً، ولما توفي وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في السر، وكان إذا توضأ اصفرّ لونه، وإذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعده ونفضته، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم؟ ومن أريد أن أناجي؟.

وروي أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، ولا يدع صلاة الليل في السفر [ق٣٤/أ] والحضر، وكان إذا هاجت الريح خر مغشياً عليه، ووقع حريق في بيت هو فيه وهو ساجد فجعلوا يقولون يا ابن رسول الله: النار! فما رفع رأسه، فقيل له في ذلك لما رفع رأسه! فقال: ألهتني عنها نار الأخرى، وكان كثير البر بأمه فقيل له: أنت أبر الناس بأمك فلم لم تأكل معها في صفحة؟، فقال: أخاف أَن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها.
وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي، وتقبح سريرتي، وكان يقول: إن قوماً عبدوا الله ﷻ رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١١/٥)، وطبقات الحفاظ (٣٧/١)، وحلية الأولياء (١٣٣/٣).

عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار، وكان لا يحب أن يعينه على طهوره أحد، كان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ، ويأخذ في صلاته ويقضي ما فاته من ورد النهار بالليل، وكان إذا مشي لا تجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده، وكان يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، ويكون بالغد جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الحق وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن شك وأنكر النشأة الأخرى، وهو يرى النشأة الأولى، عجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.

وقال ابنه محمد الباقر: أوصاني أبي، فقال:

لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق:

- لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، قلت: يا أبتي! وما دونها؟. قال يطمع فيها، ثم لا ينالها.
- ولا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون [ق٣٤/ب] إليه.
- ولا تصحبن كذاباً فإنه بمنـزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد.
- ولا تصحبن أحمقاً فإنه يريد أن ينفعك يضرك، وقد قيل «عدو عاقل خير من صديق أحمق[1]».
- ولا تصحبن قاطع رحم فإنني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاث مواضع.

وروي أنه تكلم رجل في زين العابدين، وافترى عليه، فقال له زين العابدين:

إن كنت كما قلت فأستغفر الله وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك فقام إليه الرجل، وقبل رأسه.

وقال: جعلت فداك لست كما قلت فاغفر لي.

قال: غفر الله لك، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/٧٢) على أنه ليس بحديث.

وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثار عليه العبيد والموالي، فقال لهم زين العابدين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل الرجل عليه، وقال: ما ستر عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى [إليه] خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل.

ودخل على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل محمد يبكي فقال له: ما شأنك؟ قال: عليّ دين، قال: كم هو؟.

قال: عشرة آلاف دينار، فقال: هو عليّ، وأقبل خادم له مسرعاً بشواء من التنور لضيف عنده فسقط من يده على بنيّ له فأصاب رأسه فقتله، فقال له: أنت حر لوجه الله لأنك لم تتعمد، وأخذ في جهازه ابنه.

ولما حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر فلم يُمْكنَه، وجاء زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلم الحجر، ونصب لهشام منبر فقعد عليه فقال له أهل الشام: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه، فقال الفرزدق: لكن أعرفه، هذا علي بن الحسين [ق٣٥/أ[1]]:

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عد أهل النفن كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلة ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العُرْبُ تعرف ما أنكرت والعجم
يغضي حياء ويُغضى من مهابته ... ولا يكلم إلا حين يتبسم

---

(١) الأبيات في ديوان الحماسة (٢/٢٨٤)، والأغاني (١٠/٣٧٨، ٣٨٠)، (١٥/٣١٥)، (٢١/٣٧٨)، وصبح الأعشى (١١/٢٦١)، وخزانة الأدب (٢/٣٧٨).

الفصل الرابع

في مناقب أبيه أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب[١] رضوان الله عليهم.

سبط رسول الله ﷺ وريحانته هو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة.

ولد ﷺ في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، قاله الزبير بن بكار وغيره.

قال جعفر بن محمد:

لم يكن بين الحمل بالحسين وولادة الحسن إلا طُهر واحد، وتوفي ﷺ مقتولاً شهيداً يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق.

وروى الترمذي عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط**[٢]».

وقال الترمذي: حديث حسن.

قال الزبير بن بكار: [ق٣٥/ب] حدثني مصعب قال: حج الحسين ﷺ خمساً وعشرين حجة ماشياً، قالوا: وكان الحسين ﷺ [فاضلاً] كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير جميعاً.

وروي أنه لما نزل القوم به، وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت

---

(١) انظر: نسب قريش (٥٧)، التاريخ الكبير (٣٨١/٢)، وطبقات خليفة (٩، ١٤٨٣، ١٩٦٩)، الحلية (٣٩/٢)، المستدرك للحاكم (١٧٦/٣)، الكامل لابن الأثير (٤٦/٤)، تهذيب الأسماء واللغات (١٦٢/١/١)، أسد الغابة (١١٧٣)، الإصابة (١٧٢٩). تهذيب الكمال (٢٩٠)، شذرات الذهب (٦٦/١)، والذرية الطاهرة للدولابي (ص٦٨).

(٢) **حديث حسن**: رواه الترمذي (٦٥٨/٥)، وقال: حديث حسن وأورده الهيثمي في المجمع (١٨١/٩)، وعزاه للطبراني في الكبير، وحسنه، ورواه ابن ماجه (٥١/١)، وقال البوصيري في المصباح (٢٢/١): إسناد حسن رجاله ثقات.

وتنكرت، وأدبر معروفها وانصرمت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء إلى خسيس عيش كالمرعى الوبيل.

ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله ﷻ، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرماً.

* * *

الفصل الخامس

في مناقب أبيه سيد علماء هذا الطريق ومقدمهم [على التحقيق] ومن هو إلى هذا العلم بابهُم، أبي الحسن(١)

وكنّاه رسول الله ﷺ أبا تراب فكانت أحب ما ينادى به إليه، [أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي المكي المدني الكوفي ابن عم رسول الله ﷺ].

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في قبرها.

وهو صهر رسول الله ﷺ على فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم.

وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد [ق٣٦/أ] الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، أحد السابقين إلى الإسلام.

وقد اختلف العلماء في أول من أسلم من هذه الأمة، فقيل: خديجة، وقيل: أبو بكر، وقيل: علي رضي الله عنهم، والصحيح خديجة، ثم أبو بكر، ثم علي، ونقل الثعلبي إجماع العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وإنما الخلاف في

---

(١) انظر: الرياض المستطابة (١٦٣)، الاستبصار (٣٩٠)، تاريخ بغداد (١٣٣/١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٦/٤، ١٨٩)، التاريخ لابن معين (٤٩/٢)، الزهد لوكيع (١٠١٤)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٦٦)، التاريخ الصغير للبخاري (٤٣٥/٥)، الرياض النضرة (٢٠١/١)، الاستيعاب (١٨٧٥)، أسد الغابة (٣٧٨٩)، الإصابة (٥٧٠٤)، حلية الأولياء (٨٧/٢)، ومعرفة الصحابة (٤/١) بتحقيقنا، البداية والنهاية (٢٢٣/٧)، معرفة القراء الكبار (٣٠/١)، صفة الصفوة (٣٠٨/١)، التحفة اللطيفة (٢٢٦/٣)، تهذيب الكمال (٩٧١/٢)، تهذيب التهذيب (٣٣٤/٧)، تقريب التهذيب (٤٨/١)، سجع الحمام في حكم الإمام، دستور الحكم للقضاعي، الأسد الغالب لابن الجزري.

الأول بعدها، والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبـــو بكـــر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيـــد بلال بن رباح.

قال العلماء: أسلم علي ﷺ وهو ابن عشر سنين، وقيل: ابن خمس عشـــرة سنة حكوه عن الحسن البصري، وقيل غير ذلك.

واستخلفه النبي ﷺ حين يهاجر من مكة إلى المدينة أن يقيم بعده بمكة أيامـــاً حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي ﷺ ثم يلحق بأهله، ففعل ذلك، وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنيناً والطائف، وسائر المشاهد إلا تبوك، فإن النبي ﷺ استخلفه علـــى المدينة، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة.

وأما علمه فكان من العلوم بالمحل العالي.

وروي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً، اتفـــق البخاري ومسلم منها على عشرين حديثاً، انفرد [ق٣٦/ب] البخاري بتســـعة ومسلم بخمسة عشر حديثاً، روى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمـــد بـــن الحنفية وجماعة من الصحابة ومن التابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

أعطى علي تسعة أعشار العلم والله لقد شاركهم في العشر الباقي، وســـؤال كبار الصحابة له ورجوعهم إلى فتاويه، وأقواله في المواطن الكـــثيرة، والمســـائل المعضلات مشهورة.

وأما زهده، فهو من الأمور المشهورة التي اشترك في معرفتها الخاص والعام.

ومن كلامه في الزهد قوله:

الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب.

وفي مسند الإمام أحمد، وغيره أنه قال:

لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار، وفي رواية أربعين ألف دينار[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٩/١)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص١٣٣).

قال العلماء: لم يرد به زكاة مال يملكه وإنما أراد الوقوف التي تصدق بها وجعلها صدقة جارية، وكان الحاصل من عدتها مبلغ هذا القدر، قالوا: ولم يدخر قطر مالا يبلغ هذا المبلغ، ولم يترك حين توفي إلا ستمائة درهم.

وقال سفيان بن عيينة: ما بنى علي بن أبي طالب لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة.

وروي أنه كان عليه إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم، والأحاديث الواردة في الصحيح في فضله في كل شيء كثيرة جداً.

ولي الخلافة خمس سنين وقيل: خمس سنين إلا أشهر، بويع له بالخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان ﷺ لكونه أفضل الصحابة حينئذ وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

وقال سعيد بن المسيب: لما قُتل عثمان جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار علي فقالوا [ق٣٧/أ]: نبايعك فأنت أحق بها، فقال: إنما ذلك لأهل بدر فمن رضوا به فهو الخليفة فلم يبق أحد منهم إلا أتى علياً فلما رأى ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة، ثم بايعه الباقون.

ولما دخل الكوفة قال له بعض حكماء العرب: لقد زِنْتَ الخلافة وما زانَتْكَ وهي كانت أحوج إليك منك إليها.

وتُوفي ﷺ في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين وغّسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، وكُفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة.

ولما ضربه ابن ملجم قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة، ولما فرغ من وصيته قال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلم إلا بذكر لا إله إلا الله حتى تُوفي، ودُفن في السَّحر، وصلى عليه ابنه الحسن، وتُوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح، وهو قول الأكثرين.

وكان ﷺ آدمَ اللون، أصلع، رِبعة، أبيض الرأس واللحية وربما خضب لحيته وكانت كثة طويلة، حسن الوجه، ضحوك السن[1].

---

(١) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤) بتحقيقنا دار الوطن — الرياض.

ومن كلامه ﷺ: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، أما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وعن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب [٣٧/ب] ﷺ بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبانة، فلما أصحرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ما أقول لك: الناس ثلاث: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاه، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم، و لم يلجئوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العالم يكسب الطاعة في حياته! وجميل الأحدوثة بعد موته، مات خُزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر.

أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه هاه إن ههنا، وأشار بيده إلى صدره علماً لو أصبت له حَمَلَةً بلى أصبتُ فتى غيَر مأمونٍ عليه يستعمل إله الدين للدنيا يستظهر بحجج الله ﷻ على كتابه.

وبنعمه على عباده أو منقاداً لأهل الحق، لا بصيرة له، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لاذا ولا ذاك، أو مهوماً باللذات سلس القياد للشهوات، أو معزاً يجمع المال والادخار وليس من دعاة الدين أقرب شبهاً بها الأنعام السائمة، وكذلك يموت العلم بموت حامله اللهم بل لن تخلو الأرض من قائم لله ﷻ بحججه كي لا تبطل حجج الله ﷻ وبيانه، أولئك هم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله ﷻ قدراً، بهم يرفع الله ﷻ عن حججه حين يردونها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمن فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا [ق٣٨/أ] بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته في دينه هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم، واستغفر الله لي ولكم إذا شئت فقم!.

ولو ذكرت ما وقع من كلامه لطال الكتاب، وفيما ذكرت كفاية لمن وفق.

القسم الثاني
في ذكر مريديه الذين كانوا في عصره
وهو يشتمل على فصول:

الفصل الأول:
في ذكر خادمه وابن أخيه أبي موسى بن آدم بن عيسى قدس الله روحه(١)

خدم أبا يزيد واجتهد في خدمته وجد في تعهده ووده، وبالغ في حشمته وحرمته.

وكان يحفظ على أبي يزيد أوقات صلواته متى كان يتردد إلى باب نوحار، موضع فسيح ليس بينه وبين رؤية الصبح حجاب، فإذا رأى الصبح قد انفجر رجع إليه فاعلمه حتى يخرج من خلوته إلى المسجد، فلما كانت الليلة التي انتقل فيها إلى حضرة الرضا والرضوان حضر إلى بابه ليعلمه فدق عليه الباب ثلاث مرات فلم يجبه فصاح به، وقال:

يا أبا يزيد، ولم يكن قط يسمه باسمه احتراماً واحتشاماً له سوى تلك الليلة، فلما تيقن أنه غير بارز علم أنه إنما امتنع عن الخروج بسبب، ففتح أبو موسى الباب عليه فوجده خارجاً عن الدنيا قدس الله روحيهما.

وقال شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني قدس الله روحه حاكياً عن مشايخه: أن تلامذة أبي يزيد كانوا يتذاكرون في الحرمة شيئاً يعني: حرمة الأستاذ [ق٣٨/ب] والشيخ، فكان يقول كل واحد منهم شيئاً، وكان أبو موسى يجتاز بهم مشتغلاً في أمر الخانقاه(٢) والزوار، فقالوا له: قل أنت أيضاً في الحرمة

---

(١) انظر: مقدمة اللمع للطوسي، وطبقات الصوفية للسلمي (ص٦٧).

(٢) الخانقاه: ويقال لها أيضاً «خانكاه» وجمع خانكاه: خوانك، وجمع خانقاه: خانقاهات، والخانقاه لفظ فارسي، معناه البيت أو المعبد أو الدير، ثم أطلق اللفظ على المكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة.

شيئاً، فقال: لو أن الله تعالى فتح على العبد شيئاً أضوء مـــن الشـــمس، فـــدعاه الأستاذ إلى أمر من أمور الدنيا يترك ذلك ويرجع إلى ما يدعوه.

وكان أبو موسى يخدم أبا يزيد ويبالغ في خدمته وحرمته وصـــحبته فـــرأى نفسه مقصراً فيها فجرى على خاطره كان لأبي يزيد خادماً بدلاً مني أبلغ مني في خدمته، فالتفت إليه أبو يزيد، وقال: اترك خاطرك فقد كنت احتاج في جميع ما أنا فيه إلى خادم مثلك، وقد كان لي ذلك، لا مزيد عليك.

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا يقولون: إن أبا موسى من كثرة حرمتـــه لأبي يـــزيد أمر لحافر قبره أن يجعله أسفل من قبر أبي يزيد بالحفر كي لا يساوي لحدُه لحدَه حرمة له وقال: سمعت مشايخنا يقولون:

إن أبا موسى قال: نقلت إلى قبري أربعمائة كلمة لأبي يـــزيد ما وجدت لها أهلاً أذكرها معهم.

وكان لأبي موسى أولاد أربعة أحدهم اسمه عمي موسى، والثاني أبو يـــزيد، والثالث همدانوا، والرابع عبد الله، وناب أبو موسى عن أبي يـــزيد حياته وبعـــد وفاته في إقامته رسمه، وإبقاء اسمه، وإحياء آثاره، واقتفاء أخباره، وكان أبو موسى قد بلغ مبلغاً عرف به كل ما يجري على قلب أبي يزيد فقال:

يا رب استر مني هذا فإني أرى ذلك ترك الحرمة يعني حتى لا أعرف كل ما يجري على قلب أبي يـــزيد فستر الله ذلك عليه حتى مضى أبو يـــزيد لســـبيله، فلمـــا مضى بلغ أبو موسى مقامه درجته في الرفعة[1].

وعن أبي موسى، أنه قال: [ق٣٩/أ] يؤُتَى برجل يوم القيامة من طريق النار على حالة صعبة شديدة، ويؤتى برجل آخر من طريق الجنة على حالة حســـنة، فيزداد الذي يؤتَى به من طريق النار ألماً ووجعاً، فيقال له: ترى ذلك الذي يحمل إلى الجنة هو فلان، فيقول: نعم، كنت سمعت باسمه في دار الدنيا.

قال: فيبلغ الله صوته إلى ذلك الولي فيقف مكانه، فيقال له: لم لا تذهب؟ فيقول: لا أبرح من مكاني حتى يكون معي من سمع باسمي، قال: فينـــادي قـــد وهبناه لك خذ بيده واذهب به إلى الجنة.

---

(١) نقلاً عن النور (ص١١).

وكان شيخ المشايخ رحمه الله يقول:

هذا لمن سمع الاسم فكيف لمن رأى وصحب.

ولما مضى أبو يــزيد لسبيله كان عُمر أبي موسى اثنتين وعشرين سنة، وأما عمي موسى بن أبي موسى المذكور أولاً، فإنه كان من الرجال الكبار صاحب كرامات وفراســات وكان من الدَهَشِ في باب الله بحيث أنه لم يميز بين أولاده وأحفاده، وأولاد غيره، وأحفاد من سواه.

أما أخوه أبو يــزيد الثاني فكان يقال له:

أبــو يــزيد القاضي، تولى قضاء بسطام وله في المعرفة تصرف، وكلام حسن، ونقل عنه في طريق المعرفة أربعمائة كلمة يرتضيها أهل الصنعة.

وأمــا أولاد علي أخي أبي يــزيد فلم يرثوا ما ورث أولاد أخيه آدم، وما استفادوا مــا استفاد أحفاده، وإن كان في قوم علي كثرة ولكن ليس لهم من الرواية والبهاء والعلوم والعقول والصيت والقبول ما لهم، وهم عن أخرهم سعداء بانتســابهم إلى ذلــك الكبير وانتهائهم إلى ذلك الأثير، أصابنا الله بركاتِ الكبير منهم والصغير[1].

اعلم أن المسّمَيْنَ بأبي موسى من رواته [ق٣٩/ب] اثنان:

أحدهما أبو موسى خادم أبي يــزيد، وابن أخيه المذكور أول الفصل.

وأما أبو موسى الثاني[2]:

الــذي يروي أيضاً كلامَه فهو أبو موسى الديبلي صاحب عبد الرحيم بن يحيى الأســود الــزاهد الديبلي، وَرَدَ على أبي يزيد فلما سمع كلامه أطال عنده مقامه وأكثــر مــن فوائده، وحفظ من نطقه ما لم يحفظه كثير من الغرباء الزائرين له والواردين عليه، فلما أراد الانصراف من حضرته قال له:

يا أبا موسى! إذا رأيت إنساناً يتكلم بهذه العلوم وواحد ينكره، وواحد يقبله ويؤمن به، فقل للذي يؤمن به يدعو لك، فإن دعاءه مستجاب.

---

(١) نقلاً عن النور (ص١٢).

(٢) انظر: الإكمال لابن ماكولا (٣/٢٥٢)، والنور في كلمات طيفور للسهلجي (ص ١٨).

ومـــن رواة كلام أبي يزيد أيضاً: أحمد بن خضرويه[١]، وقد تقدم أنه جاءه زائراً في ألف رجل من تلامذته.

ومـــنهم أبـــو إسحاق إبراهيم الهروي المعروف بأستنبه[٢]: وكان من رواته والقائلين بفضله، وكان أبو يزيد يستقبله إلى قربه على فرسخ من بسطام ويشيعه إلى تلك البقعة.

ومنهم سعيد المنجوراني: كثر تردده إليه، وكان يدور في البلاد ويجمع كلام العـــارفين والعـــباد، فلما سمع كلام أبي يزيد صار ما سمعه من غيره بالنسبة إلى كلامه صغيراً، وذكر أن أنملته صارت عريضة من كثرة ما كتب[٣].

* * *

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٤٢)، تاريخ بغداد (٤/١٣٧)، الرسالة القشيرية (ص٢١، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٩٥).

(٢) انظر: النور(ص ١٨).

(٣) نقلاً عن النور (ص١٣، ١٤).

الفصل الثاني
في ذكر تلميذه سعيد الراعي رحمه الله[١]

قبره على باب بسطام، وكان صاحب الكرامة والفراسة، ووصل إلى درجة الفناء، ومنزله البقاء تاب على يدي أبي يزيد قدس الله روحه، وكان سبب توبته ورجوعه إلى خدمة الشيخ أبي يزيد، أنه كان راعياً وعشق امرأةً من قومه فقصدها ليلة من الليالي [ق٤٠/أ] وأراد أن يظفر بها من غير أن يراه أحد فبقي يرقبها فلم يظفر بها بحيلته حتى حان وقت السحر، فلما أيس عن الظفر بها وعزم على الانصراف رأى الثلج قد أتى عليه و لم يكن له خبر به من اشتعاله بحاله، فلام عند ذلك نفسه ورام بالله أنسه وتفكر في دناءة حاله، وسوء فعاله وقبح خصاله، فندم على ما غبر من أيامه واستغفر من ذنوبه وآثامه، وقصد أبا يزيد فلما بلغ مسجده رآه مغلقاً قد تفرق الناس عنه فوضع خده على عتبة المسجد وغلبه النوم فبقي على حالته حتى خرج أبو يزيد من خلوته فوجده نائماً على تلك الحالة فنبهه، وعلم أنه قد عمل فيه فكره ونفعه ذكره.

وذلك أن أبا يزيد جلس متفكراً قبل مجيء سعيد إليه من كثرة غفلة الناس وغلبة الغرة والوسواس فخطر بباله أن لو دخل في صحبته من كل قوم وحرفة واحد يكون سبباً لخلاص الباقين منهم، وجرى على خاطره أن الرعاة أكثر غفلة وأظهر غرة من أجناس الناس فلو دخل واحد وصحبه، لحصول ذلك الرجاء، واستجابة الدعاء.

فثبت لسعيد السَعْدُ وسَعِد، وثبت على الصلاح والفلاح وصعد حتى بلغ مرتبة الرجال ومنقبة الأبطال[٢].

وحُكي أن سعيد المنجوراني طالب يوماً من الأيام أبا يزيد بإظهار كرامة منه عليه، فأشار أبو يزيد إليه بأن يمضي إلى سعيد الراعي، فلما قصده لم يجده على

---

(١) انظر: النور، الفهرس.
(٢) في النور (ص١٤) نحوه.

غـــنمه ووجد الذئب يدور حول الغنم يحفظها، فلما حضر سعيد جالسه وانتبه وأخـــرج كســـاءه ووضـــع بين [ق٤٠/ب] يديه ما فيه من طعام، فأخذ سعيد المنجوارني يباسطة في الكلام حتى قال له: إني لأشتهي العنب، أراد تجربته بذلك وأن يـــرى شيئاً من كراماته، فأخذ سعيد الراعي العصا التي كانت معه وكسرها وغـــرز نصفها على أحد جانبي نهر كانا جالسين على شطه والنصف الآخر منها غرزه على الجانب الذي هو عليه، فأثمر بقدرة الله ﷻ ما كان بجانب المنجوراني عنباً أسود، وما كان من جانبه عنباً أبيض.

فقال له سعيد الراعي: كُله، فقال: كيف الذي من جانبي أسود والذي من جانـــبك أبيض؟ قال: لأنك تمنيته بي وطلبته وما ظهر من جانبي لم يظهر بإرادتي وأمنـــيتي، فلما أراد أن يفارقه قال له: هب لي هذا الكساء، فقال سعيد الراعي: وهبته بشرط أن تحفظه كي لا يسرقه سارق، فانصرف سعيد المنجوراني بالكساء إلى بـــيت الله الحرام و لم يزل يحفظه حتى كان بعرفات أودعه عند إنسان واشتغل بأمـــر، فلما رجع إليه وطالبه به لم يجده، فقال: ذهب الراعي بالكساء فلما رجع إلى بســـطام رأى الكساء في يد سعيد الراعي فعلم أنه هو الذي أخذه فطالبه به فقال الراعي: ألم أقل لك احفظه كي لا يسرقه السارق؟ أراد سعيد الراعي بذلك الفعـــل أن يـــريه قوة نفسه وعجزه وإظهاراً لفضل أستاذه وشيخه أبي يزيد ﷺ وعن محبيه.

* * *

الفصل الثالث
في ذكر خطَّاب الطرزي[1] رحمه الله

جـــاوز الحـــد وفـــاز بما لا يأتي ذكره بالعد وله بتلك القرىَ بيت للضيافة والقرى، واستفاد من ذلك الكبير خلق كثير دعاهم إلى الله تعالى فاقتدوا به [ق ٤١/أ] واهتدوا، بقربه وقرابته.

بلغ عمي إسماعيل تلك الدرجة السنية حتى قال: لو جعل جُل عمري سبعين ســـنة أو أكثر على مقام ذلك على طبق وعرض على الله لم أستحي منه بسبب شيء من الأشياء.

* * *

(١) ويقال: الطرازي أيضاً، وانظر: النور(ص ١٨).

الفصل الرابع
في ذكر أبي منصور الجينوي[١]

بلـــغ الغايـــة وأوفى كل نهاية من تلك الدرجات والفوز بالنجاة، فطوبى له وحســـن مآب فاز قوم بصحبته ومحبته ورؤيته وروايته وعاشوا في ولايته ودولته، ومـــا لم يظهر من حاله وحال قومه وآله أطيب من أن يذكر أصابنا الله بركات حركاته في عاداته [وفي عباداته[٢]] إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقال شيخ المشايخ رحمه الله: كان لأبي منصور تلميذ يقال له:

جعفر الأويرنكي وهي قرية من قرى جرجان اختلف إليه إحدى وعشرين ســـنة كل سنة يزوره مرة، فأتاه مرة بقمقمة مملوءة رُبّا، وكان أبو منصور يسأله كل مرة عن اسمه وموضعه يتجاهل بذلك، فأمر بإمساك قمقمته تجريباً له وتهذيباً فلم يؤثر فيه ذلك وصبر حتى كان رأس إحدى وعشرين سنة دعاه ونفخ في فِيه، فخرج من عنده وانصرف فرحاً صائحاً: مَن مثلي وأن أبا منصور نفخ في فمي.

قال شيخ المشايخ: أظهر الله بركة ذلك النفخ في فيه في غيره[٣] حتى أصاب بـــركته ألف نفر وصاروا عن أخرهم أهل المعرفة، فهو من تلامذة أبي يزيد ﷺ وخيار أصحابه الذين أصابتهم بركة صحبته، ويمن دولته، أهالي الأعالي والمعالي.

* * *

---

(١) والجينوي نسبة لقرية في جهينة ناحية جرجان انظر:النور (ص١٧).

(٢) ما بين [ ] ليس في (ح).

(٣) زيد في (أ) في غيره وفيه.

الفصل الخامس

اعلـــم أنـــه كان أيضاً في صحبته وخدمته جماعة من أهل الفراسة والكرامة والمعرفة والمحبة لم يبلغوا درجات [ق٤١/ب] من تقدم ذكرهم بالكمال ووضعهم بالوصال، فمنهم محمود الكومياني وهي قرية على فراسخ من بسطام.

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا المتقدمين يقولون:

إنه كان في سلامة القلب بحيث لا يحسن الدعاء يعني: على حسب ما يدعو من لفظه فصيح وكلامه صحيح، فاحتاج أهل قريته وناحيته إلى المطر، فقيل له: ادع الله تعالى ليسقينا؟ فقال: كيف أقول فقبل له بالفارسية كلاماً معناه بالعربية نحن محتاجون إلى المطر فذكر ما قالوه فمطروا في الوقت والحين.

فيالها من سلامة ودين ومعرفة ويقين، بالإشارة يأتي المطر في الحين، وإنما أثمر الله ذلك القدر، وأظهر ذلك لقيام ذلك الرجل الصالح بما نهى الله عنه وأمر.

حُكـــي أنه خرج يوماً من مسجده قاصداً إلى بيته فرأى إبليس متردداً على باب داره، ففتش عما رابه وأصابه فرأى طنجيراً فيه شيء من اللبن فاتهمه، وسأل عـــن حاله، فقيل له: إنما أخذنا ذلك من عريف القرية، فأخذ بحواشي الطنجير وأتى به إلى الصحراء وقلبه، وقال: هذا الذي أداره ناحية بيتي وحوالي داري.

* * *

الفصل السادس

في ذكر محمد الراعي راعي الإبل وهو من هذه الطبقة(١)

كان يحفظ كلام أبي يزيد، وكان يذكره لكل أحد، فربما ينكره بعضهم، فذكر ذلك لأبي يزيد، فقال له أبو يزيد:

لا تذكر كلامنا مع أحد، دعه يتكلمه مع الجمال في الصحراء فلم يحكه بعد ذلك لأحد، فكان إذا خرج وهاجه وغلب فيه أخذ يذكره مع الجمال، فتحبه الجمال فتصغي إليه وإلى ذكره ذلك.

وكان شيخ المشايخ يحكيه ويزكيه ويرى له فضلاً وجمالاً [ق٤٢/أ] أثمر به تلك المعرفة المشهورة المحبة المأثورة والحرمة المشكورة والحرمة المذكورة.

* * *

(١) انظر: النور (ص ١٨).

الفصل السابع

في ذكر عبد الله اليوناباذي، وسهلوا النمري[(١)]

وهما من هذه الطبقة فكانا رفيقين أخوين في الله تعالى وكانا يختلفان إلى ذلك الصدر الكبير والبدر الخطير أبي يزيد قدس الله روحه، فإذا خرج أحدهما من قريته نادى صاحبه وصاح به سمع نداءه وجاءه، وكان لهما موعد لم يخلفاه، وكان بين القريتين بون بعيد فراسخ كثيرة.

وقال شيخ المشايخ:

كان عبد الله من غلبة حب أبي يزيد في قلبه بحيث يخرج من بيته قاصداً إليه، لم يتفرغ إلى أن يلبس السراويل إذا لم يكن لبسه من قبل، حتى قال له يوماً من الأيام: إني [لأحبك].

قال له أبو يزيد: قلب وإن ملئ حباً فكم قدره.

قال: إني لأحبك حباً تزيد محبتي لك على محبة أبي موسى.

قال: نعم، ولكن أبو موسى من أنفسنا، ثم قال له: هويناً إنك إن أحببت لم تسكن بالليل ولم تطمئن بالنهار، ولكنك صادق بذلك المقدار، يعني: بالقدر الذي مكنت منها.

وقال شيخ المشايخ قدس الله روحه:

كان إذا وقع هيبة أبي يزيد عليه وهو في المحراب ألقى نفسه على أحد جانبي المحراب، وشدّ نفسه عليه حتى أثر مثله على الجدار الذي جرت عادته باستناد إليه مثل أثره في الطين الرطب[(٢)].

* * *

---

(١) انظر النور(ص ١٨).

(٢) نقلاً عن النور (ص١٨).

الفصل الثامن

وكان لأبي يزيد صديق منفق موافق، يقال له: إبراهيم معاذان[١]

وقال شيخ المشايخ: سمعنا مشايخنا يقولون:

إن إبراهيم قال لأبي موسى خادم أبي يزيد: أريد أن أبعث كل يوم ما يحتاج إليه مائة نفر فما يزيدون عليها، قل لي كم [ق٤٢/ب] ابعث ما يحتاجون إليه من النفقة؟ قال: وكان من الديانة والصيانة والتقوى أنه لا يبيع الكساء يوم الغـــيم، ويقول:

إن الكساء يكون أحسن في أيام السحاب منه في أيام الصحو وكان قد بلغ حبه من قلب أبي يزيد من كثرة تحببه إليه واتفاقه عليه مبلغاً عظيماً.

وقال شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد الداستاني صاحب الشجرة قـــدس الله روحه: قال أبو يزيد قدس الله روحه: من الناس من أتى في صـــحبتنا بـــالنفس، ومنهم من أتى بالمال، ومنهم من أتى بالقلب، وإبراهيم أتى في صحبتنا بـــالنفس والقلب والمال جميعاً رضي الله عنهم وعنَّا بهم.

ولو استقصيت هذا الباب لطال، وفيما ذكرته كفاية والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: النور (ص ١٩).

الباب الثاني

وهو مشتمل على ثلاثة أقسام:

القسم الأول

في ذكر مناقب سيد الطائفة وإمامهم وتاجهم وطاووس العباد وقطب العلم أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز القواريري قدس الله روحه ونوّر ضريحه[1]

وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري.

لقبه الأستاذ أبو القاسم القشيري قدس الله روحه في رسالته بسيد الطائفة وإمامهم، ولقبه جماعة من الشيوخ بتاج العارفين في حكاية، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وقال الفرغاني: كان الجنيد وأبو الحسين النوري يسميان ببغداد طاووسا العباد.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله:

كان الجنيد قطباً في العلم، أصله من نهاوند وهى مدينة من الجبل قيل: إن نوحاً عليه السلام بناها، ومولده ومنشأه بالعراق، وكان [ق٤٣/أ] شيخ وقته، وفريد عصره، ومن كبار أئمة القوم وسادتهم، ومقبول على جميع الآل، وكلامه في الحقائق مشهور سيأتي منه طرفاً يسيراً إن شاء الله تعالى.

وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وكان يفتي في حلقته، وقيل: بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري.

توفي قدس الله روحه يوم السبت، وكان نيروز الخليفة سنة سبع وسبعين ومائتين، وقيل: ثمان وسبعين، آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد، ودفن يوم السبت

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (٨٤/١)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص١٥٥)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٨٧/٢)، وميزان الاعتدال له (٥١/١)، وسير أعلام النبلاء (٦٨/١٤) تاريخ بغداد للخطيب (٦٥/٦)، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٣٧/٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٢٢٩/٢)، روض الرياحين لليافعي (ص١٩)، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص١٣٤)، وحلية الأولياء (٢٧٨/١٠)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (٥٧٣/١) وصفة الصفوة (٤٢٥/٢)،وتاج العارفين لسعاد الحكيم .

بالشونيزية عند خاله وشيخه سري السقطي رضي الله عنهما، وقبره بها ظاهر يزوره الخاص والعام، وكان عند موته قد ختم القرآن الكريم، ثم بدأ من سورة البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات(١).

وقال أبو محمد الجريري رحمه الله تعالى:

كنت عند الجنيد حال نزعه، وكان يوم جمعة، ويوم نيروز، وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: في هذه الحالة يا أبا القاسم، فقال: ومن أولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي(٢)؟.

وقال أبو بكر العطار:

حضرت وفاة الجنيد مع جماعة من أصحابه، وفيهم أبو محمد الجريري فنظر إلى الجنيد وهو منشغل بما هو فيه من درس القرآن والركوع والسجود، فقال له: يا أبا القاسم لو رفقت بنفسك، فقال:

يا أبا محمد حالة وصلت بها إلى الله تعالى في بدء أمري لا أفارقها أبداً حتى ألحق بالله، ثم قال له الجنيد:

يا أبا محمد لي إليك حاجة إذا مت فغسلني وكفني وصلّ عليّ، قال: فبكى الجريري وبكينا، ثم قال: وحاجة أخرى:

تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة، فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بهم التشتت.

قال: فبكى الجريري بكاءً شديداً، ثم قال:

والله لإن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع [ق٤٣/ب] منا اثنان أبداً، وقال أبو جعفر الفرغاني:

فكان والله كذلك ما اجتمع اثنان بعد وفاته، وإنما كان ذلك ببركة الشيخ ورؤيته.

---

(١) أورده القشيري في رسالته (١٠٨/١).

(٢) أورده البغدادي في تاريخه (٢٤٨/٧)، وابن العماد في الشذرات (٢٢٩/٢)، والقشيري في الرسالة (٥٩٠/٢)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٢٢/٢)، والغزالي في الإحياء (٤٨٢/٤)، وابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢٦٦/٢).

وقال أبو محمد الجريري:

كان في جوار الجنيد رجل مصاب في خربة، فلما مات الجنيد ودفناه ورجعنا من جنازته تقدمنا ذلك المصاب وصعد موضعاً رفيعاً، وقال لي: يا أبا محمد، وإني أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ثم أنشأ يقول:

واأسفى من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي ... والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي ... حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

ثم غاب عنا فكان آخر العهد به[1].

وقال جعفر الخلدي:

رأيت الجنيد في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا رُكيعات كنا نركعها في الأسحار[2].

وقال أيضاً: رأيته في المنام فقلت:

أليس كلام الأنبياء عليهم السلام إشارات في مشاهدات؟ فتبسم وقال: كلام الأنبياء عن حضور، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات.

صحب قدس الله روحه خاله أبا الحسن سري السقطي، والحارث المحاسبي وغيرهما من المشايخ [وأفتى وهو ابن عشرين سنة [3]].

وسُئل عمن أخذت هذا العلم؟ فقال:

أما في أول أمري فعن خالي سرِي السقطي، ثم عن أدبي مع الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة تحت هذه الدرجة، فأعلمَ السائل أولاً بنسبة الوراثة ثم ثانياً بما

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (٧/٢٤٨)، طبقات الأولياء (ص ١٣٣)، صفة الصفوة (٢/٤٢٢).

(٢) انظره في: صفة الصفوة (٢/٤٢٤)، تاريخ بغداد (٧/٢٤٨)، طبقات الحنابلة (١/١٢٩)، حلية الأولياء (١٠/٢٥٧)، إحياء علوم الدين (٤/٥٠٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٦٧)، الكواكب الدرية (١/٥٨٤).

(٣) ما بين [ ] استدرك من حاشية الأصل.

أورثته صحتُها من الأدب [ق٤٤/أ] الموجب للذوق والوجدان؛ لأن علم أهل التحقيق يؤخذ وراثة وإلقاء، وتعلماً وذوقاً ووجداً.

وصحبه أبو العباس بن سُريج الفقيه الشافعي، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين، فيقول:

أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد.

وقد تخرج بصحبته خلائق في سلوك طريق الله لو ذكرتهم لطال الكلام.

ومن تتبع ذلك ظفر به قدس الله روحه ونوّر ضريحه.

وكتب إلى بعض إخوانه:

من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله، وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه ورجع إلى ما أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى، وإن دام على سكونه نزع الله عن قلوب الخلق الرحمة عليه وألبسه لباس الطمع فتزداد مطالبه منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزاً، وموته كمداً، ومعاده أسفاً، ونحن نعوذ بالله من السكون إلى غير الله.

وله مكاتبات كثيرة مشتملة على درر من المعارف والحقائق في غاية النفاسة يطول ذكرها[١]، وقد ذكر شيئاً منها أبو نصر السراج رحمه الله في كتاب اللمع من أرادها فليطلبها هناك.

وقال الجنيد قدس الله روحه:

كان السَري يقول لي: تكلم على الناس، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة في المنام ﷺ، وكانت ليلة جمعة فقال لي:

تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب، فقال:

لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت [ق٤٤/ب] للناس في غد بالجامع، وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف على غلام نصراني متنكر، وقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ:

---

(١) نحن بصدد جمع أكثر أقوال الإمام الجنيد، وتحقيق رسائله.

«**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**[١]»، فقلت له: أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام.

وقال أبو عبد الله المكانسي:

كنت عند الجنيد يوماً فأتته امرأة، وقالت:

إن ابناً لي قد ضاع فادع الله لي، فقال: اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت وفعلت ذلك مراراً والجنيد يقول لها: اصبري، فقالت له: عيل صبري و لم يبق لي طاقة فادع لي، فقال:

إن كان كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك فمضت وعادت تشكره وأخبرته برده، فقيل له: بم عرفت ذلك؟ فقال: لأن الله تعالى يقول:

﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**[٢]﴾ [النمل:٦٢].

وقال الجنيد: ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتُ ها، قيل له: وما هي؟ قال: مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار، فأنصت لها فسمعتها تقول:

إذا قلتُ هذا الهجرُ لي حللَ البلـى ... تقولين لولا الهجر لم يطب الحبّ

وإن قلتُ هذا القلب أحرقه الهـوى ... تقولي بنيران الهوى شرف القلبُ

وإن قلتُ ما أذنبتُ قلـتِ مجيبـةً ... حياتك ذنبٌ لا يُقاس به ذنـبُ

فصعقت وصحت، فبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج، فقال:

ما هذا يا سيدي؟ فقلتُ له: مما سمعت.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٨/٥)، وقال: حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم.

ورواه الطبراني أيضاً في الكبير (١٠٢/٨)، وفي الأوسط (٣١٢/٧)، (٢٣/٨)، وابن أبي الدنيا في كرامات الأولياء (ص١٤٥)، والقضاعي في الشهاب (٣٨٧/١)، قلت: وإن كان اختلف في الحكم على سنده عند أهل النظر في الحديث، وقد ذكرته ضمن أحاديث مشهورة لكنها لا تصح (كتابنا). ولكنه صحيح بالإجماع عند أهل الكشف من السادة الصوفية، وقد حققت ثلاثة كتب في علم الفراسة تؤكد صحة الحديث، بل وصحة هذا العلم، وهي للرازي وأرسطاطاليس، وأبي عبد الله الأنصاري الدمشقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) ذكره القشيري في الرسالة (٥٢٦/٢).

فقال: أشهدك إنها هبة مني لك، فقلت: قد قبلتها، وهي حرة لوجه الله تعالى، ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط، فولدت له ولداً نبيلاً ونشأ أحسن نشوء، وحج على قدميه ثلاث حجج[1].

وقال جعفر الخلدي [ق٤٥/أ]:

دفع الجنيد إلي درهماً وقال:

اشتر به التين الوزيري فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها وبكى، وقال لي: احمله، فقلت له في ذلك، فقال:

هتف بي هاتف في قلبي أما تستحي؟ تركت هذا من أجلي، ثم تعود إليه، وأنشد يقول:

نون الهوان من الهوى مسروقة وصريع كل هوىً صريع هوانِ[2]

وقال الجنيد:

جاءني بعض الصالحين يوم جمعة، فقال لي: ابعث معي فقيراً يدخل علي سروراً، ويأكل معي شيئاً فالتفت، فإذا بفقير شهدت فيه الفاقة فدعوته، وقلت له: امض مع هذا الشيخ، وأدخل عليه سروراً، فمضى، فلم ألبث أن جاء الرجل، وقال: يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الفقير إلا لقمة وخرج، فقلت:

لعلك قلت له كلمة جفت عليه، فقال:

لم أقل له شيئاً، فالتفت، فإذا أنا بالفقير، فقلت: لِمَ لم تتم عليه السرور؟ فقال: يا سيدي خرجت من الكوفة، وقدمت بغداد ولم آكل شيئاً وكرهت أن يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك، فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان، فلما جلست على مائدته سوّى لقمة، وقال: كُل فهذا أحب إلي من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنيء الهمة، فتطرفت أن آكل طعامه، فقال الجنيد: ألم أقل إنك أسأت الأدب معه، فقال: يا أبا القاسم التوبة، وسأله أن يمضي معه، ويفرحه.

---

(١) هكذا في الأصل وفي رواية (ثلاثين حجة على الواحدة) وانظر: وفيات الأعيان (٣٧٤/١)، وشذرات الذهب (٢٢٩/٢)، والبداية والنهاية (١١٤/١١، ١١٥).

(٢) أورده ابن الملقن في طبقات الأولياء (ص١٣٠).

قال: رأيت إبليس يوماً في السوق عرياناً، وبيده كسرة خبز يأكل منها، فقلت له: ويحك تمشي في السوق عرياناً ولا تستحي من الناس؟ فقال لي: [ق٤٥/ب] يا أبا القاسم هل بقى على وجه الأرض أحد يُستحيا منه؟ من كان يُستحيا منه تحت التراب أكلهم الثرى[1].

وقال أيضاً: رأيت إبليس في المنام وهو عريان، فقلت له: ألا تستحي من الناس؟ فقال: هؤلاء عندك ناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء فقلت له: ومن هم؟ فقال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأغلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا إلى الله ﷻ أكاد أحترق، قال جنيد: فانتبهت ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزي وعلي لبد، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة نفر جلوس ورؤسهم في مرقعاتهم، فلما أحسوا بي قد دخلت المسجد أخرج أحدهم رأسه، وقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل.

اعلم أن هؤلاء الثلاثة هم أبو حمزة الخراساني، وأبو الحسين النوري وأبو بكر الزقاق رحمة الله عليهم، نقله الصاحب كمال الدين ابن العديم[2].

وكان الجنيد يوماً جالساً متفكراً مهموماً، فقيل له: ما الذي أحزنك يا أبا القاسم؟ فقال: فقدت أُنسي في الخلوة، وفقدت الإخوان اللذين كنت آنس بهم، ودون هذا مما يهدُّ البدن ثم أنشد:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأقوام

وقال الشيخ أبو بكر الكتاني رحمه الله: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا: هات ما فيها عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، ناظر إليه [ق٤٦/أ] بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن

---

(١) أورده الشعراني في الطبقات الكبرى (١/٨٥).

(٢) ذكره القشيري في الرسالة (٢/٧٢١)، والغزالي في الإحياء (٤/٥٠٩)، وابن الملقن في طبقات الأولياء (ص١٣٢)، واليافعي في روض الرياحين (ص١١٢)، والنبهاني في جامع كرامات الأولياء (ص٣٨٥).

الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومــع الله، فبكــى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين[١].

وروي أن شاباً كان بصحبة الجنيد فإذا سمع شيئاً من الذكر صعق، فقال له الجنيد يوماً: إن فعلت هذا مرة أخرى لم تصحبني، فكان إذا سمع بعد ذلك شــيئاً تغير ويضبط نفسه حتى كان تقطر كل شعرة من بدنه، فيوماً من الأيــام صــاح صيحة تلفت فيها نفسه[٢].

وقال أبو عمرو الزجاجي رحمه الله:

دخلت على الجنيد وكنت أريد الخروج إلى الحج فأعطــاني درهمــاً صــحيحاً فشددته في مئزري، فلم أدخل منــزلاً إلا وجــدت رفقــاً ولم أحــتج علــى الدرهــم، فلما حججت وعــدت إلى بغداد دخلــت عليــه، فمد يــده إليّ، وقال: هات، فناولته الدرهم، فقال: كيف كان؟ فقلت: كان الختم نافذاً[٣].

وقال الجنيد: جئت يوماً إلى مشهد شونيزية فرأيت جماعــة مــن الفقــراء يتكلمون في الآيات، فقال واحد منهم: أعرف رجلاً لو قال لهــذه الأســطوانة كوني ذهباً نصفك وفضة نصفك كانت.

قال الجنيد: فنظرت إلى الأسطوانة فإذا نصفها ذهباً ونصفها فضة.

وقال: كان معي أربعة دراهم فدخلت على السَري، وقلت له: أربعــة دراهــم جعلتها لك، فقال لي: أبشر يا غلام إنك تفلح، كنت أحتاج إلى أربعة دراهــم، فقلت: اللهم ابعثها على يدي من يفلح عندك[٤].

وقال أيضاً: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف عليّ [ق٤٦/ب] ملك، فقال: أقرب ما يقترب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميــزان وفيّ، فولى الملك عني وهو يقول: كلام موفق والله[١].

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة (٦٢٣/٢)، واليافعي في نشر المحاسن (ص٦٠، ٦١).

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (٣٠٢/٢)، والطوسي في اللمع (ص٣٥٨)، والقشيري في الرسالة (٦٥١/٢)، والسهروردي في عوارف المعارف (ص١١٩)، والهجويري في كشف المحجوب (ص١٦٩، ١٧٠)، واليافعي في نشر المحاسن (ص٣٣٠)، وروض الرياحين (ص١٨٠).

(٣) ذكره القشيري في الرسالة (٦٨٨/٢).

(٤) أورده القشيري في الرسالة (٧٠٠/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٠/١٠).

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب: أنت تتكلم على كلام كل أحد، وهاهنا رجل يقال له: الجنيد فانظر هل تعترض عليه أم لا؟ فحضر حلقته وسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه، وتحير عبد الله، وقال: أعد عليّ ما قلت، فأعاد ولكن لا بتلك العبارة، فقال: عبد الله: هذا شيء آخر لم أحفظه، تعيده عليّ مرة أخرى، فأعاد بعبارة أخرى، فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقول، أمله عليّ فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه، فقام عبد الله مقراً بفضله، واعترف بعلو شأنه.

وقال الجنيد قدس الله روحه: لو علمت أن لله علماً تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا، لسعيت إليه وقصدته[٢].

[وقيل]: لما حضرته الوفاة أوصى بدفن جميع ما هو منسوب إليه من علمه فقيل له ولم ذلك؟ فقال: أحببت أن لا يراني الله وقد تركت شيئاً منسوباً إليّ وعلم الرسول ﷺ بين ظهرانيهم.

وقال: اشتد البلاء برجل من الصالحين حتى جُرّ برجله إلى مزبلة، فرفع طرفه إلى السماء وقال أنا بعينك وقد ترى فافعل ما شئت وحسبي ما تشاء ثم قال:

إذا المُهَامُ شَكَى شجوةً فقد زالَ عن سَنَنِ المُستهامِ
وابن الكُلُومِ التي في الحشا وأين تَبَرُّمُه للكلام

وقال: أُرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة وأردت أن أنام فلم أقدر، فأردت القعود فلَم أطلق، ففتحت الباب [ق٤٧/أ] وخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم إليّ الساعة، فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى سألت محرك القلوب أن يحرك قلبك، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها، فقلت إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، فأقبل على نفسه، وقال: اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات، فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد فقد سَمِعْته. وانصرف عني ولم أعرفه، ولا وقفت عليه.

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة (٧٢٦/٢)، والغزالي في الإحياء (٥٠٨/٤).

(٢) انظره في: اللمع (ص ٢٣٩)، والرسالة القشيرية (٧٣٤/٢)، تاريخ بغداد (٢٤٣/٧)، روض الرياحين (ص ٢٠)، ونشر المحاسن (ص٧١).

وقال أيضاً: كنت جالساً في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أُصلي عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به، فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من الصلاة والقراءة والبكاء، فثقلت على جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيناي، فرأيت ذلك الفقير وقد جاءوا به ممدوداً على خوان، وقالوا لي: كُل لحمه فقد اغتبته فكشف لي عن الحال، فقلت: ما اغتبته، وإنما قلت: شيئاً في نفسي فقيل لي: ما أنت ممن يُرضى منك مثل هذا، اذهب إليه واستحله فأصبحت و لم أزل أتردد في طلبه حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء أوراقاً مما تساقط من غسيل البقل، فسلمت عليه، فقال: تعود يا أبا القاسم؟ فقلت: لا، قال: غفر الله لنا ولك[(١)].

وقال: كنت في بدء إرادتي أرى في منامي بالليل ما يجري عليّ في يقظتي ونهاري [ق٤٧/ب] فأتصفح ذلك حالاً بعد حال فأكون مرهباً لما قد رأيته، وكنت أحب أن أرى الأبدال وسألت الله تعالى أن يرين الأبدال، فرأيت ليلة كأني جالس على باب دارنا إذ مر ثلاثة نفر عليهم ثياب خلقان وزي رث دنس وعليهم ظاهر بلوى، فوقع في قلبي أنهم الأبدال، فقمت واتبعتهم حتى جاؤا إلى المسجد فدخلوه ودخلت خلفهم، فلما رأوني انتفضوا، فإذا زيهم أحسن زي، وأبدانهم كأحسن الأبدان، وخلقهم كأحسن الخلق، فقلت ما هذا؟ فقالوا: هذا خلقنا وزينا وحالنا، فقلت لهم: فما بال الحال الأول؟ فقالوا لي: ذلك شيء تسترنا به عن الخلق، ثم قالوا لي: يجزيك؟ قلت: نعم، ثم انتفضوا فعادوا إلى صورهم التي كانت أولاً فخرجوا من المسجد يمشون حتى جاءوا إلى دكان بقال فيها قصب وحطب، فتناول أحدهم من القصب قصبة، فصارت في يده حطباً، وتناول الأخر من الحطب فصار قصباً، ثم قال لي: يجزيك؟ فقلت: أجزاني، ثم مضوا وانتبهت فلما أصبحت جلست على بابنا أنتظر ما رأيت في ليلتي، فإذا الثلاثة بأعيانهم دخلوا المسجد فدخلت خلفهم، فكان منهم مثل ما رأيت ثم خرجوا من المسجد واتبعتهم، حتى جاءوا إلى دكان بقال، وكان مثل ما رأيت أيضاً، فلما أرادوا أن يفارقوني قلت لهم: من ببغداد من الأبدال؟ قالوا: فلان

---

(١) ذكره الجامي في نفحات الأنس (١٠٣/ق).

وفلان لقوم أعرفهم، قال الجنيد: فكأني رأيت أزريت على واحد منهم بقلبي، فقلت لهم: وفلان من الأبدال! قالوا: نعم هو من أهل الأنس بالله، فما زال الجنيد يقول: هم ثلاثة، فيُسأل عنهم فلا يخبر ولكن يقول قد مات منهم وبقي منهم، ومازال يقول: بقي واحد إلى أن مات، فكنا نرى أن الذي أخبر أنه من أهل الأنس بالله أحمد بن مسروق [ق٤٨/أ] والذي أزرى به عنا به نفسه.

وقال عبد الرحمن بن إسماعيل:

كنت ببغداد ووافى لي الحاج من خراسان، فلقيني بعض أصحابنا الذين عاشرناهم ممن له فضل وأفضال على هذه الطائفة، فسألني أن أعرفه جماعة ليصلهم بشيء قد حمله معه برسمهم، فقلت له: ابدأ بأبي القاسم الجنيد، فحمل إليه دراهم كثيرة وثياباً كثيرة، فلما رآه الجنيد أعجبه أدبه في رفقته، فقال له: اجعل بعضه للفقراء أذكرهم لك، فقال له الخراساني: أنا أعرف الفقراء أيها الشيخ، فقال الجنيد: أنا أأمل أن أعيش حتى آكل هذا؟ قال: إني [لم] أقل لك أنفقه في الخل والبقل والكامخ والجبن والملح، إنما أريد أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوات، وكلما كان أسرع فهو أحب علي فتبسم الجنيد، وقال له: مثلك لا يحل أن يرد عليه فقبل ذلك منه فقال الخراساني: ما أعلم ببغداد أعظم منة علي منك، فقال الجنيد: ولا يقى لأحد أن يرتفق إلا ممن كان مثلك.

وقال عبد الوهاب: كنت جالساً عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء إنسان بخمس مائة دينار ووضعها بين يديه، وقال: فرقها على هؤلاء، فقال: ألك غير هذا المال؟ فقال: نعم دنانير كثيرة، فقال الجنيد: خدها فإنك إليها أحوج منا ولم يقبلها، ودخل جماعة عليه فقالوا: نطلب الرزق، فقال: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه، قالوا فنسأل الله.

قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا: ندخل البيت ونتوكل، فقال: التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

وقال: كنت يوماً ألعب بين يدي خالي السَري وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر؟ فقلت:[ق٤٨/ب] أن لا يعصى الله بنعمة، فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السَري.

وقال أبو جعفر الفرغْاني:

كنا عند الجنيد جلوساً في المسجد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد يتشبهون بالصوفية، ويقصرون فيما يجب عليهم من حق الجلوس، ويعيّبون على من يدخل السوق، فقال الجنيد: كم ممن هو في الأسواق حكمة أن يدخل المسجد ويأخذ بإذن بعض من فيه فيخرجه إلى السوق ويجلس مكانه، ثم قال: إني لأعرف رجلاً يدخل السوق منذ أربعين يوماً ما كسب حبة واحدة وكان في سوقه ووِرده في كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة وسبق إليّ أنه عنى نفسه بذلك.

وروي أن أبا العباس بن عطاء كتب إلى الجنيد يقول:

تضايقت الأحوال بي في محلها ... وما ذاك مفهوم لأني مثقل

فلا الريح في أبراجها مستقرة ... ولا الوجد في قلبي يقر ويمهل

فكتب إليه الجنيد:

ولو نطقت بي ألسن الدهر خبّرت ... بأني في ثوب الصبابة أرفل

وما إن لها علم بقدري وموضعي ... وما ذاك مفهوم لأني مثقل

وقال علي بن منصور الدينوري:

خرجت إلى بغداد ومعي شيء من الدنيا أريد تفرقته على أصحاب الجنيد وسائر الفقراء فوافينا بغداد ونزلنا في مكان وأحرزنا ما كان معنا وقصدت جنيداً لأسلم عليه وأقضي حقه فوجدته فباسطني بكلامه وحسن خلقه، وكنت أختلف إليه على دائم الوقت وأجالسه، فلما كان ذات ليلة رأيت في المنام كأن الخليفة [٤٩/أ] قد جاءني يدعوني إلى ضيافته فانتبهت، وحدثت بما رأيت صاحباً لي، فقال: ننظر تأويل رؤياك هذه فلما أصبحنا وصلينا الصبح ونحن جلوس إذا الباب يُدق، فقام صاحبي وفتح الباب، فإذا نحن بابي القاسم الجنيد فقمنا إليه وسلمنا عليه وجلس عندنا ساعة وتحادثنا وتذاكرنا بالعلم، ثم دعانا إلى دعوة له في منزلة، قال علي بن منصور: فتبسمت لذلك، فقال لي الجنيد: مم تبسمك؟ فقلت: رأيت البارحة في النوم كأن الخليفة قد جاء يدعوني إلى ضيافته وحدثت

صاحبي هذا حين انتبهت فصلينا الغداة وجلسنا ننتظر ما يكون من تأويل الرؤيا حتى طرقت الباب فلما دخلت وجلست ودعوتني تبسمت لذلك، فقال الجنيد:

لقد رأيت رسول الله ﷺ، وأبا بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلياً بين يديه، فسلمت عليه وجلست بين يديه، وإذا برجلين قد دخلا وجلسا بين يديه، فادعى أحدهما على الآخر دعوى في مطالبة بحق، فالتفت إليّ النبي ﷺ، وقال: يا أبا القاسم، احكم بينهما فقد وليتك الحكم فسكتّ إعظاماً لرسول الله ﷺ واحتشاماً له ولصاحبيه فأعاد، فاحتشمت ولم أجب، فأعاد الثالثة، فاحتشمت هيبة له وإجلالاً، فقال لي في الرابعة:

يا أبا القاسم احكم بينهما، فقد وليتك الحكم بين الخلق فانتبهت وأنا مذعور فجئت إليكم أتسلى.

وقال أبو العباس بن مسروق مررت مع الجنيد رحمه الله في بعض دروب بغداد وإذا مُغن يغني:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديداً، ثم قال لي:

يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس [٤٩/ب] وأوحش مقامات المخالفة لا أزال أحن إلى حال بدايتي وجدة سرعيي وركوبي الأهوال طمعاً في الوصول، وها أنا ذا في أيام الفترة أتأسف على أوقاتي الماضية.

وقد رؤي في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه[1].

وروى الحافظ اليغموري بإسناده إلى أبي الحسن بن المترفق قال:

سمعت عمرو بن عُلوان وقد رأيت في يده سبحة، فقلت: يا أستاذ أنت مع عظم إشارتك تبني عبادتك وأنت مع السبحة؟ فقال لي: كذا رأيت الجنيد بن محمد وفي يده سبحة، فسألته عنها؟ فقال: كذا رأيت أستاذي الحارث بن أسد

---

(١) أورده القشيري في الرسالة (١٠٨/١)، والخطيب في التاريخ (٢٤٥/٧)، وابن الملقن في طبقات الأولياء (ص١٢٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١، ١١٤)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (٣٧٣/١).

المحاسبي وفي يده سبحة، فسألته عما سألتني عنه؟ فقال: كذا رأيت بشـر بـن الحارث وفي يديه سبحة، فسألته عما سألتني عنه؟ فقال: كذا رأيت أستاذي عامر بن شعيب وفي يديه سبحة، فسألته عما سألتني عنه؟ فقال: كذا رأيت أستاذي الحسن بن أبي الحسن البصري، وفي يده سبحة، فسألته عن ذلك؟ فقال: يا بني هذا شيء استعملناه في البدايات، ما كنا بالذي نتركه في النهايات، أحب أن أذكر الله تعالى بقلبي ويدي ولساني.

ومن كلامه قدس الله روحه:

ما أخذت التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات[1].

وقال: التصوف مبني على ثمان خصال: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة، والغربة، ولبس الصوف، والسياحة، والفقر.

فالسخاء لإبراهيم عليه السلام، والرضا لإسحاق عليه السلام، والصبر لأيوب عليه السلام، والإشارة لزكريا عليه السلام والغربة ليحيى، ولبس الصوف لموسى والسياحة لعيسى عليه السلام، والفقر لمحمد ﷺ [2][ق٥٠/أ].

وسئل عن التصوف، فقال: أن تكون مع الله بلا علاقة[3].

[ومرة أخرى قال: يميتك الحق عنك ويحييك به[1].

ومرة أخرى قال: هو منْ عُنوةٍ لا صُلح فيها[4]].

ومرة أخرى قال: هم أَهل بيتٍ لا يدخل فيهم غيرهم[5].

---

(٢) أورده أبو نعيم في الحلية (٢٧٧/١٠)، واليافعي في روض الرياحين (ص٢٠)، ونشر المحاسن (ص٢٨٠)، والسلمي في طبقات الصوفية (ص١٥٨)، والخطيب في التاريخ (٢٤٦/٧)، وأبو يعلى في طبقات الحنابلة (١٢٨/١)، والقشيري في الرسالة (١٠٦/١)، وابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢٦٦/٢)، والشعراني في الطبقات الكبرى (٨٤/١).

(٢) انظر: كشف المحجوب (ص٢٣٥)، والطبقات الكبرى (٨٥/١).

(٣) انظر: الرسالة القشيري (٥٥٢/٢)، واللمع للطوسي (ص٤٥)، وعوارف المعارف (ص٣٧)، والطبقات الكبرى (٨٥/١)، ونشر المحاسن (ص٣٩٦).

(٤) ما بين [ ] ليس في (ح)، وانظر: الرسالة (٥٥٣/٢)، والطبقات الكبرى (٨٥/١)، والكواكب الدرية (٥٧٥/١).

(٥) في الرسالة القشيرية (٥٥٣/٢)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص١٢٧).

ومرة أخرى قال: التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع، وتحمل مع اتباع[(١)].

ومرة أخرى قال: التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله التعزف عن الدنيا، كما قال حارثة ﷺ: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري[(٤)].

وقال: إنما هذا الاسم يعني: التصوف نعت أُقيم العبد، فيه فقيل له: نعت للعبد أم نعت للحق؟ فقال: نعت للحق حقيقة، ونعت للعبد رسماً[(٢)].

وقال: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح[(٣)].

ومرة أخرى قال: الصوفي كالأرض يطؤها البار والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء.

وقال: إذا رأيت الصوفي يعبأ بظاهره [فإن] باطنه خراب.

وقال: المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيراً أوقعه مع الصوفية، ومنعه صحبة القراءة.

وقيل له: ما الفرق بين المريد والمراد؟

فقال: المريد تتولاه سياسة العلم، والمراد تتولاه رعاية الحق، لأن المريد يسير، والمراد يطير، فمتى يلحق السائر بالطائر؟.

وقال له رجل: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك حركات من باب البر [والتقوى] إلى الله تعالى، فقال الجنيد:

إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، بل إن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها [ق٥٠/ب] ولو بقيت ألف عام لم أنقض من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

---

(١) انظر: الرسالة (٥٥٣/٢)، ونشر المحاسن (ص ٣٩٧).

(٢) أورده السلمي في طبقات الصوفية (ص١٥٨).

(٣) في الرسالة (٥٥٣/٢)، وعوارف المعارف (ص٤٠).

وقال: من لم يحفظ القرآن، و لم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمــر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة(١).

وقال: الطرق إلى الله تعالى مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسولﷺ (٢).

وسئل عن التوحيد؟ فقال: إفراد المُوَحَّد بتحقق وحدانيته بكمال أحديتــه، أنــه الواحد الذي لم يلد و لم يولد:

ينفي الأضداد والأنداد والأشباه، بغير تشبيه ولا تكييف ولا تصوير، ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] (٣).

وقال: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسُّــم بنسيم المعرفة، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد، والنظر بحسن الظن بـــالله، ثم قال:

يا لها من مجالس ما أجلها، ومن شراب ماء الله، طوبى لمن رزقه(٤).

قال: من لم يصل عمله باليقين، ويقينه بالخوف، وخوفه بالعمل، وعمله بالورع، وورعه [ق٥٤/أ] بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، فهو من الهالكين(٥).

[وقال]: اليقين أن لا تهتم برزقك وقد كفيته، وتقبل على عملك الذي قدرته، فإن اليقين يسوق(٦) إليك الرزق سوقاً(٧).

---

(١) انظره في: الحلية (١٠/٢٥٥)، الرسالة (١/١٠٧)، البداية والنهاية (١١/١١٤)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٤٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٣٧)، سير أعلام النــبلاء (١٤/٦٧)، طبقـــات الأولياء (ص ١٢٧)، نشر المحاسن (ص ٣٦٤)، الشذرات (٢/٢٢٨) الكوكب (١/٥٧١).

(٢) أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/٤١٨).

(٣) انظره في: الرسالة القشيرية (٢/٥٨٣)، واللمع (ص ٤٩).

(٤) انظره في: الرسالة (١/٤٣)، والإحياء (٤/٤٢٥)، والكواكب الدرية (١/٥٧٧).

(٥) ذكره المناوي في الكواكب (١/٥٨١).

(٦) في (ح) يقود.

(٧) ذكره المناوي في الكواكب (١/٥٨١).

[وقال]: ما من أحد طلب أمراً بصدق وَجِد إلا أدركه، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض(١).

وأنشدوا في المعنى:

وإذا الأمــــــور تناجحــــــت	فالصـــــدق أكرمهـــا نتاجـــاً
والصـــــدقُ يُعْقَـــدُ فـــوق رأسِ	حليفـــه بالصـــــدق تاجـــاً
والصـــــدق يُقْـــدَحُ زِنْـــدُه	في كـــلِّ ناحيـــةٍ ســـراجاً

وقال: ولو عَلمَ منك التحقيق لوسَّعَ عليك الطريق، ولو أشرت إليه في أول المصائب لأُبْرِزَتْ إليك لطائفُ العجائب.

وقال: الخوف إخراج الحرام من الجوف، وترك العمل بعسى وسوف.

وهذا القدر كافٍ، والله تعالى أعلم.

* * *

القسم الثاني

في مناقب أشياخه: وهو مشتمل على ستة فصول وخاتمة:

الفصل الأول

في ذكر مناقب الشيخ أبي الحسن السري بن المغلس السقطي قدس الله روحه ونوّر ضريحه[١]

وهو خال الجنيد وأستاذه كما تقدم: صحب معروفاً الكرخي وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد وهو أول من تكلم فيها ببغداد، إليه ينتمي أكثر المشايخ، توفي ببغداد في سنة إحدى وخمسين، وقيل: سبع وخمسين ومائتين، وقبره بالشونيزية ظاهر يزار.

وحكي عن عبد الله بن الفضل أنه قال: حضرت السري السقطي وهو يجود بنفسه فلحظني بعينه فرآني أبكي، فقال لي: ما لك تبكي؟ فقلت: لما أرى بك؟ فقال: لا تبك لأني قد حسبت [ق٥٤/ب] حسابي مع الله ﷻ، كنت أطلبه عشرين سنة حتى وجدته، فلما وجدته استخدمني عشر سنين، ثم أبكاني فبكيت عشر سنين، ثم شوقني فاشتقت إليه عشر سنين، ثم أفناني ففنيت عشر سنين، وأنا الآن أؤمل أن أراه فأبقى له وبه ومعه، فينبغي يا أبا محمد تهنيني.

وحُكي أنه لما توفي رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟، فقال:
غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي، قال الرائي:
فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال فأخرج درجاً درجاً، ونظر فيه فلم ير فيه اسمي، فقلت: بلى قد حضرت فنظر، فإذا اسمي في الحاشية.

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/١١٦، ١٢٦) الرسالة القشيرية (ص١١٢)، وفيات الأعيان (١/٢٥١)، صفة الصفوة (٢/٢٠٩، ٢١٨)، تاريخ بغداد (٩/١٨٧، ١٩٢) البداية والنهاية (١١/١٣)، مرآة الجنان (٢/١٥٨)، شذرات الذهب (٢/١٢٧)، طبقات الشعراني الكبرى (١/٨٦).

وسبب زهده:

أنه كان يجول في السوق ويتردد إلى معروف الكرخي.

قال: فجاءه معروف يوماً وهو في حانوته ومعه صبي يتيم، فقال: اكس هذا اليتيم، قال السري: فكسوته ففرح معروف بذلك، وقال: بَغَّضَ الله إليكَ الدنيا وأراحك مما أنت فيه، فقمت من الحانوت وليس شيءً أبغض إلي من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف.

قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري: أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رُؤي مضطجعاً إلا في علة الموت.

وكان أيضاً يقول لنا السري ونحن حوله: أنا لكم عبرة يا معشر الشباب، اعملوا فإنما العمل في الشبيبة، وكان إذا جنّ عليه الليل دافع أوله، ثم دافع، فإذا غلبه النوم أخذ في النحيب والبكاء.

وقال الجنيد أيضاً: سألني السري يوماً عن المحبة؟ فقلت له:

قال قوم هي الموافقة وقال قوم: هي الإيثار، وقال قوم كذا، فأخذ السري جلدة ذراعه ومده فلم تمتد، ثم قال: وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته [ق٥٥/أ] لصدقت ثم غشي عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السري به أدمة.

وقال الجنيد أيضاً: سمعت السري يقول في بعض دعائه:

اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

وقال السري: أنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة من قولي مرة: الحمد لله، قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع الحريق ببغداد فاستقبلني وقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله فأنا من ذلك الأوان نادم على قولي حيث أردت لنفسي خيراً دون المسلمين.

وقال الجنيد: دخلت يوماً على السري وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبت هذه ليلة حارة فأعلق الكوز لعله يبرد فتفطر عليه، ثم حملتني عيناي، فنمت فرأيت في المنام جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان،

وتناولت الكوز فضربت به الأرض، قال الجنيد: فرأيت الخزف المكسور لم يمسه ولم يرفعه حتى عفى عليه التراب.

وقال أيضاً: جاء رجل إلى السري، فقال له: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

من لم يبت والحبُ حَشْوُ فؤادِهِ لم يدر كيف تفتت الأكباد

وقال علي بن الحسين:

بعثني أبي إلى السري بشيء من حَبِّ السعال لسعال كان به، فقال لي: كم ثمنه؟ فقلت: لم يخبرني بشيء!

قال: اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نُعلّمُ الناس منذ خمسين سنة أن لا يأكلوا بأديانهم فترانا نأكل اليوم بديننا؟ ولم يأخذه.

قال السري: صليت وردي ليلة من الليالي، ثم مددت رجلي في المحراب، فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك [ق٥٥/ب].

قال: فضممت رجلي، ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً.

وروي أن السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت يوماً، فقال لها: لم أبطأت؟ قالت: لأن غزلي ما اشتُري، وذكروا أنه مخلط، فامتنع من أكل طعامها، فدخلت عليه أخته يوماً فرأت عجوزاً تكنس بيته، وقد حملت له رغيفين، فخرجت شكته إلى أحمد بن حنبل ﷺ، فقال أحمد: ذلك للسري، فقال: لما امتنعت من طعام أختي قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني.

وقال: اعتللت بطرسوس علة الدرب فدخل علي فقراء القراء يعودوني وجلسوا فأطالوا فأذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله! فمددت يدي وقلت: اللهم علمنا كيف نعُود المرضي.

وقال الجنيد: سمعت السري يقول: خفيت علي علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر على الجمعة ولنا أماكن معروفة بنا لا نكاد نخلوا عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأصبحت [قد تخلفت[1]] عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة، فلما قربت من الجامع قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أصبحت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي، فقلت

---

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل وإنما هو من (ح).

لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري، فتركت ذلك المكان الذي كنت أصلي فيه وجعلت أصلي من أماكن مختلفة، لئلا يعرف مكاني، وقضيت صلاة الجمعة ثلاثين سنة.

وقال أيضاً: دخلت يوماً على السري فرأيته متغيراً فقلت: مالَكَ؟ فقال: دخل علي شاب فسألني عن التوبة؟ فقلت له: أن لا تنسى ذنبك، فعارضني، وقال: لا بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقلت: إن الأمر عندي على ما قاله الشاب، فقال لم؟

فقلت: لأني [ق٥٦/أ] إذا كنت في حال الجفا ثم نقلني إلى حال الوفا، فذكر الجفا في وقت الوفا خفا.

قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله كلاماً معناه أن كلام السري رحمه الله أتم من كلاميهما، لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة يلزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتي النهايات من البدايات، والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، كذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهاياتهم، فكلامهما يخص حالهما وكلام السري مَهيعٌ مورودٌ للسالكين، والله أعلم.

وقال السري: كنت أطلب رجلاً صدّيقاً مدة من الزمان، فمررت ببعض الجبال، فإذا بجماعة زمنى وعميان ومرضى، فسألت عن حالهم؟ فقالوا: هنا رجل صدّيق يخرج في كل سنة مرة واحدة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء، فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له: بي علة باطنة فما دواؤها؟ فقال: حلِّ يا سري عني فإنه غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه.

وقال الجنيد: دفع إلي السري رقعة وقال: هذه خير لك من سبع مائة قصة، وإذا فيها:

ولما ادعَّيتُ الحبَّ قالتْ كَذَّبْتَنِي	فما لي أرى الأعضاءَ منكَ كواسياً
فما الحب حتى يَلْصَقُ القلبُ بالحَشا	وتذبلُ حتى لا تجيبُ المناديا
وتَنْحَلُ حتى ليس يبقى لك الهوى	سوى مُقْلَةٍ تبكي بها وتناجيا

ثم قال: لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا.

وقال الجنيد أيضاً: دخلت يوماً على السري فأمرني بحاجة فقضيتها سريعاً ثم رجعت إليه فناولني رقعة وزاد فيها سمعت حادياً يحدو في البادية ويقول:

أبكي وما يــدرك مــا يبكــيني   أبكي، حذاراً أن تفــارقيني

وتقطعـــي حبلـــي وتهجـــريني

قال علاّن الخياط: كنت يوماً جالساً مع السري السقطي فوافته امرأة فقالت له: يا أبا الحسن أنا في جوارك، وقد أخذ ابني الطائفُ البارحة، وأنــا أخشــى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه.

قال علان: فتوقعت أن يبعث إليه! فقام وكبّر وطول في صلاته.

فقالت المرأة: يا أبا الحسن الله الله فيّ هو ذا أخشى أن يؤذيه السـلطان. فسـلم وقال لها: أنا في حاجتك.

قال علان: ورأيت منه أعجب من هذا، وذاك أنه اشترى مرة كُرّ لوز بسـتين ديناراً، وكتب ثلاثة دنانير ربحة، فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وقال لـه: إن ذلك اللوز أريده، فقال: خذه، قال: بكم؟ فقال: بثلاثة وستين ديناراً. فقال لـه الدلال: إنه قد صار الكُرّ بتسعين ديناراً، فلا الدلال اشترى منه ولا سري باعـه منه.

قال علان: فكيف لا يستجاب من هذا فعله؟.

وقال الحسن ابن محمد: كنت يوماً عند السري أعوده من علة اعتلها، فقلت له: كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي مــا بي   والذي قد أصــابني مــن طبيــي

قال الحسن بن محمد: فأخذتُ المروحةَ أروِّحُه بها فقال لي: كيف يجدُ ريح المروحةَ من جوفُه يحترقُ من داخله، ثم قال[ق٥٧/أ]:

القلب محترق والــدمع مسـتبق   والكــرب مجتمــع والصــبر مفتــرقُ

كيف القرار على من لا قرار له   مما جنــاه الهــوى والشــوق والقلــق

يا رب إن كان شيء فيه لي فرح   فامنن علــي بــه مــا دام بي رمــق

قال السري: صحبت رجلاً من سَر يعرف بالواله، مدة سنة، فلم أسأله عن مسألة، ثم قلت له يوماً: إيش المعرفة التي ليس فوقها معرفة؟ فقال: إن تجـد الله أقرب إليك من كل شيء وأن تمتحي من سرائرك وظواهرك كل شـيء غـيره، فقلت له: بأي شيء يُوصَلُ إلى هذا؟ فقال: بزهدك فيك وبرغبتك فيه.

قال سري: فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر.

وقال إن إبليس.

قال: زينت لأمة محمد ﷺ الذنوب فقطعوا ظهري بالاسـتغفار، فغويتـهم بالأهواء فإنها ذنوب يقاتلون عليها ولا يستغفرون منها.

وكان للسري تلميذةً: وكان لها ولد عند المعلم في الكتّاب، فبعث به المعلم إلى الرحا فنـزل الفتى إلى الماء فغرق، فجاء المعلم إلى سري فأخبره بذلك.

قال سري: قوموا بنا فذهبوا إلى أمه فجلسوا عندها، وتكلم عليها سري في علم الصبر.

ثم في علم الرضا قالت له: يا أستاذ وإيش تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق، فقالت: ابني؟.

قال لها: نعم، قالت إن ربي ما فعل هذا، ثم عاد سري في كلامه في الصـبر والرضا مثل ذلك. فقالت: قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر، فقالـت: أين غرق؟ قالوا: هاهنا فصاحت: ابني محمد! فأجابها: لبيك يا أماه، فنـزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منـزلها، فالتفت سري إلى الجنيد، وقال: إيش هذا؟ فقال: جنيد: أقول؟ فقال: قل.

قال: إن المرأة [ق٥٧/ب] مراعية لما لله عليها، وحكم من كان مراعياً لما لله عليه أن لا تحدث حادثة حتى يعلمه بذلك، فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك، فقالت: إن ربي ما فعل هذا أو كلاماً هذا معناه.

وقال ابن أبي الورد:

كان سري يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس، فاعتل فعدته عيادة السنّة يعني بين كل ثلاثة أيام، فنظرت في وجهه، فرأيت على لسانه شيئاً، فَهَمَلَتْ عيناي وسقط من دموعي على وجهه، ففتح عينيه ونظر إلي، فقلت له: رحمـك

الله أوصِ بشيء أحفظه عنك! فقال: احذر ثم احذر أن تعرف الأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار، وكان ذلك آخر كلامه.

وقال بعضهم: دخلت على السري، فرأيته يكنس بيته بخرقة ويتمثل بهذين البيتين:

وما رمت الدخول عليه حتى … حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها … وصنت النفس عن قال وقيل

وحكى أبو القاسم الجنيد قال: بت ليلة عند السري ﷺ، فلما كان بعض الليل، قال لي: يا جنيد أنت نائم؟ قلت: لا، فقال: الساعة أوقفني الحق ﷻ بين يديه، وقال لي: يا سري خلقت الخلق كلهم، فادعّوا محبتي، فخلقت الدنيا فاشتغل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عني بالدنيا، وبقي ألف فخلقت الجنة، فاشتغل بالجنة عني من الألف تسعمائة، وبقي مائة فسلطت عليهم شيئاً من البلاء، فاشتغل عني من المائة تسعون بالبلاء وبقي عشرة، فقلت لهم: لا الدنيا أردتم ولا الآخرة رغبتم ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد، فقال: إني أنـزل عليكم [ق٥٨/أ] من البلاء مالا تطيقون ولا تحمله الجبال الرواسي فتثبتون لذلك، فقالوا: أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا، بك نحمل وفيك نحمل مالا تطيقه الجبال، فقال لهم: أنتم عبيدي حقاً رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وقال ابن مسروق: سمعت سرياً يقول: بينما نحن نسير في بلاد الشام إذ ملنا عن الطريق إلى ناحية جبل عليه عابد فجئنا إليه فوجدناه يبكي، قال سري: فقلت له: ما أبكى العابد؟ فقال: ومالي لا أبكي وقد توعرت الطرق، وقل السالكون فيها، وهجرت الأعالي، وقل الراغبون فيها ورفض الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، وقد افترش الرخص وتمهد التأويل واعتل بذلك العاصون، ثم صاح صيحة، وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السماوات؟ ثم ولى صارخاً وهو يقول:

واغمَّاه من فتنة العلماء، واكرباه من حيرة الأدلاء، وجال جولة ثم قال: أين الأبرار من العباد، بل أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى، وقال: شغلهم والله طول

الوقوف وهمّ الجواب عن ذكر الجنة والنار وذكر الثواب، ثم قال: أنا استغفر الله من شهوة الكلام. تَنَحَّوا عني، فخليناه وهو يبكي وقد ملئناً منه هماً وغماً.

وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول:

بدوت يوماً من الأيام وأنا حدث فطاب وقتي وجن علي الليل وأنا بفناء جبل لا أنيس به فناداني في جوف الليل مناد: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب.

قال: فتعجبت، وقلت: [٥٨/ب] أجَنِّيٌّ يناديني أو إنسي؟ فقال: بل جني مؤمن بالله ومعي إخواني، قلت: فهل عندهم ما عندك؟.

قال: نعم وزيادة.

قال: فناداني الثاني منهم: لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة.

قال: فقلت في نفسي: ما أبلغ كلامَهُم، فنادني الثالث منهم: من أنس به في الظلام نشر له غداً الأعلام.

قال: فصعقت، فما أفقت إلا برائحة الطيب، فإذا أترجة على صدري فشممتها، فأفقت فقلت: وصيةً رحمكم الله! فقالوا جميعاً: أبى الله إلا أن تحيا به قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع ، ومن اتبع طبيباً مريضاً دامت علته، ومن اتبع الدليل الحائر رجع وهو كليل، وفقنا الله وإياك.

وودّعوني ومضوا وقد أتى علي حين فلا أزال أرى بركة كلامهم موجودة في خاطري.

قال الجنيد: دخلت يوماً على السري، فقال لي: ما أوائل أحوال الصديقين؟ قلت: لا أدري فقال: ثلاثة من أحوال الصديقين: أن يكونوا بما في أيديهم وإخوانهم سواء، ويطالبون نفوسهم بما لله عليهم، وإذا عرض أمران لله فيهما رضا حملوا أنفسهم على أصعبهما وأشدهما، وإن كان فيه تلف نفوسهم.

وقال أبو إسحاق الحُبلي:

دخلت على علي بن عبد الحميد الغضائري رحمه الله فوجدته من أفضل خلق الله تعالى، وكان لا يتفرغ من الصلاة آناء الليل والنهار فانتظرت فراغه، وقلت: إنا تركنا الآباء والأمهات والأهل والوطن بالرحلة إليك، فقد تفرغتَ ساعة فتحدثَنا بما عندك عما آتاك الله تعالى من العلم، فقال: أدركني دعاء الشيخ

الصالح سري السقطي، وذلك أني جئت إليه يوماً فقرعت بابه، فقال: مـــن ذا؟ [ق٥٩/أ] فقلت: أنا فسمعته يقول قبل أن يخرج إلي: اللهم من جاءني يشـــغلني عنك فاشغله بك عني، فما رجعت من عنده حتى جئت على الصلاة والاشـــتغال بذكر الله تعالى حتى لا أتفرغ إلى شيء سواه ببركة ذلك الشيخ.

وقال قدس الله روحه: اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر، واســتجلب نور القلب بدوام الخوف، والتمس وجود الفكر في مـــواطن الخـــوف، وألح في المسالة عند وجل القلوب، وإياك والتسويف، ونافس الأبرار في إقامة الفـــرض، ونافس المقربين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال، واطلب حلاوة المناجـــاة بفراغ القلب وجمع الهمم، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، وأكثر الحسنات الحديثات للسيئات القديمات، واستبق الحسنات بقلـــة التبعـــات، وســـارع في الخيرات، واحذر ما يوجب عليك العقوبات.

وقال: المتصوف اسم لثلاث معان:

- وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.
- ولا يتكلم في علمٍ باطن ينقضه عليه ظاهر الكتاب.
- ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

وقال: أعرف طريقاً مختصراً قصداً على الجنة.

فقيل له: ما هو؟ قال: لا تنال من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شـــيئاً، ولا يكون معك شيء تعطي أحداً.

وقال: التوكل الانخلاع من الحول والقوة، وأربع مـــن أخـــلاق الأبـــدال: استقصاء الورع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة لهم، وأربـــع خصال يرفع الله بها: العلم والأدب والدين والأمانة.

وقال: من لم يعرف قدر النعم سُلبَها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليـــه المصائب [ق٥٩/ب] أحرز ثوابها، وقليل في سُنّة خير من كثير في بدعة، وكيف يقل عمل مع تقوى.

وقال الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيه فاجتنبـــه، وأمر أُشكل عليك فقف عنده وَكِلْهُ إلى الله وليكنِ الله دليلكَ، واجعل فقرَك إليه تستغني به عمن سواه.

وقال: لسانك ترجمان قلبك، ووجهك مرآة قلبك، فيبين على الوجـــه مـــا يضمر القلب.

والقلوب ثلاثة:

- قلب مثل الجبل لا يزيله شيء.
- وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها.
- وقلب كالريشة تميل مع الريح يميناً وشمالاً.

وقال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها، فيقال يا أمة موسى، ويا أمة عيسى، ويا أمة محمد ﷺ، غير المحبين لله فإنهم ينادَوْن:

يا أولياء الله هلموا إلى الله، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً.

وقال: خير الرزق ما سلم من الآثام في الاكتساب والمذلـــة والخضـــوع في السؤال والغش في الصناعة، وإتيان ألد المعاصي. ومعاملة الظلمة.

وقال: وأحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب، وإصـــلاح العيـــوب، وطاعة علام الغيوب، وجلاء الرين من القلوب، وأن لا يكون لما تهوى ركون.

وقال: خمسة أشياء لا يسكن معها في القلب غيرها:

الخوف من الله وحده، وإذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثم كتب الحـــديث فتـــر، وإذا ابتدأ بكتبه الحديث ثم تنسك نفد، وأجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

وقال: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشـــجار عليها كلما خلق الله من الأطيار يخاطبه كل طير منها بلغة، وقال لـــه: الســـلام عليك يا ولي الله، ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان في يدي نفسه أسيراً [٦٠ق/أ].

***

الفصل الثاني
في ذكر مناقب الشيخ أبي محفوظ معروف بن فيروز[(١)]

وقيل: ابن الفيرزان، وقيل: معروف بن علي الكرخي- كرخ بغداد على الصحيح- وهو من جُلّة المشايخ، وقدمائهم، والمشهورين بالزهد والورع والفتوة مجاب الدعوة يستسقى بقبره.

يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب، وقبره هناك مشهور، ومعروف ظاهر يتردد الخلق إلى زيارته، فكم من صاحب ملكه بشئ، ومعروفٌ معروف. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في رسالته - في ترجمة معروف: وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما مات سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، وكان أستاذ سري السقطي.

وقد قال له يوماً، فإذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول:

كان معروف أبواه نصرانيين فسلّموا معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبي، وكان المؤدب يقول له:

قل ثالث ثلاثة، ويقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يدي علي بن موسى الرضا، ورجع إلى منزله، ودق الباب فقيل: من بالباب؟ فقال: معروف، فقالوا: على أي دين [أنت[(٢)]] ؟ فقال: على الدين الحنفي، فأسلم أبواه.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الصوفية للسلمي (ص٨٣، ٩٠)، الرسالة القشيرية (١٢)، حلية الأولياء (٨/٣٦٠، ٣٦٨)، صفة الصفوة (٢/٧٩، ٨٣)، تاريخ بغداد (١٣/١٩٩)، مرآة الجنان (١/٤٦٠)، طبقات الحنابلة (١/٣٨٠)، نفحات الأنس (٥)، اللمع (١٨٥)، وفيات الأعيان (٢/١٣٦)، اللباب (٣/٣٥)، الأنساب (٧٨)، التعرف (١١)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٤)، طبقات ابن الملقن (٥٨)، معروف الكرخي لابن الجوزي.

(١) ما بين [ ] زيادة يقتضيها السياق.

قال سري السقطي:

رأيت معروفاً الكرخي في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته: مــــن هذا ؟ فقالوا: أنت أعلم يا رب، فقال: هذا معروف الكرخي، سكر من حــبي فلا يفيق إلا بلقائي.

وقال محمد بن الحسين:

سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في المنام بعــد موتــه [ق٦٥/ب] فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلــت: بزهـــــدك وورعـــــك؟ فقـــال لا: بل بقبولي موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقــراء، فأمـــا موعظة ابن السماك فيما قال معروف: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجـــل يقال له: ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكلّيته أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله إليه برحمته، وأقبـــل بوجوه جميع الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه برحمته وقتاً مـــا، فوقـــع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله وتركت كل ما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا، ثم ذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك هذا موعظـــة إن اتعظت!.

وقال السري السقطي: قيل لمعروف عند موته: أَوْص! فقال: إذا أنا مت فتصدقوا بقميصي، فأني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً[1].

وقال أبو بكر الخياط:

رأيت في المنام كأني دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس على قبـــورهم، وبين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمعروف قائم فيما بينهم يذهب ويجيء، فقلت: أبا محفـــوظ ما صنع ربك بك أو ليس قد مت! فقال: بلى، ثم أنشد:

موت التقَيِّ حيـــاةٌ لا نفـــادَ لهـــا ... قد مات قومٌ وهم في الناس أحياء

وقال أبو بكر بن أبي طالب:

دخلت مسجد معروف، وكان في منـــزله، فخرج إلينا ونحن جماعة فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرددنا عليه السلام، فقال:

---

(١) انظره في: الحلية (٨/٣٦٢)، والرسالة (١٢).

حيّاكم الله بالسلام ونعمنا وإياكم في الدنيا بالأحزان، ثم شرع في الأذان وارتعد واضطرب، فلما بلغ الشهادتين قام شعر لحيته وحاجبيه واضطرب [ق٦١/أ] حتى خفت أن لا يتم أذانه، وانحنى حتى كاد يسقط، قال: قال الله تعالى:
أحب عبادي إلي المساكين الذين سمعوا قولي وأطاعوا أمري، ومن كرامتهم علي أن لا أعطيهم دنيا فينقلبوا بها عن طاعتي.

قال إبراهيم الأطروشي:

كنا ببغداد على دجلة مع معروف إذ مر أحداث في زورق يضربون بالدف، ويشربون ويلعبون، فقلنا: أما تراهم يعصون الله تعالى مجاهرين؟ ادع الله عليهم فرفع يديه، وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة.
فقالوا إنما سألناك لتدعو عليهم فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم، فرُويَ أنهم تابوا بأجمعهم.

[وجاء] معروف يوماً إلى دجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها، وقال: يا أختي أنا معروف، ولا بأس عليك، ألك ولد يقرأ القرآن؟ قالت: لا.

قال: فزوج؟ قالت: لا.

قال: فهاتي المصحف وخذي الملحفة.

قال محمد بن منصور الطوسي:

كنت عند معروف الكرخي فدعا لي ثم عدت إليه من الغد وفي وجهه أثر، فقال له إنسان: يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا؟ فقال: سل عما يعنيك؟ فقلت له: بمعبودك ألا قلت لي! فقال: صليت البارحة ههنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة، فطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه[1].

وقال خليل الصياد:

فقدت ابني محمد زمناً طويلاً فوجدنا عليه وجداً شديداً، فأتيت معروفاً، فقلت له: يا أبا محفوظ غاب ابني محمد وأمه عليه واجدة، فقال: ما

---

(١) انظره في: تاريخ بغداد (١٣/٢٠٢)، الرسالة (٢١٨)، أحكام الدلالة (١/٨٢).

تشاء؟ قلت: [ق٦٠/ب] تدعو الله أن يردّه، فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك، آت محمداً، قال خليل: ثم خرجت إلى باب الشام، فإذا ابني محمد واقف، فقلت: محمد! فقال: يا أبت الساعة كنت بالأنبار.

وقال يعقوب بن أخي معروف:

كان عمي مؤاخياً لصديقين: إبراهيم والأسود ابنا سالم، وكانا جميعاً يودّانه مودة صحيحة، ويتجاريان عنده بالعلم والعمل، فقالا لعمي: إن بشر بن الحارث يحب أن يؤاخيك وهو يكره كثرة اللقاء خوفاً أن لك عليه حقوقاً بحق الأخوة فتعوده أو يعودك، فإن أنت قبلته أن لا تلتقيا إلا لله ﷻ فاعقد ذلك، فقال معروف:

والله لوددت رجلاً لله ما أحببت أن أفارقه في ليل ولا نهار، وأن أُشركه في أعمالي كلها من النوافل، ولو قسمت لي الجنة لأحببت أن يدخله الله قبلي لأني إنما أحببته لله، ومن أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان، وقد عقدت له الأخوة برسالتكما كما عقد رسول الله ﷺ لنفسه ولعلي، وشاطره العلم وفقهه بأشياء خصه بها جبريل عليه السلام من الدعاء والذكر في الخلوة، وأنا أوصيه بالله تعالى إذا خلا بالله ﷻ، واعلما أن العلم إذا عمل به العالم استوت قلوب المؤمنين، وما أحب رجل رجلاً لله إلا وجب على المحبوب الدعاء له، وإن العبد إذا صدق في سره لمن وده في الله أصلح الله له سره وعلانيته، ويشفع بعضهم في بعض وجعل ما أسكنه قلوبهم فيه نجاتهم وألهمهم الشكر على إحسانه إليهم، وعرفهم أن ذلك منه فهم في أعمال الآخرة في تمام، ومن الدنيا على رحيل، ومن الساعات على تفقد فأي[ق٦٢/أ] وقت أتاهم الموت لم تلحقهم حسرة إلا على ما فاتهم من صحة الأعمال.

وقال: إن بعض جلسائه انصرف من عنده في شهر رمضان بعد صلاة المغرب، قال: فجئته من الغد، فقال لي: أي وقت بلغت منزلك! قلت: كما دخلت أفطرت، فقال: من أين كان لك ما أفطرت عليه؟ فقلت: لا أدري، قال: لا تفطر على شيء حتى تدري، وإلا فاطو فهو خير لك.

[قال معروف] يقول الله تعالى في بعض الكتب:

ابن آدم ما أخسرَك، تسألني فأمنعك لعلمي بما يصلحك، ثم تلح علـــي في المسألة فأجود بكرمي عليك، وكم من جميل أعطيك فأعطيك ما تسألني فتستعين بما أعطيك على معصيتي فأهم بهتك سترك فتسألني فأســتر عليــك، ثم تعــاود المعصية، فأستر عليك، فكم من جميل أصنعه بك، وكم من قبيح تعملـــه معـــي! يوشك أن أغضب عليك غضباً لا أرضي بعده أبداً.

وقال: رأيت بالبادية شاباً حسن الوجه، له ذؤابتان حسنتان، وعلى رأســه رداء قصب، وعليه قميص كتان، وفي رجليه نعل طاق.

قال معروف: فتعجبت منه في مثل ذلك المكان، ومن زيّه فقلت الســلام عليكم ورحمة الله، فقال: وعليك السلام يا عم.فقلت له: الفتى من أين؟.

قال: من مدينة دمشق، قلت: ومتى خرجت منها؟.

قال: ضحوة النهار.

قال معروف: فتعجبت منه وكان بينهم وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة، فقلت له: وأين المقصد؟.

قال: مكة إن شاء الله، فعلمت أنه محمول، ثم ذهبت فلم أره حتى مضــت ثلاث سنين، فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منــزلي أتفكر في أمره، وما كان منه إذا بإنسان يدق الباب فخرجت إليه، فإذا [ق/٦٢] بصاحبي فسلمت عليــه، وقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً وأدخلته المنــزل، فرأيته حافياً خاسراً، فقلــت: إيش الخبر؟ فقال: يا أستاذ لم تخبرني بما يفعل معامليه؟ قلت له: فأخبرني بــبعض خبرك؟.

قال: نعم لاطفني حتى أدخلني الشبكة، ثم ضربني ورماني، فمرة يلاطفــني، ومرة يهينني، ومرة يكرمني، ومرة يجيعني، فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائــه، ثم ليفعل بي ما يشاء.

قال معروف: فأبكاني كلامه فقلت له: فحدثني ببعض ما جرى عليك منــذ فارقتني، فقال: هيهات أن أبديه وهو يريد أن أخفيه، ولكن أخبرك بما فعل بي في طريقي إليك سيدي ومولاي.

ثم استفرغه البكاء، فقلت: وما الذي فعل بك؟.

قال: جوعني ثلاثين يوماً، ثم جئت إلى قرية فيها مقتاة قد نبذ منها الدود وطرح، فقعدت آكل منه، فبصرني صاحب المقتاة، فأقبل إلي يضرب ظهري، ويقول:

يا لص ما خرب مقتاتي غيرك، مذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك، فبينما هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً إليه وقلب السوط في رأسه، وقال: تعمد إلى ولي من أولياء الله تضربه وتقول له يا لص فأخذ بيدي صاحب المقتاة، وذهب بي على منزله فما ترك شيئاً من الكرامة إلا عمله معي، واستحلني، فبينما كنت عنده لصاً إذ جعلني ولياً، ثم إن صاحب المقتاة.

قال: قد جعلت هذه المقتاة لله تعالى ولأصحاب معروف، فقلت له: صف لي معروفاً؟ فوصف لي الصفة فعرفتك بما كنت شاهدته من صفتك.

قال معروف: فما استتم كلامه حتى دق صاحب المقتاة الباب، ودخل إلي وكان موسراً فأخرج جميع ما له ودنياه [ق٦٣/أ] وجعل الجميع للفقراء، وصحب الشاب سنة، ثم خرجا إلى الحج فماتا بالربذة رحمهما الله.

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى: جرى ذكر معروف الكرخي في مجلس والدي، فقال واحد من الجماعة: هو قصير العلم، فقال له والدي: أمسك عافاك الله، وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف.

وروي عنه: إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله.

وروي عنه: [إذا أراد الله بعبدٍ شراً أورثه حب] الدنيا والخذلان، وأسكنه بين الفقراء.

وقال: إذا أراد الله بعبد شراً ابتلاه بالخذلان، وأسكنه بين الأغنياء، فإذا نظر إليهم استعظم غناهم.

وقال: قلوب الطاهرين تشرق بالتقوى وتزهر بالبر، وقلوب الفجار تظلم بالفجور، وتعمى بسوء النية، وإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الفترة والكسل.

وقال: ما أكثر الصالحين، وأقل الصادقين في الصالحين.

وقال له رجل: أوصني، فقال: توكل على الله حتى يكون هو مُعلمَك ومؤنسَك وموضعَ شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك.

وقال: علامة مقت الله للعبد أن يراه مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه، وطلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل.

وقيل له: ما علامة الأولياء؟ فقال: ثلاثة: همومهم الله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه، ثم قال: ليس للعارف نعمة، وهو في كل نعمة.

وقال: التصوف الأخذ بالحقائق، والكلام في الدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق. والله أعلم.

* * *

الفصل الثالث

في ذكر مناقب الشيخ داود الطائي قدس الله روحه(١)

[ق٦٣/ب]، وكان كبير الشأن في العلم والزهد والورع.

قيل إنه: ورث من أبيه عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة، وسبب زهده أنه كان ماراً ببغداد يوماً فجاء المطرقون بين يدي حميد الطوسي فالتفت دواد فرأى حميداً، فقال لنفسه: أفٍ لدينا سبقك بها حميد فلزم البيت، وأخذ في الجهد والعبادة، وقيل:

إن سبب زهده أنه سمع نائحة تندب وتقول(٢):

بأي خديك تبدّى البِلا   وأي عينيك إذا سالتا

وقيل: كان سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة، ويتفقه عليه، فقال له أبو حنيفة ﷺ يوماً: يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها، فقال له داود: فأي شيء بقي؟ فقال: العمل به.

قال: فنازعتني نفسي إلى العزلة، فقلت لنفسي: حتى أجالسهم ولا أتكلم في مسألة، فجالستهم سنة لا أتكلم في شيء، وكانت المسألة تمر بي وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء ولا أتكلم، ثم صار أمره إلى ما صار.

وقيل: إن حجاماً حجمه، فأعطاه ديناراً، فقيل له: يا أبا سليمان هذا إسراف؟ فقال: لا عبادة لمن لا مرؤة له.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات الصوفية (٨٥)، حلية الأولياء (٣٣٥/٧)، التعرف (١١)، ميزان الاعتدال (٣٢٥/١)، تهذيب التهذيب (٢٠٣/٣)، تاريخ بغداد (٣٤٧/٨)، البداية والنهاية (١٤٥/٣)، كشف المحجوب (١٠٩، ١١٠)، النجوم الزاهرة (٣٢/٢، ٥٠)، الجواهر المضية (٢٤٠/١)، شذرات الذهب (٢٥٦/١)، الكواكب الدرية (١٠٥/١)، جامع كرامات الأولياء (٧/٢)، اللباب (١٠٢/٢)، (١٢٩/٣)، سير أعلام النبلاء (٤٢٥/٧)، معرفة الثقات (٤٤٣).

(٢) انظره في: طبقات الأولياء (ص ٢٠٠).

وكان يقول: في جملة دعائه بالليل: إلهي همك عطل علي الهموم، وحال بيني وبين الرقاد.

ودخل عليه بعضهم فرأى جرة ماء قد انبسطت الشمس عليها، فقال له: ألا تحولها؟ فقال: حين وضعتها لم تكن الشمس وأنا أستحي أن يــراني الله أمشي لما فيه حظ نفسي.

ودخل عليه رجل فجعل ينظر إليه، فقال له: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول الكلام.

وقال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني؟ فقال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت، وفرّ من الناس [ق٦٤/أ] كفرارك من الأسد.

وقال قبيصة: حدثنا جار لنا أن امرأة من أهل داود صنعت ثريدة بشمس، ثم بعثت بها إليه، وقت إفطاره مع جارية لها.

قال: وكان بينه وبينها رضاع، قالت الجارية: فوضعت القصعة بين يديــه، فقام إليها ليأكل منها، فجاء سائل فوقف على الباب فدفعها إليه، وجلس معــه على الباب حتى أكلها، ثم دخل فغسل القصعة، ثم عمد إلى تمر كان بين يديــه، فوضعه في القصعة، ودفعه إلي، وقال: اقرئيها السلام، قالت الجارية: وكان ذلك التمر قد أعده لفطوره وما أظنه بات إلا طاوياً، وقال: إنه كان يخبز له في كل شهر ستون رغيفاً، ثم يعلقها بشريط، يفطر في كل ليلــة علــى رغيف بماء وملح.

قال: فأخذ ليلة فطوره، وجعل ينظر إليه فقامت مولاة له سوداء، فجاءتــه بشيء من التمر على طبق فأفطر عليه ثم أحيا ليلته إلى الصباح وأصبح صــائماً؛ فلما كان وقت إفطاره أخذ رغيفاً وملحاً، وجعل يعاتب نفسه، ويقــول: لمــا اشتهيت البارحة تمراً، أطعمتك فاشتهيت الليلة تمراً، لا ذاق داود الطائي تمراً مــا دام في دار الدنيا، فما ذاقه حتى مات.

وقال عبد الله بن خبيق: أتى الفضيل بن عياض داود الطائي يعوده، فقال له: أقلل من زيارتي فقد قليت الناس.

قال: ما أخرج الله عبداً من ذل المعصية إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعــزّه بلا عشيرة، وأنسه بلا أنيس.

قال بكر بن محمد: قلت لداود الطائي: دلني على رجل أجلس إليه؟ فقال: تلك ضالة لا توجد.

[وعوتب[1]] على ترك التزويج! فقال: كيف بقلب ضعيف لا يقوم همّ يجتمع عليه همّان.

وقال سهل الصعلوكي[ق٦٤/ب]:

حدثتني أم سعيد بن علقمة، وكان سعيد من نساك النخع، وقالت: كان بيننا وبين داود جدار قصير، فكنت أسمعه عامة ليله لا يهدأ، قالت:

وربما ترنم بشيء من القرآن وقت السَّحر فأرى كأن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة.

وقال عبد العزيز بن محمد:

رأيت في المنام كأن قائلاً يقول: من يحضر؟ من يحضر؟ فأتيته، فقال: ما تريد؟ فقلت سمعتك تقول: من يحضر؟ من يحضر؟ فأتيتك أسألك عن معنى كلامك، فقال: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبر عن أعلى مراتب الأولياء! فأدرك لعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول:

ما نال عبد من الرحمن منزلةً ... أعلى من الشوق إن الشوق محمود

وسلّم ونزل، فقلت لرجل إلى جانبي: من هذا؟.

قال: أما تعرفه؟ قلت: لا.

قال: داود الطائي فعجبت في منامي منه، فقال: أتعجب مما رأيت والله إن الذي لداود الطائي من الزلفى أكثر من هذا وأكبر.

وقال عبد الله الأعرج:

أتيت داود الطائي فصليت معه المغرب، وكان لا يتطوع في المسجد فتبعته إلى بيته فصعّد في النظر وصوّب، فقلت له، أنا ضيفك الليلة، فدخل ودخلت معه، فصلى ما شاء الله ثم أخرج رغيفين يابسين، وجلس، وقال: ادن فكل، فأشفقت عليه أن أزاحمه، فأكل، ثم قام إلى شنٍ بجانب الدار في يوم صائف، فأخذ وشرب منه،

---

(١) ما بين [ ] بياض في الأصل.

فقلت له: يا أبا سليمان لو أمرت من يبرد لك هذا الماء؟ فقال: أما علمت: أن الذي يبرد له الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله.

وقال له رجل من عشيرته: أوصني [ق٦٥/أ] فدمعت عيناه، ثم قال:

يا أخي إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر قريب والأمر أعجل من ذلك فتزود لنفسك واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بَغَتَك، وإني أوصيك بهذا وما أعلم أحداً أشد تضييعاً لذلك مني، ثم قام، وقيل: إنه تبع جنازة بالكوفة فجلس ناحية وهي تدفن فجاء الناس وقعدوا قريباً منه، فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، وكل ما شغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون، ويندمون على ما يخلفون.

وقال الحسن بن مجاهد:

كان داود الطائي لما خف عنه المرض، قيل له: لو خرجت لانفرج عن قلبك! فقال: إني لأستحي من الله أن أنقل قدمي إلى ما فيه راحة بدني.

وقال: إنه لما مات رآه بعض الصالحين في المنام، وهو يعدو، فقال له: ما لك؟ فقال: الساعة تخلصت من السجن، فأستيقظ الرجل وإذا الصياح قد ارتفع بموت داود الطائي رحمه الله[1].

وقال بعض الصالحين: رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي قد زخرفت الجنة لقدوم روحه، وعندما مات قام ابن السماك على قبره، فقال: يا داود: كنت تسهر ليلك والناس نائمون، فكنت تربح والناس يخسرون، وكنت تسلم إذا الناس يخوضون حتى عد جميع فضائله، والناس يصدقونه على ذلك، فلما فرغ قام ليذهب فحمد الله، ثم قال: يا رب الناس قد قالوا ما عندهم ومبلغ ما علموه من حاله، واللهم فاغفر [ق٦٥/ب] له برحمتك، ولا تكله إلى عمله، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظره في: حلية الأولياء (٣٥٥/٧).

الفصل الرابع
في ذكر مناقب الشيخ أبي محمد حبيب العجمي قدس الله روحه[١]

من ساكني البصرة صاحب كرامات، مجاب الدعوة، وكان سبب إقباله على الآجلة واشتغاله عن العاجلة أنه حضر مجلس الحسن البصري فوقعت موعظته في قلبه فخرج عما كان يتصرف فيه ثقة بالله تعالى، مكتفياً بضمانه سبحانه وتعالى، واشترى نفسه من الله تعالى بأربعين ألف دينار في أربع دفعات تصدق بعشرة آلاف في أول النهار، فقال: يا رب قد اشتريت نفسي منك بهذا.

وقال: هذا شكراً لما وفقتني له، ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب إن لم تقبل مني الأولى والثانية، فاقبل هذه، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب إن قبلت الثالثة فهذا شكراً لها.

وفي رواية يونس بن محمد قال: سمعت مشيخة يقولون:

كان الحسن رحمه الله في مجلس وعظه يأتيه فيه أهل الدنيا والتجار، وكان حبيب غافلاً عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شيء من مقالته، فقال له أصحابه يوماً: إن الحسن يذكر بالجنة والنار، ويرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا، فوقر ذلك في قلبه، فقال بالفارسية: امضوا بنا إليه فأتاه، فقال جلساء الحسن رحمه الله: يا أبا سعيد هذا أبو محمد حبيب، قد أقبل إليك فعظه، وأقبل عليه، فوقف عليه وتكلم بالفارسية، فقال الحسن رحمه الله: إيش يقول! قالوا له: إنه يقول: عظني موعظة بليغة! قال فوعظه الحسن، ثم ذكره الجنة وخوفه النار، ورغبه في الخير، وزهده في الدنيا، فقال أبو محمد بالفارسية: كيف أصل إلى ذلك؟ فقال الحسن رحمه الله تعالى: أنا ضامن لك على الله تعالى [٦٦/أ] وذلك إن أنبت إلى الله تعالى واتبعت رضوانه، واجتهدت في عبادته ولزوم طاعته سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٤٩/٦، ١٥٥)، اللمع للطوسي (٣٢)، كشف المحجوب (٨٨، ٨٩) ميزان الاعتدال (٢١٢/١)، تهذيب التهذيب (١٨٩/٢)، جامع كرامات الأولياء (٣٨٧/١)، النجوم الزاهرة (٢٨٣/١)، اللباب (١٢٤/٢)، طبقات الأولياء (٣٤).

قال: فلما سمع ذلك انصرف من عنده وقد وقر ذلك في قلبه، فلم يـــزل في تفريق ماله في سبيل الله تعالى حتى لم يبق له شيء، ثم بعد ذلك جعل يستقرض على الله ﷻ حتى كان منه ما كان.

وجَاء رجل إليه فشكى دَيناً عليه فقال: اذهب واستقرض، وأنا أضمن، فأتى رجلاً فأقرضه خمس مائة درهم وضمنها أبو محمد رحمه الله، ثم جاء الرجل بعـــد حين، وقال: يا محمد دراهمي فقد أضربي حبسها، فقال: نعم في غد إن شـــاء الله تصل إليك، فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد وصلى ودعا الله تعالىً أن يؤدي عنه ما ضمن، ثم رجع إلى منـــزله وجاء الرجل، فقال له حبيب رحمه الله: اذهـــب فإني وجدت في المسجد شيئاً فخذه، فذهب فإذا هي صرة فيهـــا خمـــس مائـــة فوجدها زائدة، فقال:

يا أبا محمد تلك الدراهم زائدة على خمسمائة درهم فقال: اذهب فهي لك، الذي وزنها، وزنها راجحة.

قال السري بن يحيى وغيره: إنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب دقيقاً وسويقاً[(١)] بنسيئة وعمد إلى خرائط فخطها ووضعها تحت فراشه، ثم دعا الله ﷻ، فجاء أرباب الديون بعد مدة يطلبون الثمن، فأخرج تلك الخرائط، وقد امتلكت، فقال: زنوا فوزنوا حقوقهم.

وقال السري أيضاً: قال قدم رجل من أهل خراسان، وكان قد باع ما دان له بها وعزم على سكنى البصرة، فلما قدم البصرة كان معه عشرة آلاف درهـــم، فأراد الخروج إلى مكة هو وامرأته، فسأل الناس لمن يودع العشرة آلاف! فقيـــل له: [ق٦٦/ب] لأبي محمد حبيب فأتاه فقال: إني قاصد أنا وامرأتي مكة شـــرفها الله تعالى وهذه عشرة ألاف أُريد أن أشتري بها منـــزلاً بالبصرة فـــإن وجـــدت منـــزلاً ويحق عليك أن تشتريه لنا، فافعل، ثم سافر الرجل إلى مكـــة، فأصـــاب الناس بالبصرة مجاعة فشاور حبيب ﷺ أصحابه أن يشترًى بالعشرة آلاف دقيقـــاً ويتصدقَ به عنه، فقالوا له: إنما وضعها ليشتري منـــزلاً، فقال: أنا أتصدق بهـــا

(١) هو دقيق القمح.

عنه واشتري له بها من ربي ﷻ منـــزلاً في الجنة، فإن رضي وإلا دفعت دراهمـــه إليه.

قال: فاشترى دقيقاً وتصدق به، فلما قدم الخراساني من مكة شرفها الله أتى حبيباً فقال: يا أبا محمد اشتريت لنا منـــزلاً أو ترد الوديعة فاشتَرِي لنا بها، فقال:

قد اشتريت لك منـــزلاً فيه قصور وأشجار وثمار وأنهار قـــال: فانصـــرف الخراساني إلى امرأته فرحاً مسروراً، فقال: قد اشترى لنا أبو محمد حبيب منـــزلاً أراه كان لبعض الملوك فإنه قد عظّم أمره، وما فيه من أشجار وثمار وأنهار، ثم أقام الخرساني يومين أو ثلاثة، وجاء إلى حبيب رحمه الله تعالى فقال يا أبا محمد: ابـــن المنـــزل الذي اشتريت لي؟ فقال أبو محمد: اشتريت لك من ربي ﷻ منـــزلاً في الجنة بقصوره وثماره وأنهاره ووصائفه، فانصرف الرجل إلى امرأته أشد فرحاً من الأول وقال لها: إن حبيباً قد اشترى لنا المنـــزل من ربه ﷻ في الجنـــة فقالـــت امرأته: يا فلان أرجو أن يكون قد وفق الله ﷻ حبيباً وما قَدر ما يكون لبثنا في الدنيا، فارجع إليه فليكتب لنا كتاباً بعهدة المنـــزل، فرجع الخراساني إلى حبيـــب رحمه الله وقال يا أبا محمد: قد قبلنا ما اشتريت فاكتب لنا كتاباً بعهدة المنـــــزل فقال: نعم، فدعا من يكتب له الكتاب، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى أبو محمد حبيب من ربه ﷻ لفلان الخراساني، اشترى له منـــزلاً بقصوره وأنهاره وأشجاره ووصائفه بعشـــرة آلاف درهم فعلى ربه ﷻ أن يدفع هذا المنـــزل إلى فلان الخراساني ويبرئ حبيباً مـــن عهدته، فأخذ الخراساني الكتاب، وانطلق به إلى امراته فدفعـــه إليهـــا، ثم أقـــام الخراساني نحواً من أربعين يوماً ثم حضرته الوفاة، فأوصى امرأته: إذا غســـلتموني وكفنتموني فاجعلوا هذا الكتاب في أكفاني، ففعلوا ذلك، فلما دفن الرجل وجد على ظهر قبره رقاً مطوياً فيه مكتوب: ليس يشبه مكاتيب الدنيا، فنشروه فإذا فيه برآة الحبيب أبي محمد من المنـــزل الذي اشتراه لفلان الخراســـاني بعشـــرة آلاف درهم، فقد دفع ربه سبحانه وتعالى إلى الخراساني ما شرط له حبيب وأبرأه منه، فأتى حبيب بالكتاب فجعل يقرأه ويقبله ويبكي ويروح إلى أصحابه ويقول: هذه برآتي من ربي ﷻ.

وجاء رجل إلى أبي محمد فاشتكى وجعاً في رجله، وسأله أن يدعو له وكان في مجلسه، فلما تفرق الناس أخذ المصحف وعلقه في عنقه، وقال: يا الله لا تسود وجه حبيب، ثم قال: اللهم عافه حتى ينصرف ولا يدري في أي كان الوجع فوجد الرجل العافية في الحال فسألناه في أي رجليك كان الوجع؟ فقال: لا أدري.

وقال [ق٦٧/ب] أبو محمد حبيب رحمه الله: أتانا سائل وكان قد عجنت امرأتي عمرة، وذهبت تجيء بنار لتخبزه، فقلت للسائل: خذ العجين فأخذه فجاءت عمرة، فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا يخبزونه، فلما أكثرت علي أخبرتها، فقالت: سبحان الله العظيم لابد لنا من شيء نأكله، قال: فإذا برجل قد جاءنا ومعه جفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً، فقالت عمرة: ما أسرع ما ردوه عليك وقد خبزوه وجعلوا معه لحماً.

وروي أن عمرة امرأته كانت توقظه بالليل وتقول: قم يا رجل، قد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيد وزادنا قليل، وقافلة الصالحين قد سارت قدامنا وبقينا نحن.

ويحكى أنه كانت له امرأة سيئة الخُلق، فقالت له يوماً: إذا لم يفتح الله عليك بشيء فأجر نفسك، فخرج إلى الجبانة وصلى إلى العشاء، ثم أتى بيته خجلاً من توبيخها مشغول القلب من شرها، فقالت: أين أجرتك؟ فقال: إن الذي استأجرني كريم استحييّت من استعجاله، فمكث كذلك أياماً يصلي في الجبانة إلى الليل وتقول له: أين أجرتك؟ فيقول لها: استأجرني كريم فخفت من استعجاله، فلما طال عليها الحال قالت له: اطلب أجرتك من هذا، أو أجر نفسك من غيره، فوعدها أنه يطلب الأجرة، وخرج على عادته فلما أمسى الليل عاد إلى منزله خائفاً منها، فرأى في منزله دخاناً ومائدة منصوبة وزوجته مستبشرة فرحة، فقالت: له: قد بعث لنا الذي استأجرك لما اتبعت الكرام، وقال رسوله لي: قولي لحبيب يجد في العمل وليعلم إنا لم نؤخر أجرته بخلاً، ولا عدماً، فيقر عيناً ويطيب نفساً، ثم أرته أكياساً مملوءة دنانير، فبكى حبيب، وقال لزوجته: هذه الأجرة من كريم بيده خزائن [ق٦٨/أ] السموات والأرض، فلما سمعت ذلك تابت إلى الله تعالى وأقسمت أنها لا تعود إلى ما تابت منه.

وقال حبيب: إن من سعادة المرء إذا مات ماتت ذنوبه معه.

وكان حبيب رحمه الله يأخذ متاعاً من التجار ويتصدق به فأخذه مرة فلم يجد شيئاً يعطيهم، فقال: يا رب إن الناس يحسبون ظنهم بي وأنت فعلت بي ذلك من سترك على فلا تخيّب ظنهم بي، فينكسر وجهي عندهم، ثم دخل داره فإذا هو بجوالق من شعر كأنها نصبت من الأرض إلى قرب السقف، وقد ملئت دراهم فقال: يا رب ليس أُريد هذا كله، ثم أخذ حاجته وترك الباقي، وكان يقول: سبحانك اللهم وبحمدك خلقت فسويت، وقدّرت فهديت، وأعطيت فأغنيت، وعفوت وعافيت، فلك الحمد على ما أعطيت، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، حمداً لا ينقطع أولاه ولا ينفذ أخراه، حمداً أنتَ منتهاه وتكون الجنة عقباه، وأنت الكريم الأعلى، وأنت جزيل العطاء، وأنت أهل النعماء وولي الحسنات لا يبلغ مدحك قول قائل، سجد وجهى لوجهك الكريم الباقي، ثم يخر ساجداً، ثم يقوم فيفرق الصدقة على المساكين، وكان يُرى بالبصرة يوم التروية وفي عرفات عشية عرفة.

وروى عَبّاد فقال: ذهبت مع سليمان التيمي إلى حبيب الفارسي، فقال له: يا أبا محمد ادع الله تعالى لنا! فقال يا [أبا المعتمر]: البشكار لا يتقدم، البشكار يتأخر.

وقال حبيب: لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك ولا فرح لمن لا يفرح بك، وعزتك وجلالك إنك لتعلم أني أحبك وأنت فعلت ذلك بي.

وكان رقيق القلب أكثر الناس [٦٨/ب] بكاء، فبكى ذات ليلة بكاء كثيراً، فقالت عمرة: بالفارسية لم تبك يا أبا محمد؟ فقال لها: بالفارسية: دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاَ ما سلكته قبل ذلك.

وقال الخطيب عن المعتمر بن سليمان عن أبيه: قال: ما رأيت أحداً قط أعبد من الحسن البصري، وما رأيت أحداً أورع من ابن سيرين، ولا أزهد من مالك بن دينار، ولا أخشع من محمد بن واسع، ولا أصدق يقيناً من حبيب العجمي.

وقال المعلاّ الوراق: كنا إذا دخلنا على حبيب، قال: افتح جونة المسك، وهات الترياق المجرب، «جونة المسك المصحف» و«الترياق المجرب الدعاء».

ولما احتضر رحمه الله تعالى جزع فقيل له: ما هذا؟ فقال: أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قط، وأسلك طريقاً، ما سلكته قط، وأقف بين يدي الله تعالى

فأخاف أن يقول لي: يا حبيب هات تسبيحة واحدة، سبحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء، فماذا أقول وليس لي حيلة! أقول: يارب ها قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي يا أرحم الراحمين.

قال عبد الواحد: توفي أبو محمد حبيب سنة خمس وأربعين ومائة[١].

وقال رجل من أصحاب الحسن البصري: ليت ابن آدم لم يخلق، فقال حبيب الفارسي: قد وقعتم فاحتالوا.

وكتب إلى أخٍ له: يا أخي ما بال الناس يرجون الجنة برحمة الله، ولا يرجون الخير برحمة الله.

ولما تاب في مجلس الحسن، وصار إلى ما صار إليه قيل: صلى الحسن خلفه ليلة، فرأى في قراءته الفاتحة خللاً، فأعاد الصلاة فرأى في المنام تلك الليلة أتعيد صلاتك خلف حبيب، وبحرمة تلك الصلاة قبلت سائر صلواتك، والله اعلم.

* * *

---

(١) قال ابن الجوزي في المنتظم: مات سنة تسعة عشر ومائة، وعنه ابن الملقن في طبقات الأولياء.

الفصل الخامس

في ذكر مناقب الإمام المجمع على جلالته في كل شيء أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار التابعي البصري[1].

[ق٦٩/أ]، بفتح الياء، وكسرها، الأنصاري مولاهم مولى زيد بن ثابت. ويقال: مولى جابر ابن عبد الله، ويقال: مولى أبي اليسر ويقال: مولى جميل بن قُطبة، وأمه اسمها خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وربما غابت أمه في حاجة فتعطيه أم سلمة ﵂ ثديها تعلله به فيدر عليه فيشربه إلى أن تجيء أمه، فيرون أن تلك الحكم، والفصاحة من بركة ذلك.

وقال أبو عمرو بن العلاء:

ما رأيت أفصح من الحسن البصري، والحجاج بن يوسف الثقفي قيل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن.

سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وخلائق من الصحابة، وخلائق من كبار التابعين، وروى عنه خلائق من التابعين وغيرهم.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: سألت هشام بن حسان كم أدرك الحسن من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: مائة وثلاثين، قلت: وابن سيرين؟ قال: ثلاثين.

وعن محمد ابن سعد قال: كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.

---

(١) انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (١٥٦/٧)، وطبقات خليفة (١٧٢٦)، والزهد لأحمد (٢٥٨).والتاريخ الكبير (٢٨٩/٢) والمعارف (٤٤٠)، والمعرفة والتاريخ (٣٢/٢)، (٢٣٨/٣) وأخبار القضاة(٣/٢)، والجرح والتعديل (٤٠/١/١)، والحلية (١٣١/٢)، وذكر أخبار أصفهان (٢٤٥/١)، وفهرست ابن النديم (٢٠٢)، وطبقات الفقهاء للشيرازي (٨٧)، والحسن البصري لابن الجوزي، وتهذيب الأسماء واللغات (١٦١/١/١)، ووفيات الأعيان (٦٩/٢)، وتاريخ الإسلام (٨٩/٤)، وتذكرة الحفاظ (٦٦/١)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٤/٤)، تهذيب التهذيب (١٤٧/١)، والنجوم الزاهرة (٢٦٧/١)،وطبقات المفسرين (١٤٧/١)،وطبقات الشعراني الكبرى (٢٥/١).

وقدم مكة فأجلسوه على سرير واجتمع الناس إليه فيهم طاووس، وعطـاء، ومجاهد، وعمرو بن شعيب فحدثهم، فقالوا أو قال بعضهم: لم نر مثل هذا قط.

وقال أبو بردة: لم أر من لم يصحب النبي ﷺ أشْبه بأصحابه من الحسن.

وعن مطر الوراق قال: كان الحسن كأنما كان في الآخرة فهو يخبر عن مـا رأى وعاين، وكان الحسن من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحـدث بأنفه ما حدث.

قال الأصمعي: ما رأيت أعرض من زند الحسن البصري كان عرضه شبراً، وكان أكثر كلامه حكم وبلاغة، فمنه ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت.

وروي عنه أنه أفتى في مسألة، فقيل له: إن الفقهاء يخالفونك فيها؟ فقـال: ويحك وهل رأيت فقيهاً قط؟ إنما الفقيه من زهد في الدنيا.

وقال ﷺ: الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف: العلماء هم ورثة الأنبياء [ق٦٩/ب] والزهاد وهم الأدلاء، والغزاة هم أسياف الله، والتجار هم أمناء الله، والملوك هم رعاة الخلق، فإذا أصبح العالم طامعاً وللمال جامعاً، فمن يُقتدى، وإذا أصبح الزاهد راغباً، فمن يُستدل ويُهتدى، وإذا أصبح الغازي مرائياً والمرائـي لا عمل له فمن يظفر بالعدا، وإذا أصبح التاجر خائناً فمن يـؤْمَن ويُرتضـى، وإذا أصبح الملك ذئباً فمن يحفظ الغنم ويرعى، والله ما أهلـك النـاس إلا العلمـاء المداهنون، والزهاد الراغبون، والغزاة المراءون والتجار الخائنون، والملوك الظالمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وقيل للحسن: إنك لتكثر البكاء، قال: فبكى، ثم قال: يا بني فمـا يصـنع المؤمن إذا لم يبك؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة، فإن استطعت أن لا يكـون عمرك إلا باكياً فافعل لعله أن يراك على حالة فيرحمك بها.

ولما ولي عمر بن هُبيرة الفزاري وأُضيف إليه خراسان أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والشعبي، وذلك في سـنة ثـلاث ومائة، فقال لهم: إن يزيد خليفة الله على عباده أخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخـذ عهدنا بالسمع والطاعة له، وقد ولاّني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره، أفقلده ما تقلده من ذلك الأمر، فما ترون؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه بقية، فقال

ابن هبيرة: ما تقول يا حسن؟ فقال: يا ابن هبيرة خف الله في يزيد، ولا تخف يزيداً في أن الله يمنعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً يزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة: وإن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده، فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن، فقال الشعبي: سفسفنا، فسفسف لنا [ق٧٠/أ].

ورأى الحسن يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة، فسأل عنه، فقيل له: إنه يسخر للملوك ويحبونه، فقال أبوه: ما رأيت أحداً يطلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا.

ودخل يوماً على أمه وفي يدها كُرّاثة تأكلها، فقال لها: يا أماه الق هذه البقلة الخبيثة من يدك، فقالت: يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت، فقال: يا أماه أينا أكبر؟

ولُد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وقيل: عثمان ﷺ، بالمدينة ونشأ بوادي القرى، فلما قتل عثمان ﷺ نقل إلى البصرة، وتوفي بها في مستهل رجب سنة عشرة ومائة ﷺ وعنّا به، وكانت جنازته مشهودة.

وقال حُميد الطويل: توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففزعنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة، ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقع

صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ قام الإسلام إلا يومئذ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر.

وأغمي على الحسن عند موته، ثم أفاق، فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم.

قال رجل لابن سيرين رحمه الله:

رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة في المسجد، فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن قليلاً حتى مات الحسن رحمه الله تعالى.

ومناقبه كثيرة مشهورة، وتوفي وهو ابن نحو ثمان وثمانين سنة.

قال عبد الله ابنه، وقال أبو نصر الكلاباذي: بلغ تسعاً وثمانين سنة والله أعلم.

تنبيه: اعلم أنه قد قيل: إن الحسن لقي علي بن أبي طالب ﷺ لكنه أخذ عن أصحابه كالأحنف [ق٧٠/ب] ابن قيس وقيس بن عبادة وغيرهما عن علي ﷺ، وأخذ الحسن عن عبد الله بن عمر بالاتفاق رضي الله عنهما، وابن عمر عممه النبي ﷺ بيده المباركة.

لما روى أبو دواد بإسناده إلى عبد الله بن عمر أنه قال:

لقد عمّمني رسول الله ﷺ بعمامة، فسدلها بين يدي ومن خلفي[1] أي أرخى لها طرفاً، فليعلم ذلك.

***

(١) رواه أبو دواد (٤/٥٥).

تنبيه: وقع في الأصلين أنه رواه الترمذي، وهو وهم، فقد بحثت في المطبوع وكذلك في نسختين خطيتين من نفائس النسخ الخاصة بسنن الترمذي، وقد اتضح ذلك عندما ذكره المصنف في أثناء كلامه على سند الخرقة المباركة أنه من رواية أبي داود.

الفصل السادس
في ذكر مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما القرشي العدوي المدني الصحابي الزاهد ابن الصحابي الزاهد[١]

أمه وأمُ أخته حفصة: زينب بنت مظعون بن حبيب الجُمحية، أسلم مع أبيه قبل بلوغه، وهاجَر قبل أبيه. وأجمعوا على أنه لم يشهد بدراً لِصِغَرِه، وقيل: شهد أُحداً، وقيل: لم يشهدها.

وثبت في الصحيحين أنه قال: عرضت على النبي ﷺ عام أُحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني[٢]، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد مؤتة، واليرموك، وفتح مصر، وفتح أفريقية.

وكان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه كان ينزل منازله ويصلي في كل مكان صلى فيه ويترك ناقته في مبرك ناقته، ونقلوا أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس.

روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث، وستمائة حديث، وثلاثون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وسبعين، وانفرد البخاري بأحد وثمانين، ومسلم منها بأحد وثلاثين.

روى عنه أولاده الأربعة سالم، وحمزة، وعبيد الله، وبلال، وخلائق لا يحصون من كبار التابعين وغيرهم.

---

(١) انظر في ترجمته: الرياض المستطابة (١٩٤)، رياض النفوس (٤١)، التاريخ الكبير (٢/٥، ١٤٥) التاريخ الصغير (١٥٤/١)، التاريخ لابن معين (٣٢١/٢)، مسند أحمد (٢/٢)، الزهد لابن المبارك (٥، ٤٧)، طبقات فقهاء اليمن (٥١، ٥٩، ١٤١)، سيرة ابن هشام (٦/٤)، أخبار القضاة لوكيع (٩/٣)، المعجم الكبير للطبراني (٢٥٧/١٢)، وفيات الأعيان (٢٨/٣)، سير أعلام النبلاء (٢٠٣/٣)، العبر (٢٧/١)، مرآة الجنان (١٥٤/١)، فوات الوفيات (١٠٢/١)، حلية الأولياء (٧/٢)، تذكرة الحفاظ (٣٧/١)، الاستيعاب (١٦٣٠)، أسد الغابة (٣٠٨٢).

(٢) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٩٤٨/٢)، ومسلم (١٤٩٠/٣)، وابن حبان (٣٠/١١).

ومناقبه كثيرة مشهورة، بل قل نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ [ق٧١/ ب] في كل شيء من الأقوال، والأفعال، وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلع إلى الرئاسة وغيرها.

وروى البخاري عن جابر ﷺ أنه قال: لم يكن أحد منهم ألزم بطريق النبي ﷺ، ولا أتبع من ابن عمر رضي الله عنهما .

وعن مالك ﷺ، قال: أقام ابن عمر ستين سنة يقدم عليه وفود الناس.

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت في المنام كأن في يدي قطعة استبرق وليس مكان أريد في الجنة إلا طارت إليه فقصصته على حفصة وقصته حفصة على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أرى عبد الله رجلاً صالحاً** [(١)]»، وفي رواية في الصحيح: «**إن أخاك رجل صالح، أو أن عبد الله رجل صالح** [(٢)]».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما كثير الصدقة فربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألف درهم، قال نافع: كان ابن عمر إذا اشتد عُجْبُه بشيء من ماله تقرب به إلى الله تعالى، فكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: إنهم يخدعونك، فيقول: من يخدعنا في الله انخدعنا له.

قال نافع: ولقد زارنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذه بمال، قال: فلما أعجبه سيره أبركه مكانه، ثم نزل عنه فقال: انزعو عنه زمامه ورحله وما وأشعروه وحللوه وأدخلوه في البدن.

وكان كثير الحج. قال نافع: سمعت ابن عمر وهو ساجد في الكعبة يقول:[قد تعلم] يا رب ما يمنعني من مزاحمة قريش إلا خوفك[(٣)].

وقال: وكان إذا قرأ هذه الآية: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الحديد:١٦] بكى حتى يغلبه البكاء.

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (١/٣٨٨)، ومسلم (٤/١٩٢٧).

(٢) **حديث صحيح**: رواه البخاري (٦/٢٥٧٤)، وابن حبان (١٥/٥٤٩).

(٣) **أثر صحيح**: رواه أبو نعيم في الحلية (١/٢٩٢)، والحاكم في المستدرك (٣/٦٤٦).

وقال [ق٧١/ب] ابن عمر: البر شيء هين: وجه طلق، وكلام لين [(١)].

ولم يقاتل في الحروب التي جرت بين المسلمين.

وكان ابن عمر يَسْرِدُ الصوم، وهو أحد الصحابة الساردين للصوم منهم عمر، وابنه، وأبو طلحة، وحمزة بن عمرو، وعائشة رضي الله عنهم.

واعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الناس رواية عن رسول الله ﷺ وهم: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة رضي الله عنهم، وهو أحد العبادلة الأربعة [وهم] عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، هكذا نقل عن الإمام أحمد وسائر المحدثين وغيرهم، وغلط الجوهري في صحاحه في قوله: إن عبد الله بن مسعود أحد العبادلة الأربعة وإخراجه ابن عمرو بن العاص، ذكره النووي رحمه الله.

توفي ابن عمر رضي الله عنهما بمكة المشرفة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقال يحيى بن بكير: توفي ابن عمر بمكة بعد الحج ودفن بالمحصب، وقال بعض الناس: «بفتح الخاء المعجمة» موضع بقرب مكة.

وكان لابن عمر رضي الله عنهما من الأولاد سالم، وعبد الله، وعاصم، وحمزة، وبلال، وواقد وبنات، وكانت واحدة منهن تحت عمرو بن عثمان، وأخرى تحت عروة بن الزبير والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) أورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢٢٥/١)، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢٦٣/١).

خاتمة القسم

وهي مشتملة على فصلين:

الفصل الأول
في ذكر علي الرضا (١)

اعلم أنه قد تقدم أن معروفاً الكرخي كان من موالي علي بن موسى الرضا، وإنه أسلم على يديه وخدمه وهو صبي كما نقله القشيري، ونقله أيضاً أبو الفرج ابن الجوزي فيما [أخرجه] في مناقب معروف عن الشيخ [أبي] عبد الرحمن السلمي رحمه الله [ق٧٢/أ].

فهو علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وكان المأمون قد زوجه ابنه أم حبيب سنة مائتين، وجعله ولي عهده، قيل: إنه كان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك! فقال: أكره أن آخذ برسول الله ﷺ مالا أعطى به.

وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة، وقيل: سابع شوال أو ثامنه سنة إحدى وخمسين.

وتوفي سلخ صفر سنة اثنين ومائتين، وقيل: ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة طوس، وصلى عليه المأمون، ودفنه ملاصقاً قبر أبيه الرشيد.

* * *

---

(١) انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣/٢٠٣)، والكاشف (٢/٤٨)، وتهذيب التهذيب (٢/٣٦٤)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص٨٥)، وخلاصة تهذيب الكمال (ص١٣٥).

الفصل الثاني
في ذكر مناقب أبيه موسى الكاظم[1]

كان يدعى العبد الصالح من [كثرة] عبادته واجتهاده.

دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدةً في أول الليل فسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك.

قال شقيق البلخي رحمه الله: خرجت حاجاً سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم رأيت فتى حسن الوجه شديد السمرة فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلين وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد [أن يكون] كَلاً على الناس في طريقهم والله لأمضين إليه ولا أوبخنه، فدنوت منه، فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن، ثم تركني ومضى فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، ما هذا إلا عبد صالح لألحقنه ولأسألنه يخالجني فأسرعت في أثره فلم ألحقه [ق٧٢/ب] وغاب عني، فلما نزلنا وابصةً رأيته يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله، فقعدت حتى جلس، فأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق اتل قوله تعالى:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طـه:٨٢]، ثم تركني ومضى فقلت: إن هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين، فلما نزلنا زمالاً إذا بالفتى قائم على البئر، وبيده ركوة يريد أن يستقي ماءً، فسقطت الركوة من يده في البئر، وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السماء بطرفه وسمعته يقول: اللهم يا سيدي أنت تعلم أن مالي سواها فلا تُعدمنيها، فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده

---

(١) انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٦/٢٧٠)، وطبقات الحفاظ (١/٧٩)، والكاشف (٢/٣٠٣)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/٣٣).

وأخذ الركوة وملاءها وتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال على كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويجعله في الركوة ويحركه ويشرب فأقبلت إليه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال: يا شقيق: لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة: فشربت منها فإذا سويق وسُكر فوالله ما شربت قط ألذّ منه ولا أطيب ريحاً فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شرباً، ثم لم أره حتى دخلنا مكة، فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله ﷻ ويدعو، ثم قام يصلي الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً، وخرج فتتبعته، وإذا له حاشية وموالي وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه فقلت لبعض من رأيته بقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: [ق٧٣/ أ] هذا موسى بن جعفر، فقلت: قد عجبت أن يكون مثل هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد من هذا البيت العظيم الطاهر.

وكان شيخاً كريماً كثير الافتقاد لمن يبلغه عنه أنه يؤذيه، وكان يصر الصرة أربعمائة دينار وأكثر وأقل ويتصدق بها، وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد وحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب ﷺ وهو يقول: يا محمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟ قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً فروعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ الآية وكان أحسن الناس صوتاً.

وقال: علي بموسى بن جعفر، فجئته به فعانقه وأجلسه على جانبه، وقص عليه الرؤيا، ثم قال له: تؤمنني أن تخرج عليَ أو على أحد من أولادي، فقال: والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني، قال: صدقت أعطيه ثلاثة آلاف دينار ورده على أهله إلى المدينة.

وقال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق، وأقام بالمدينة إلى أيام هارون الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عمرة

شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة، فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في حبسه.

وقيل: إن الرشيد رأى في منامه كأن جيشاً قد أتاه ومعه حربة، فقال: إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة، وإلا نَحرتك بهذه الحربة، فدعى لوقته لعبد الله بن مالك الخزاعي، وكان على داره وشرطته، وقال: اذهب فخل عن موسى بن جعفر قالها ثلاثاً وأعَطه ثلاثين ألف درهم وخيّره بين المقام والانصراف، فمضيت إلى الحبس، فلما رآني موسى وثب إلي ظناً [ق٧٣/ب] أني أُمرت فيه بمكروه، فقلت: لا تخف قد أُمرت بإطلاقك وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم، وخُيرتَ بين المقام والذهاب، وأعطيته المبلغ وخليت سبيله، وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً، قال: فإني أخبرك بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله ﷺ، فقال: يا موسى حُبسْتَ مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ قال قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق كل فوت القوت، ويا كاسي العظام لحماً، وينشزها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحدٌ من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى أحد على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يُحصى له عدداً، فرج عني ما ترى.

وأخباره كثيرة، وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة بالمدينة، وتوفي لخمس يقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقيل: ست وثمانين ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي بالجانب الغربي.

***

القسم الثالث

في ذكر أتباعه في هذه السلسة وهو مشتمل على عشرة فصول وتنبيهات وخاتمة:

الفصل الأول

في ذكر مناقب الشيخ ممشاذ الدينوري قدّس الله روحه[١]

كان من كبار مشايخ الدينور وفتيانهم عظيم المرمى في هذه العلوم كبير الحال ظاهر الفتوة خرج يوماً من باب داره فنبح كلب، فقال ممشاذ: لا إله إلا الله، فمات الكلب مكانه، وقال: ما دخلت على أحد من شيوخي رضي الله عنهم إلا وأنا خالٍ [ق٧٤/أ] من جميع مالي أنتظر بركات ما يرد علي من رؤيته أو كلامه، فإن من دخل على شيخ من الشيوخ لِحَظِّه انقطع بحظه عن بركات رؤيته ومجالسته وأدبه وكلامه[٢].

وقال: رأيت في بعض أسفاري شيخاً توسمت فيه الخير، فقلت له: يا سيدي كلمة تزودني بها، فقال لي: همتك فاحفظها، فإن الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال[٣].

وقال أبو بكر الرازي: كنت عند ممشاذ رحمه الله فجرى ذكر الدَّين، فقال: [كان] عليَ دَين فاشتغل قلبي به، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا بخيل

---

(١) انظر في ترجمة: طبقات الصوفية للسلمي (٣١٦، ٣١٨)، حلية الأولياء (٣٥٣/١٠)، صفة الصفوة (٦٠/٤)، الرسالة القشيرية (٣٣)، اللمع للطوسي (١٩٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٩٣)، طبقات الأولياء (٦٠)، طبقات الشعراني الكبرى (١٢٠/١)، الكواكب الدرية (٢٦٩/١)، جامع كرامات الأولياء (٢٦٨/٢)، النجوم الزاهرة (١٧٩/٣، ٢٠٤)، تذكرة الحفاظ (٦٥٦/٢)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/١٣) (٣٢٨/١٤)، ونزهة الألباب في معرفة الألقاب (١٩٨/٢).

(٢) انظر: طبقات الصوفية (ص٣١٧)، وطبقات الأولياء (ص٢٨٩)، وطبقات الشعراني الكبرى (١٢٠/١)، والرسالة القشيرية (ص ٣٣).

(٣) انظر: الطبقات الصوفية (ص٣١٨).

أخذت علينا هذا المقدار خُذْ، عليك الأخذ وعلينا العطاء، فما حاسبت بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً ولا غريماً.

وقال رحمه الله: منذ علمت أن أحوال الفقراء جد كلها لم أمازح فقيراً، وذلك أن فقيراً جاءني، فقال: أيها الشيخ أريد أن يُتخذ لي عصيدة فجرى على لساني: إرادة وعصيدة؟ فتأخر الفقير ولم أشعر به، ثم أمرت باتخاذ عصيدة، وطلبت الفقير فلم أجده فتعرفت خبره، فقيل لي: إنه انصرف من فوره، وكان يقول في نفسه: إرادة وعصيدة إرادة وعصيدة؟ وهام على وجهه حتى دخل البادية، ولم يزل يقول هذه الكلمة حتى مات[1].

وقال بعضهم: كنت عند ممشاذ الدينوري رحمه الله فقدم عليه فقيراً، فقال: السلام عليكم فردوا عليه السلام، فقال: هل هاهنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه، قال: فأشاروا عليه بمكان فجدد الفقير [ق٧٤/ق] الوضوء، وركع ما شاء الله تعالى: ثم مضى إلى المكان الذي أشاروا وانطرح إلى الأرض ومد رجليه ومات.

وروي أنه دخل عليه جماعة في مرض موته، فقالوا له: ما فعل الله تعالى بك وصنع؟ فقال: منذ ثلاثين سنة تُعرض عليَ الجنة بما فيها فما أعيرها طرفي، فقالوا له: عند النزع كيف تجد قلبك، قال: فقدت قلبي منذ ثلاثين سنة.

وروي أن جماعة من الصوفية اجتمعوا في دار الحسين القزاز، ومعهم قوالون [وهم] يتواجدون فأشرف عليهم ممشاذ فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمع ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي، ولا شفى بعض ما بي.

وقال أبو عمرو الدينوري القطان: صاحب الدراج، كنا عند ممشاذ الدينوري رحمه الله فجاءه إنسان خياط وسأله أن يجيبه ومن عنده من الفقراء إلى دعوته، فقال له ممشاذ: إن الفقراء ليس يرضون بوكالتك، بل لو كنت ممن توكلت لهم بالأسباب رضوا بك فلا تجعل بينك وبينهم سوقاً، فقال إنسان بصري كان حاضراً: يا سيدي هاهنا من قد أشكل عليه كلام الشيخ لهذا الرجل، فقال ممشاذ: نعم، هذا رجل كان معنا يصاحب هذه الطائفة فدخلت عليه الدنيا

---

(١) انظر: نتائج الأفكار القدسية (١٨٣/١)، وطبقات الأولياء (ص٢٨٩).

ففسخ ففسخت عليه عقده، فرجع يستدعي تلك الأحوال بأسباب يريد إدخال الرفق عليهم، وعامتها موقوفة على إرادته، لا والله أو يخرج الرغبة فيها عن قلبه إخراج يده عن ملكه.

قال رحمه الله: فقدت قلبي منذ عشرين سنة مع الله ﷻ، وتركت قولي للشيء كن فيكون منذ عشرين سنة مع الله تعالى، فسئل بعض المشايخ رحمه الله عن معنى هذا الكلام؟ فقال: كان ممشاذ يرجع إلى قلبه له[ق٧٥/أ] ثم يرجع إلى الله تعالى فصار يرجع إلى الله تعالى، ففقد قلبه مع الله تعالى، ومعنى قوله للشيء كن فيكون أنه كان مجاب الدعوة، فكلما دعا أجيب، ثم ارتفع عن ذلك إلى الله تعالى فصار بمراد الله لا بمراده، فترك الدعاء، والله أعلم.

ومن كلامه ﷺ:

قيل له: إذا جاع الفقير [إيش] يعمل؟ فقال: يصلي، قال: فإن لم يقدر؟ قال: ينام، قال: فإن الله تعالى لا يُخلي الفقير من إحدى ثلاث: إما قوى، أو غذاء، أو أخذ.

وقال: الحال الداخل على المريدين القاطع لهم عن سبيل المحققين من تخطيهم الأحوال لأنها ثقلت عليهم، فطلبت النفوس العلوم لها، فظنت أن ذلك طريق لها إلى علمها وحقائق موجباتها، فلما عدمت ذلك، عادت بالإنكار على أبناء الصدق، وتظاهرت عليهم بالشبه، فلم يعرف للمحق حقاً، ولا للصادق صدقاً، فذهبت بهجة الإيمان من قلوبهم، فرفع الله تعالى عنهم القبول، فهي على ما ترى وتشاهد والله المستعان.

وسُئل عن التصوف؟ فقال: صفاء الأسرار، والعمل بما يرضى الجبار، وصحبة الناس بلا اختيار.

وقال أيضاً: هو إظهار الغنى وقلة معرفة الناس، وترك مالا يعني.

وقال: طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد.

وقال: جماع المعرفة صدق الافتقار إلى الله تعالى.

وقال: لو جمعتَ حكمة الأولين والآخرين، وادعيتَ أحوال السادة من الأولياء، فلن تصل إلى درجات العارفين حتى يسكن سرك إلى الله تعالى، وتثق به في ما ضمن لك.

وقال: ما أقبح الغفلة عن طاعة من لم يغفل عن برك، وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

وقال: أدب المريد [ق٧٥/ب] في أشياء أربعة: التزام حرمات المشايخ، وخدمة الإخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ أدب الشرع على نفسه[١].

وقال: أحسن الناس حالاً من أسقط رؤية الخلق، ورعى نفسه في الخلوات، واعتمد على الله تعالى في جميع أموره.

وقال: صحبة أهل الصلاح تُورث في القلب الصلاح، وصحبة أهل الفساد تُورث في القلب الفساد[٢].

وسُئل عن التوكل؟ فقال: التوكل حسم الطمع عن كل ما يميل إليه قلبك ونفسك[٣].

مات سنة تسع وتسعين ومائتين. والله أعلم.

***

(١) انظر: الرسالة القشيرية (ص٣٣)، وطبقات الصوفية للسلمي (ص٣١٨).

(٢) انظر: طبقات الصوفية (ص٣١٨)، أحكام الدلالة (١/١٨٤)، طبقات الأولياء (ص٢٨٨).

(١) انظر: طبقات الصوفية (ص٣١٨).

الفصل الثاني

في ذكر الشيخ أحمد الأسود الدينوري رحمه الله[١]

ويعرف أيضاً بأحمد سِيّا، وهي لغة عجمية معناها بالعربية الأسود.

صحب ممشاذ الدينوري.

وكان من المشايخ المعتبرين، ذكره الشيخ أبو القاسم القشيري رحمه الله في رسالته في آخر باب مشايخ الطريقة، في ذكر المشايخ الذين أدركهم وعاصرهم، فقال في آخر ذلك: ولو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل أحوالهم لخرجنا عن المقصود في الإيجاز وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرهم في معاملاتهم، والله اعلم.

***

(١) انظر: الرسالة القشيرية (ص٨٣)، طبقات الأولياء (ص٤٩٣).

الفصل الثالث
في ذكر الشيخ فرج الزنجاني رحمه الله[1]

صحب الشيخ أحمد الأسود، وكان كبير الشأن له كرامات نفيسة.

ومن مشهور ما يحكي عنه:

أنه كان له هر، وكان من عادته أنه إذا أراد أن يقدم عليه الزوار يصيح بعددهم قبل قدومهم، فيعلم الشيخ بذلك عدد الزائرين، فصاح يوماً من الأيام عشر مرات، فقدم عليه أحد عشر نفساً فانتهر الهر لكونه أخل عن عادته المعروفة، فجعل الهر يدور عليهم ويشتمهم واحداً واحداً، حتى صار عند واحدٍ منهم فشتمه وبال عليه، فكشفوا [ق٧٦/أ] عن حاله، فوجدوه نصرانياً.

وكان من شيوخ الشيخ أحمد الغزالي.

***

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (١١٣٤/٣).

الفصل الرابع
في ذكر مناقب الشيخ الإمام الرباني المربي
ذي الأسرار والمعارف والمواهب واللطائف أبي الفتوح أحمد الغزالي(١)

أخو الإمام حجة الإسلام أبو حامد قدس الله روحهما، وكان شيخاً مشهوراً فصيحاً صاحب قبول تام لبلاغته، وحسن إيراده وعذوبة لسانه، وكان مليح الوعظ [حسن المنظر، صاحب كرامات وإشارات، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ والتصوف فغلبت عليه، ودرّس في النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهادة فيه، اختصر كتاب أخيه المسمى بإحياء علوم الدين في مجلد واحد سماه لباب الإحياء، وكتاب آخر سماه الذخيرة في علم البصيرة، وكتاب منهج الألباب].

وطاف البلاد، وخدم الصوفية بنفسه وخدموه، وصحبهم وصحبوه، وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة، وذكره ابن النجار في تاريخ بغداد، فقال: كان قد قرأ القارئ بحضرته: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر:٥٣]، فقال: شرفهم بياء الإضافة إلى نفسه في قوله ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ [الزمر:٥٣]، ثم أنشد:

وهان عليَّ اللومُ في جنب حُبِّهَا ... وقولُ الأعادي إنني لخليعُ
أصَمَّ إذا نوديت باسمي وإنني ... إذا قيل لي يا عبدهَا لسميع

وسئل عن قول علي ﷺ: لو كشف الغطاء ما ازدت يقيناً، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]، فقال: الفقير يتصور عليه

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (٣٤/١، ٣٥)، المنتظم (٢٦٠/٩، ٢٦٢)، الكامل في التاريخ (٢٢٨/١٠)، طبقات الشافعية الكبرى (٥٤/٤، ٥٥)، لسان الميزان (٢٩٣/١، ٢٩٤)، مرآة الجنان (٢٢٤/٣، ٢٢٥)، البداية والنهاية (١٩٦/١٢)، شذرات الذهب (٦٠/٤، ٦١)، ميزان الاعتدال (٧١/١)، الكواكب الدرية (٧٤/٢)، روضات الجنات (٧٥، ٧٦)، طبقات الأولياء (٣:).

الجحود نحو:﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤] بخلاف الطمأنينة.

وقال: من كان في الله تلفه كان على الله خَلَفُه، وأنشد يقول:

سكوتي كلامٌ والكلامُ سكوت   وأطمعَ أن أحيا به وأموتُ
وصبري قليلٌ والهمومُ كثيرةٌ   وأنتَ نَحِيلٌ والزمانُ يفوتُ
فمن لي بحس الصبر عنك   وصالك لي ماء وقلبَي حوت(١)]

ومما يحكى من مكاشفاته إنه سأله إنسان عن أخيه أبي حامد محمد أين هو؟ فقال: في الدم، فطلبه السائل فوجده في المسجد فعجب من قول أخيه في الدم، وذكر له ذلك، فقال:

صدق كنت أفكر في مسألة [ق٧٦/ب] من مسائل المستحاضة، رحمة الله عليهما.

توفي بقزوين سنة عشرين وخمسمائة، وكان شيخَ الشيخِ أبي النجيب السهروردي.

* * *

(١) ما بين [ ] قطع في الأصل واستدرك بعضه في الهامش.

الفصل الخامس
في ذكر مناقب الشيخ أبي النجيب السهروردي قدس الله روحه[١]

هو الشيخ الكبير، الولي الشهير، العارف الخبير، ذو المقامات العالية، والأحوال السنية، والأنفاس الصادقة، والكرامات الخارقة، والتصانيف المفيدة الوثيقة في الشريعة والحقيقة، ضياء الدين، ويلقب أيضاً بنجيب الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبي جعفر المعروف بعَمويه بفتح العين وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وفتح الياء: ابن سعد بن الحسين بن القاسم ابن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ القرشي التيمي البكري السهروردي بضم السين [وفتح] الرآء، بُليدة عند زِنجان من عراق العجم[٢].

[فهو] الفقيه الصوفي الواعظ كان من أعيان المحققين، وأعلام العلماء العاملين، والصفوة العارفين.

وهو أحد من درّس بالنظامية على مذهب الشافعي وتصدّر للفتاوى، ووضع التصانيف منها في أداب التصوف: كتاب «البيان» وكتاب «آداب المريدين».

وكان يلقب مفتي العراقين وقدوة الفريقين، انعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام، وأوقع الله له في الصدور القبول التام، وكان يشرح أحوال القوم، ويتطيلس ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية على ما نقله بعض العلماء في تصنيفه.

---

(١) انظر في ترجمة: البداية والنهاية (١٢/٢٥٤)، مرآة الجنان (٣/٣٧٢)، شذرات الذهب (٣/٢٠٨)، الروضتين لأبي شامة (١/١٩١)، المختصر في أخبار البشر (٣/٣٢)، وفيات الأعيان (١/٤٨٠)، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي (ص ٤٣٥)، بتحقيقنا.

(٢) وقع في حاشية الأصل ما نصه: فنقل ابن خلكان رحمه الله في تاريخه عن محب الدين بن النجار رحمه الله في تاريخ بغداد أنه نقل نسب الشيخ أبا النجيب من خطه وهو: عبد القاهر بن عبد الله بن محمد ابن عمويه وهو: عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن سعد بن النضير بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وإذا كان بخطه هكذا فهو أصح مما ذكرته، فليعتمد عليه.

تفقه على أسعد الميهني بالنظامية، وقرأ [ق٧٧/أ] الأدب على أبي الحسن بن أبي زيد الفصيحي النحوي، وسمع بأصبهان أبا علي الحسن بن أحمد الحداد المقري، وببغداد أبا علي محمد بن سعد الكاتب وغيرهم، ثم سلك طريق الصوفية، وصحب الشيخ حماداً الدباس، ثم من بعده صحب الشيخ أحمد الغزالي بإشارة الشيخ حماد، وأقام عنده، وفتح باب الخير، وعلت حالته، وعاد إلى بغداد وتكلم في الوعظ وطريق التصوف، وظهر له القبول الكثير من أهل زمانه، وانتفع به خلق كثيرون، ولزم طريق التصوف، وأملى الحديث حتى صار المشار إليه في علم الطريق المتوحد في سلوكها على الحقيقة.

قال الوزير أبو غالب عبد الواحد بن الحصين: كان الشيخ أبو النجيب السهروردي من محاسن مشايخ الإسلام، صاحب الأخلاق الكريمة والنفس الزاكية الطاهرة، والمواساة التي لا تقتصر على المعارف حتى تجاوز الأجانب إلى الأعداد والإيثار على نفسه مع الخصاصة والنصح لكل مخالف مؤالف ومواد ومعاد، والغيب الحافظ لكل أحد من خلق الله تعالى، فما ذكر أحداً من الناس بما يكرهه لو بلغه من مسلم ولا ذمي ولا سُني ولا بِدعي، ولا تجاوز قط في دروسه ومذاكرته الكتاب والسنة، ولا نصر قط مقالة أصولية ولا خاض في عقيدة، ولا غضب ولا عتب، ولا دعى على أحد، ولا رأيت قط منه مع طول صحبته حالة لم ترو عن السلف.

وقال أبو سعد السمعاني: تفقه في المدرسة النظامية زماناً، ثم هبّ عليه نسيم الإقبال والتوفيق، فدله على الطريق وانقطع عن الناس مدة مديدة، ثم رجع ودعا الخلق إلى الله تعالى، ورجع جماعة كثيرة بسببه وتركوا ما [ق٧٧/ب] هم فيه من أشغال الدنيا والانغماس فيها، وبنى رباطاً لأصحابه على الشط من الجانب الشرقي، سكنه جماعة من الصالحين من أصحابه ومن ينتمي إليه.

وقال السمعاني: حضرت عنده يوماً، فسمعت من كلامه ما انتفعت به.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي قدس الله روحه:

ما لاحظ عمي شيخنا ضياء الدين مريداً بعين الرعاية إلا نتج وبرع، وكان إذا أجلس رجلاً في خلوة يدخل عليه كل يوم ويتفقد حاله، ويقول له: يرد عليك الليلة كذا وكذا ويكشف لك عن كذا وتنال حال كذا ومقام كذا

وسيأتيك شخص في وقت كذا في صورة كذا ويقول لك كذا، فاحذر. فإنما هو شيطان فيجد ذلك الرجل جميع ما أخبره الشيخ في الوقت الذي ذكره على النعت الذي وصفه وقد تخرج بصحبته غير واحد من الأعيان المشهورين مثل الشيخ شهاب الدين السهروردي المذكور، وأبو محمد عبد الله بن مسعود ابن مطر الرومي وغيرهما، وانتمى إليه من مشايخ الصوفية جم غفير وكلامه في الحقائق وتسليك المريدين، وآداب الصادقين كثير مشهور سيأتي منه طرفاً إن شاء الله تعالى.

وحُكي عنه أنه أمر بعض أصحابه أن يوقد في الآتون الذي للرباط فولى ليوقد، فقال له الشيخ: عد إلى زاويتك ففعل، ثم خرج من وسط الليل فرأى الشيخ خارجاً من الآتون وعليه أثر الوقيد؛ فقال له: يا سيدي أنا كنت أحق بهذا، فقال الشيخ: يا ولدي ما أمرتك لعدم من يوقد، ولكن أردت نفعك بذلك وتهذيب نفسك، ثم ذكرت أنني لم أوقد قبل ذلك فعلمت أنك لا تنتفع حيث أمرتك [ق٧٨/أ] بما لم أسلكه، وبعد اليوم إذا قلت لك أوقد فافعل فأنك تنتفع إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ أبو النجيب قدس الله روحه:

أتيت في بدايتي إلى الشيخ حماد الدباسﷺ وشكوت إليه كثرة مجاهدتي وبطؤ الفتح علي، فقال آتيني غداً بسدٍ من لبن بعد قيامك من الدرس ولا تغير زيك فلما كان الغد خرجت من المدرسة وما غيرت شيئاً من لباسي وذهبت إلى السوق واشتريت سد لبن وحملته على رأسي ومشيت في وسط بغداد، واتفق إن لقيني كل من يعرفني وصار الناس ينظرون إلي وكلما خطوت خطوةً تذوب نفسي كما يذوب الدهن على النار فلما قاربت دباسته، رأيت الشيخ واقفاً على الباب كالمنتظر لي، فنظر إلى نظرة ملأني بها وغاب عقلي وسقطت على وجهي، وتبدد اللبن على الأرض، وأنا إلى الآن في بركات تلك النظرة.

وحكى أبو القاسم علي بن الحسن أن الشيخ أبا النجيب لما اشتغل بالزهد والمجاهدة مدة كان يسقي الماء ببغداد ويأكل من كسبه، ثم اشتغل بالتذكير وحصل له قبول.

قال قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم:

كان الشيخ أبو النجيب يذكر الدرس بالنظامية ويقوم ويأخذ القربة على كتفه وينقل الماء للصوفية إلى الرباط وكان شيخ الرباط شيخ الشيوخ أظنه أبا البركات إسماعيل بن أحمد فجاء يوماً وصب الماء للصوفية، فقال: شيخ الشيوخ: ادفعوا رغيفاً إلى السقا: فجآؤه به فتناوله بيده وقبله وأخذه ومضى.

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي:

رأيت شيخنا [ق٧٨/ب] ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاماً على رؤوس الأسارى من الإفرنج وهم في قيودهم، فلما مدت السفرة والأسارى ينتظرون الأواني حتى تفرغ، قال للخادم: أحضر الأسارى على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفاً واحداً وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم، فأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله.

قال الصاحب كمال الدين بن العديم رحمه الله:

سمعت والدي رحمه الله: يقول قدم الشيخ أبو النجيب السهروردي علينا إلى حلب وجلس مجلساً، وعظ الناس فيه وأبكاهم وتاب على يده خلق عظيم، وكان يوماً عظيماً، ثم قال لهم في آخر المجلس: اليوم وعظنا وعظ القائل، وغداً يعظ وعظ الحال، فلما جاء الغد اجتمع الناس واحتفل المجلس وغصَّ بأهله، فجاء وصعد المنبر وجلس وجعل رأسه بين ركبتيه، وقرأ المقرئون بين يديه، وفرغوا وهو على تلك الحال، فلما شاهد الناس ذلك ضجوا بالبكاء، وانقلب المجلس كاليوم الذي كان قبله ثم نزل.

وكان قد قدم حلب مجتازاً إلى زيارة البيت المقدس سنة ثمان وخمسين وخمس مائة، ووعظ بها كما تقدم.

وحَدَّث بها وبدمشق، وأكرمه العادل نور الدين الشهيد، وأقام بدمشق مدة ولم يتفق له الزيارة لفسخ الهدنة بين المسلمين والفرنج، وكان بيت المقدس إذ ذاك بأيدي الفرنج.

وقال أبو البركات محمد بن علي بن محمد الأنصاري: حكى لي الشيخ أبو النجيب عبدالقاهر بن عبد الله [ق٧٩/أ] السهروردي ببغداد، قال: حججت في بعض السنين ونويت المشي على قدمي طول الطريق والزاد والماء والجمال مع الرفيق رياضة لنفسي وانفراداً عن أبناء جنسي فمكثت على ذلك أياماً، ولقيت وصباً ونصباً وأهوالاً عظاماً وأوجالاً جساماً، حتى كادت روحي تزهق من الجوع والعناء، ويصدني عن الإلمام بأصحابي الخوف والحياء، فقطعت أكثر الطريق وأعوزني المظاهر والشقيق إلى أن وصل الحجيج إلى منهل ليس فيه سوى بئر قد نشف ماؤها وهلك الناس بالعطش ومات منهم جماعة فبقيت متحيراً في أمر أصحابي وليس معنا من الماء إلا شيء يسير لا يكفينا وإلى جانب رجل من أهل خراسان ومعه زوامل وحوامل وأصحاب وأتراب ونعمة ظاهرة وصفته فاخرة فأشار بيده وقال لي: كأني بك أيها الشيخ وقد زلت بين يديه قدمك واشتد لهول المنظر ألمك، ثم أجلسني إلى جانبه وسرد كلاماً فائقاً، ومعنى رائقاً صغرت والله نفسي عند سماعه فمن جملته أن قال: يا شيخ ليس الاعتبار بالحمال والجمّال، والحوامل، والأزمال بل صحح بيتك وحسن في معاملته سريرتك ولازم طاعة مولاك فيما أمرك به واسترعاك وعَدِّ عنك هذا المحال يا مرائي يا بطّال، ثم أخذ بيدي بعد أن ذهب من الليل أكثره، فأوقفني على شُفْرُ[1] البئر، فرأيت ماؤها قد طفح فشربت من الماء بيدي ثم ملأت القرب وعدت إلى أصحابي متحيراً بما شاهدته، مفكراً فيما عاينته ثم إني ركبت من ذلك اليوم وتركت المشي لأربابه والجوع لأصحابه، وفقدت الرجل، فلم [أره] إلا بعرفات وقد نصب سريراً [ق٧٩/ب] وجلس عليه وضرب خياماً وأوقف بين يديه غلماناً واعواناً فلما نظر إلي تبسم ثم قال: يا شيخ لا تغتر بالخيم والجمال والزوامل والأحمال، بل إذا أردت القرب منه بالقلب قربك وأدناك، وبالقلب أبعدك وأقصاك.

ومن كراماته ما حكاه ابن أخيه الشيخ شهاب الدين السهروردي قال: كنت عنده مرة فأتاه سوادي بعجل وقال له: يا سيدي هذا نذرناه لك، وانصرف الرجل فجاء العجل حتى وقف على الشيخ، فقال الشيخ لنا:

---

(١) الشفر: بالضم الحرف أو الطرف أو الحافة، انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٤٨٤).

إن العجل يقول لي لست العجل الذي نُذر لك بل نذرت للشيخ علي ابن الهيتي وإنما نُذر لك أخي، فلم نلبث أن جاء السوادي وبيده عجل يشبه الأول، فقال للشيخ: يا سيدي إني نذرت لك هذا العجل، ونذرت للشيخ علي بن الهيتي العجل الذي أتيتك به أولاً وكانا اشتبها علي وأخذ الأول وانصرف[1].

وحكى الشيخ أبو محمد عبد الله بن مسعود الرومي قال: مررت مـرة مـع شيخنا أبي النجيب بسوق السلطان ببغداد، فنظر إلى شاة مسلوخة معلقة عنـد جزار، فوقف عنده، وقال له: إن هذه الشاة تقول لي إنها ميتة، فغشى على الجزار وتاب على يد الشيخ، وأقر بصحة قوله[2].

وحضر عنده مرة ثلاثة من اليهود، وثلاثة من النصارى، فعـرض علـيهم الإسلام فأبوا إباءً عظيماً، فوضع في فم كل واحد منهم لقمة من لبن، فلم يـتمم أكلها كل منهم حتى أسلموا ستتهم، وقالوا: لما خالط اللبن بواطننا نسخ منا كل دين غير الإسلام، فقال: وعزة المعبود ما أسلمتم حتى أسلمت شياطينكم علـى يدي، وإني استوهبتكم من الله تعالى فوهبكم لي ثم مسح بيـده علـى عيـونهم فكشف لهم عن حالهم [ق٨٠/أ] وخاطبوهم بالإسلام[3].

ومرة رأى رجلاً يحمل فاكهة كثيرة، فقال له: بعني هذه الفاكهة فقال: و لم، فقال: إنها تقول: أنقذني من يد هذا فإنه اشتراني ليشرب علي الخمر فأغمي على الرجل وسقط على وجهه، ثم أتى إلى الشيخ وتاب على يده، وقال والله ما علم بهذه الحالة التي أخبر بها الشيخ سوى الله تعالى، وأنا[4].

قال: واجتزت معه يوماً بالكوخ، فسمعنا اختلاط أصوات سكارى في دار، وشممنا رائحة منكرة، فدخل الشيخ دهليز الدار، وصلى ركعتين، فخرج من كان

---

(١) والمقصود: أن يطعم الشيخ الفقراء من الثور فيعود الثواب عليه ، فليس النذر للشيخ على سبيل التملك ، بل على سبيل حصول الثواب ، وإنما قدمه الرجل له كي يوزعه بمعرفته، ولمن يتوسم فيه الشيخ ببصيرته وكشفه الاحتياج للطعام.

(٢) انظر: بهجة الأسرار (ص ٤٣٨) بتحقيقنا.

(٣) انظر: بهجة الأسرار (ص ٤٣٧)، بتحقيقنا.

(٤) انظر: بهجة الأسرار (ص ٤٣٨)، بتحقيقنا.

فيها صالحين، فدخلنا، فإذا الخمر الذي كان في الأواني عندهم قد صـــار مـــاءً، وتابوا كلهم على يد الشيخ(١).

ومن كلامه: الأحوال معاملات القلوب، وهي تحل بها من صفاء الأذكار، وفوائد الحضور ومعاني المشاهدات، فمن ذلك المراقبة، وهو النظر بصفاء الـــيقين إلى المغيبات، ثم القرب: وهو جمع الهم بين يدي الله تعالى بالغيبة عما ســـواه، ثم المحبة: وهي موافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، ثم الرجاء: وهو تصديق الحـــق ﷻ فيما وعد به، ثم الخوف: وهو مطالعة القلب لسطوات الله تعالى ونعماته، ثم الحياء: وهو حصر القلب عن الانبساط، ثم الشوق: وهو هيمان القلب عند ذكر المحبوب، ثم الأنس: وهو السكون إلى الله تعالى تحت مجاري الأقدار، ثم الـــيقين: وهو التصديق مع ارتفاع الشك، ثم المشاهدة: وهي فصل بين رؤية اليقين ورؤية العيان، ثم يكون فواتح ولوائح وموانح تجفو العبارة عنها والقرب يقتضي هـــذه الأحوال كلها، فمنهم من ينظر في حال قربه إلى عظمة الله وهيبته فيغلب عليـــه الخوف والحياء، ومنهم من ينظر إلى لطف الله ﷻ وقديم إحسانه، فتغلب عليـــه المحبة والرجاء.

ومنه: أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وأخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل، وأهله علـــى ثـــلاث طبقات: مريد طالب، ومتوسط سائر، ومنتـــهي [ق٨٠/ب] واصـــل، فالمريـــد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهي صاحب يقين، وأفضل الأشياء عندهم عد الأنفاس، فمقام المريد المجاهدات، والمكابدات وتجـــرع المـــرارات في طلب المراد [ومحاسبة الحظوظ وما للنفس فيه متعة، ومقـــام التوســـط ركـــوب الأحوال(٢)]، ومراعاة الصدق في الأحوال، واستعمال الأدب في المقامات، وهـــو مطالب بآداب المنازل، وهو صاحب تكوين لأنه مرتقى من حال إلى حال، وهو في الزيادة، ومقام المنتهي: الصحو، والثبات، وإجابة الحق من حيث دعاة، قـــد جاوز المقامات، وهو في محل التمكين لا تغيره الأوقات ولا تؤثر فيه الأحوال قد استوى في حالتي الشدة، والرخاء، والمنع، والعطاء، والجفـــاء، والوفـــاء، أكلـــه

---

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص ٤٣٨)، بتحقيقنا.

(٢) الزيادة [ ] من (ح).

كجوعه، ونومه كسهره، قد فُنيت حظوظه، وبقيت حقوقه، ظاهرة مع الخلق وباطنه مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وكان يتمثل بهذه الأبيات:

فتفنى الحقيقة عن ذاتها ... ويخفى الفناء عن عيان الحقيقة
وتبقى بلا أنت فرداً به ... أنيساً تعوم بحاراً عميقة
وتقدم من غيبها ظاهراً ... بكل إشارة ذوق دقيقة
تميت الحجاب وتحيي اللباب ... وهذا نهاية علم الطريقة

ومن شعره:

أحبكم ما دمت حيا وميتاً ... وإن كنتم قد ملتم في بعادياً
وعذبتم قلبي بشوقي إليكم ... فحبي لقياكم وحبي باديا
وقل خروجي عن كنايتي لأنني ... فقدت بقاعاً كنت فيهن باديا
وإخوان صدق كنت آلف قولهم ... وكانوا ينادوني بكل مراديا

[ق٨١/أ] وقال أبو النجيب السهروردي:

لقد طفئت ناري وقل مساعدي ... وزال أنيس كان يوري زناديَ
فيا ليت إن لم يجمع الله بيننا سمعت ... بشيراً لي بموتي يناديا

قال الحافظ أبو المواهب الحسن بن منصور:

توفي أبو النجيب رحمه الله في جُمادى الآخرة، من سنة ثلاث وستين وخمسمائة، بعد عوده من الشام إلى العراق، وخروجه إلى الحج وعوده منه إلى بغداد، ولم يتفق له الحج لما تقدم، وقد قارب السبعين، لأنه أخبر أن مولده في سنة تسعين وأربعمائة بسهرود.

وقال ابن عساكر: ليلة السبت ثامن عشر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

وقال عماد الدين بن باطيش:

قرأت بخط الحافظ أبي الفرج بن الجوزي: توفي أبو النجيب يوم الجمعة وقت العصر، سابع عشر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وستين وخمسمائة، ودفن بكرة

الغد برباطه على شاطئ دجلة. وذكر صدقة بن الحسين في تاريخه: أنه توفي عشية يوم الجمعة، ثامن عشر الشهر المذكور، وصُلي عليه يوم السبت، ودفن برباطه.

* * *

الفصل السادس

في ذكر مناقب الشيخ شهابِ الدين السهروردي قدس الله روحه(١)

هو الشيخ الجليل السيد الحفيل أستاذ زمانه وفريد أوانه، مطلع الأنوار ومنبع الأسرار، دليل الطريقة، وترجمان الحقيقة، أستاذ الشيوخ الأكابر، الجامع بين علمي الباطن والظاهر، قدوة العارفين، وعمدة السالكين، العالم الرباني، المربي أبو حفص عمر بن محمد البكري الصوفي السهروردي، مصنف كتاب: عوارف المعارف [ق٨١/ب].

المشتمل على مكنونات المعارف، ومصونات المحاسن، واللطائف، وغير ذلك من التصانيف الحسنة الجامعة بين بداعة الملاحة، وبراعة الفصاحة، وحلاوة العبارة المشتملة على درر المعارف ومواقيت الحكم، وطلاوة الإشارة المحتوية على حياة القلوب، وشفائها من السقم، و[عقيدته] معروفة مشهورة موصوفة مشكورة، وكان إذا أشكل عليه شيء من أمرها منها، يرجع فيه إلى الله تعالى ويستخيره حول بيته ويتضرع إليه في التوفيق لإصابة الحق والتحقيق، وكان فقيهاً شافعي المذهب، كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة.

تخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، ولم يكن في آخر عمره مثله.

صحب عمه الشيخ الإمام أبا النجيب، وعنه أخذ التصوف والوعظ.

وذكر بعضهم أنه صحب أيضاً قطب الأولياء وقدوة الأصفياء الشيخ عبد القادر الجيلي، ثم انحدر إلى البصرة إلى الشيخ أبي محمد بن عبد، ورأى غيره من

---

(١) انظر في ترجمته: المنتظم (١٠/٧٥)، طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٤٣)، طبقات المفسرين للداودي (٨٩)، وفيات الأعيان (١/٤٨٠)، اللباب (١/٥٨٠)، البداية والنهاية (١٣/١٣٨)، طبقات الأولياء (٥٣)، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/١٢٢)، مرآة الجنان (٤/٧٩ ، ٨٢)، النجوم الزاهرة (٦/٢٨٣، ٢٨٥)، شذرات الذهب (٥/١٥٣)، معجم المؤلفين (٢/٥٧٥).

المشهورين، وكان شيخ الشيوخ ببغداد، وكان له مجلس وعظ عليه قبول وله نفس مبارك.

أنشد يوماً على الكرسي:

لا تسقني وحدي فما عودتني أني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرماً أن يعترالندماء دور الكاس

فتواجد الناس لذلك، وتاب [جمع] كثير.

قال ابن خلكان رحمه الله: ورأيت جماعة ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها من الأحوال الخارقة.

وكان كثير [ق٨٢/أ] الحج، وكان أرباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صور فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم، وسيأتي آخر الفصل إن شاء الله تعالى.

قال ابن نقطة: كان شيخ العراق في وقته صاحب مجاهدة وإيثار وطريقة حميدة ومروءة تامة، وأوراد على كبر سنه.

وقال ابن النجار:

كان شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الله تعالى، قرأ الفقه والخلاف والعربية، وسمع الحديث، ثم انقطع، ولازم بيته، وداوم الصوم والذكر والعبادة إلى أن ظهر له قبول من الخاص والعام، وعلا شأنه، وتكلم على الناس، وعقد مجلس الوعظ في مدرسة عمه على دجلة، فحضر عنده خلق عظيم وظهر، واشتهر اسمه وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه في توبة العصاة، ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد.

أخبرنا الشيخ الإمام العلامة السيد الشريف عبد الرحمن بن السيد الشريف الشيخ الإمام العلامة أبي الخير محمد بن السيد الشريف العارف بالله تعالى أبي عبد الله محمد الحسني الفاسي المكي المالكي أعاد الله من بركاتهم تجاه الكعبة المشرفة بالمسجد الحرام في ثامن عشرين ذي القعدة الحرام من شهور سنة ست وتسعين وسبعمائة قراءة عليه وأنا أسمع فقال: ومما أرويه بالإجازة من والدي ما سمعه من والده الشريف أبي عبد الله.

قال الشريف أبو عبد الله: سمعت الشيخ ضياء الدين أبا الهدى عيسى بن يحيى السبتي الصوفي المحدث يقول: دخل الشيخ شهاب الدين السهروردي [ق٨٢/ب] إلى دمشق رسولاً من العراق، واتفق أن السلطان منع الحاج من السفر تلك السنة من الشام، فصعد الشيخ شهاب الدين رحمه الله، المنبر.

وأنشد:

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار

لا يحجبنك شيء من زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

قال: و لم يتكلم الشيخ قبل هذين البيتين ولا بعدهما، ثم إن الناس تجهزوا للحج وسافروا بغير إذن السلطان، ولما دخل الشام عزت النصافي لكثرة ما طلبها الناس ليفصلوها طواقي ويلبسوها من يد الشيخ، ولما جاء إلى الشام في رسالة الخليفة للملك العادل بالخلعة والطوق وغيره، قال لأصحابه: أريد أزور علياً الكردي، فقال له الناس: يا مولانا لا تفعل أنت إمام الوجود، وهذا رجل لا يصلي ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته، قال: لا بد لي منه، وكان الشيخ علي الكردي مقيما بدمشق أكثر أوقاته في الجامع حتى دخل عليه موله آخر يقال له: يا قوت، فساعة دخول يا قوت من الباب خرج علي من دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير، فما دخلها إلى أن مات وياقوت فيها يتحكم بعد خروج علي من البلد، فقالوا للشيخ شهاب الدين: هو في الجبانة فركب بغلته ومشى في خدمته من يُعَرِّفُه موضعهَ، فلما وصل إلى مكانه ترجل وأخذ يمشي إليه، فلما رآه علياً الكردي قد قرب منه كشف عن عورته، فقال الشيخ شهاب الدين: ما هذا شيء تصدنا به عنك، لابد لنا منك، أنا ضيفك، فأقبل إليه وجلس معه، وإذا بجمالين جاؤا وعليهم مأكول معتبر، فقيل لهم: من تريدون؟ فقالوا الشيخ علياً [ق٨٣/أ] الكردي.

فقال: ضعوه قدام ضيفي، وقال للشيخ شهاب الدين: أنت قلت: إنك ضيفي بسم الله كل هذه ضيافتك، فأكل الشيخ.

أخبرنا الشيخ الشريف عبد الرحمن بن أبي الخير بن أبي عبد الله محمد الحسني في المكان والتاريخ المذكورين، فقال: ومما أرويه عن والدي رحمه الله ما سمعه من والده، قال: أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن عبد القوي الكناني

الإسكندراني، قال: أخبرني الشيخ شرف الدين بن القطان بالفيوم وكان خادماً لشرف الدين أبي حفص عمر بن الفارض رحمه الله، وكان قد حج تلك السنة الشيخ الإمام شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي والشيخ أوحد الدين الكرماني فلما كمل الحج اتفق أن الشيخ شهاب الدين السهروردي جلس في الحرم الشريف وجلس إليه أوحد الدين الكرماني وحضر الشيخ شرف الدين ابن الفارض واجتمع الناس إليهم، قال الشيخ شهاب الدين للشيخ شرف الدين: يا شرف الدين أسمعنا شيئاً مما يجري الله على لسانك فأنشد قصيدته الغراء: ما بين معترك الأحداق والمهج.. إلى أن بلغ قوله:

[لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذُكِرتَ ثَمَّ على ما فيك من عوج[1]]

فتواجد الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله، وجعل الشيخ شرف الدين ابن الفارض يكرر البيتين، فلم يزل يكررها حتى سكن الشيخ شهاب الدين من وجده ثم خلع عليه ثوبه وخلع أوحد الدين الكرماني، وخلع الحاضرون فاجتمع أربعمائة خلعة.

قال الشيخ الشريف أبو عبد الله: وزادني بعض الإخوان في هذه الحكاية أن الشيخ شهاب الدين حصل له يأس وقنوط وقعد [ق٨٣/ب] ثلاثة أيام يبكي، وبعد الثلاثة خرج وطاف أسبوعاً، وجلس واجتمع إليه من اجتمع من الناس، ووقعت هذه الحكاية بأثر هذا اليأس، وما أحسن هذا الاستماع بأثر تلك الحالة. ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد:٢١].

وفي غير هذه الرواية إنه لبس من الشيخ شهاب الدين في ذلك المجلس جماعة كثيرة بحضور الشيخ شرف الدين بن الفارض منهم ابن العجيل اليمني.

وأخبرنا أيضاً الشريف عبد الرحمن فقال: ومما أرويه بالإجازة من والدي ما سمعه من والده رحمهما الله تعالى، قال الشريف أبو عبد الله: أخبرني الشيخ المحدث الضابط أبو بكر عتيق بن عبد الرحمن العمري المصري الملقب بتقي الدين: أنه سمع الشيخ القدوة أبا عبد الله محمد بن موسى بن النعمان يحكي: أن الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله كان بمكة المشرفة يوماً وعنده شاب مصري،

(١) انظر: ديوان ابن الفارض (ص ٨٥، ٨٨)، والمهج: الأرواح.

فقرأ ذلك الشاب عشراً من القرآن، فبكى الشيخ شهاب الدين رحمه الله إلى أن فرغ القارئ من قراءته، وفي يد الشيخ خرقة يجفف بها دموعه، وأخذ تلك الخرقة وأعطاها لذلك الشاب، وقال له: يا فتى خذ هذه الخرقة وقل: هذه الخرقة فيها دموع عمر العاصي.

وأخبرنا أيضاً الشيخ الشريف عبد الرحمن الفاسي المذكور، فقال: أملا عليّ سيدي وقدوتي وشيخي الشيخ الصالح الإمام العالم، العامل القدوة ضياء الدين خليل إمام مقام المالكية نفع الله به ورحمه ورحم سلفه آمين.

دعاء يرويه عن شيخه الشيخ [الصالح] الإمام العالم، العلامة العارف بالله تعالى الشيخ الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد عبد الرحمن الحسني الفاسي بسماعه له [ق٨٤/أ] من الشيخ الصالح العلامة أمين الدين أبي المعالي محمد بن الشيخ الإمام العالم الرباني، قطب الدين أبي بكر محمد بن محمد بن علي القسطلاني بسماعه له من خاله الإمام العالم العامل ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بركات عمر بن محمد القسطلاني إمام المالكية بمكة المشرفة، وهذا الدعاء تلقنه الشيخ ضياء الدين المذكور في النوم من شيخه شيخ الطريقه الصوفية الشيخ الإمام شهاب الدين السهروردي أعاد الله من بركته وهو:

«اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهم إنا نسألك من رزقك الحلال الواسع المبارك ما تصون به وجوهنا عن التعرض إلى أحد من خلقك، واجعل لنا اللهم إليه طريقاً سهلاً من غير تعب، ولا نصب ولا منة ولا تبعة، وجنبنا اللهم الحرام أين كان وحيث كان وعند من كان، وحُلْ بيننا وبين أهله، واقبض عنا أيديهم، واصرف عنا قلوبهم حتى لا نتقلب إلا فيما يرضيك، ولا نستعين بنعمك إلا على ما تحب يا رب العالمين».

قال السيد الشريف الإمام العالم العامل أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني الفاسي المذكور: وأخبرني الفقيه الإمام بهاء الدين أبو أحمد عبد الرحمن بن الإمام ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عمر المذكور أولاً: إنه سمع والدته أم أحمد زوجة الإمام ضياء الدين المذكور، تذكر سبب هذا الدعاء المذكور وهو: أن رجلاً قدم إلى مكة ومعه مركب من القمح ليفرقه على الفقهاء، والأئمة، والصلحاء، ففرق ذلك الرجل القمح، ثم جاء إلى الإمام ضياء الدين أبي عبد الله

محمد بن عمر المالكي المذكور، وقال له: يا سيدي لك عندي كذا من القمح وعيّن قدراً [ق٨٤/ب] جيداً يليق بمثله وهو يأتيك إن شاء الله تعالى، فبات الفقيه تلك الليلة مسروراً، وجعل يفكر في ذلك القمح كم يكفي عياله، وكان ذا عيال، وكم يطعم جيرانه وغير ذلك، ثم انتظر القمح فلم يأته شيء، ثم لقي الرجل صاحب القمح، فقال له: يا سيدي ما وصل إليكم القمح؟ فقال له الفقيه: لا، فقال: والله لقد نفد القمح ونسيناك.

قال: بات الفقيه تلك الليلة بضد ما به بات تلك الليلة الأولى من الاهتمام، ونام فبينما هو نائم وإذا به يرى الشيخ شهاب الدين السهروردي، يقول له: يا محمد الاهتمام بالدنيا إلى هذا الحد، ويكرر عليه والفقيه يعتذر بكثرة العيال وضيق الحجاز، وكان وقت ضيق في الأقوات، فقال له الشيخ شهاب الدين ﷺ: قل: فَعَلَّمه هذا الدعاء المذكور أولاً.

قال السيد الشريف أبو عبد الله ويظهر والله أعلم أن ذلك القمح لم يكن طيباً، ولهذا صُرف عن هذا الفقيه، والدليل عليه قوله في الدعاء:

«وجنبنا اللهم الحرام أين كان وحيث كان وعند من كان، واقبض عنا أيديهم واصرف عنا قلوبهم».

فيه تنبيه بيّن على ما ذكرته.

وكان الفقيه ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عمر المالكي من أفضل أهل زمانه علماً ونزاهة وعفافاً، وكان عالماً بالأصول، والفقه، والحديث والعربية، وكان شاعراً حسن الشعر، وقرأ كتاب عوارف المعارف على مؤلفه الإمام شهاب الدين السهروردي بمكة المشرفة، وصحبة سنة ست وعشرين، وسمع بقراءته جماعة من الأكابر والعلماء.

قال الشريف أبو عبد الله الحسني الفاسي:

وهذا مما يدل أن الأكابر لا يغفلون عن أصحابهم في الحياة والممات.

وقد قالوا: الشيخ لا يغفل عن صاحبه، فلما وقع لهذا الفقيه هذا الالتفات [ق٨٥/أ] جاءه الإمام الكبير الذي صحبه، فنبهه، وأدبه، وعرفه الطريق الذي منها نُبله وخيره.

وذكر الحافظ اليغموري، قال: حكى لي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحاجب صقر بن بركوراني غانم والشريف أبو محمد عبد الله بن علي الحجازي قالا: وجدنا الشيخ شهاب الدين السهروردي عند الجمرة ويريد أن يرمي فقلنا: ينبغي أن تشهد الشيخ كيف يرمي؟ وكان قد كفّ بصره، وهو في محفّة فتقدمنا إليه، فلم نمكن من تلامذته، فأخذ الشيخ الحصاة ورمى بها، فوقعت على ساعد المحفّة، ثم [تدحرجت] فوقعت على الأرض فلم يقل له أحد شيئاً، فقلنا: يا سيدنا الجمرة وقعت على ساعد المحفّة، ثم ووقعت على الأرض، فقال: ادنوا مني فدنونا منه فقال: أشهداني كيف أرمي؟ فقلنا: ارفع يدك وأخرجها قليلاً وارم، فقال: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ثم رمى فلما انتهى الرمي، قال لنا: من أين أنتم، فقلنا: من الشام. فقال: اختلطوا بنا وكاثرونا فصرنا إذا رأيناه في السير جئنا وسلمنا عليه ومشينا معه إلى بعض الأيام، قال للمحف: دار اليوم تصل إلى تلال الحمى، قال: نعم، قال: إذا وصلنا إليها عرفني، فمشينا معه إلى أن وصلنا على تلال الحمى، وقلنا ترى أي شيء يعمل في تلال الحمى؟ فلما وصلنا إليها، قال لهم المحف: دار يا سيدي أنت الآن في وسط تلال الحمى، فأخرج الشيخ يده ودعى فلما فرغ من دعائه قلنا له: يا مولانا هذا الموضع هو مزاراً وورد فيه شيء، قال: لا إلا أني سمعت الشعراء يقولون:

سقى الله الحمى ورعى الله الحمى

فاشتهيت أن أدعو في هذا الموضع الذي قد أُنبتت القلوب على محبته وذكره، [ق٨٥/ب] لعل الله أن يستجيب فيه دعوة فعجبنا.

وحكى الشيخ عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافعي رحمه الله: أن الشيخ شهاب الدين السهروردي ﷺ ذكر بين يديه البلدان ومن فيها من الصالحين حينئذ، فكأنه أشار إلى بعض الجهات أن [ما] فيها أحد من الرجال في ذلك الوقت فوقف عليه شخصان في الحال من أهل تلك الجهة في زي مشاعليين، وقال له: يا سيدنا نشتهي أن تشرفنا بخدمة، وكان يومئذ بمكة جاء للحج فأذن لهما بحمل المشعل وسافر راجعاً إلى بلاده وكان يقول وهم سائرون: إني لأشم رائحة الفقر من قِبَل المشعل، فلما بلغوا بعض الطريق سُئل عن مسألة غامضة في علوم المعارف والأسرار المعروفة بالعلم الرباني لأهل الأنوار، فأجال ذهنه فيها

وتفكر وأمعن النظر، ثم وقف وتحير فلما وقف حصان علمه المشهور في ميـــدان الامتحان بالسؤال المذكور، وقف الشخصان المذكوران بين يديه وقال: يا سيدنا بدستورك نقول شيئاً، فقال: قولا: فقالا: الجواب والله أعلم: كذا وكذا، فكشفا القناع عن وجه محاسن الأسرار في الجواب الشافي للمنظار، فكشـــف الشـــيخ شهاب الدين رأسه، وقال: استغفر الله وأنصف مما صدر منه من الكلام في أهـــل الجهة المذكورة، ثم قالا: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورجعا عنه إلى بلادهما رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم.

[و-حكى الشيخ عبس رحمه الله عن شيخه الشيخ تاج الدين السراج أنه مشي في ليلة مقمرة مع شيخه الشيخ شهاب الدين السهروردي وقاضي ســـهرورد أو خطيبها، شك [الشيخ عبس]، فأخذنا نقرأ الواقعة، قال تاج الدين: وإنما أحفـــظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً بالغاً وأقرأ سريعاً.

وأخذ الشيخ شهاب الدين يقرأ منفرداً، فلما فرغنا الواقعة أصغينا إليه، فإذا هو قد قرأ القرآن كله فبقينا مذهولين من ذلك، فقال: ما شأنكم ومـــا لكـــم تتعجبون؟ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«**القرآن حبل الله المتين طرف بيد الحق وطرف بأيدينا**[1]»

فلنا قوم يقرأون من ذلك الطرف يعني الذي بيد الحق، وأرجو أن أكون أنا منهم.

ويحكى عنه من طي حروف القرآن وقراءته في الزمن القصير ما يعجز عنه غيره في الزمن الطويل عجائب يطول ذكرها، وهذه كرامة من الله تعالى في مقام الخلة، والمحبوبية، وقوة شهود القلب، وتلاطم أمواجه ، نَدُّ[2] اللسان.

---

(١) **حديث حسن**: رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨١/١٠)، وابن أبي عاصم في الأحـــاد والمثاني (٢٣٠٢)، وعبد بن حميد في المنتخب (٤٨٣)، والطبراني في الكبير (١٨٨/٢٢)، (٤٩١)، وإسناده حسن.

ورواه الطبراني في الأوسط (١٢٦/٢)، (١٥٣٩)، وفي الصغير (١٠٤٤)، والمروزي في السنة (١١٥) بتحقيقنا، وفيه راو متروك الحديث، والحديث صححه السادة الصوفية في كتبهم.

(٢) النَدُّ :الطِّيب، غير عربي.

ومن كلامه: أجوبة المسائل التي سأله عنها بعض أئمة خراسان وهي الموعود بذكرها، قال قدس الله روحه: سألت رحمك الله وإيانا هذه الأسئلة، وأنا إن شاء الله تعالى أجيب عن [ق٨٦/ب] بعضها بما يفتح الله على حسب الإمكان:

السؤال الأول:

قلت: ما الفرق بين الفترة والوقفة؟ الجواب وبالله التوفيق:

الفترة في الأعمال قال رسول الله ﷺ: «**لكل عامل فترة**[1]»، والوقفة في الأحوال.

وسبب الفترة: الإهمال لأدب الوقت، وتضييع حكمه، والإهمال والتضييع، موجبها ظهور صفات النفس.

وسبب الوقفة: الإهمال لحكم الحال والإخلال بشيء من شروط الحال، وموجب الإخلال والإهمال نقصان علم الحال، ونقصان علم الحال لنقصان علم القيام، وعلم القيام مطالعه سراً ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾[الرعد:٣٣] وهذا النقصان هو الفتور عن المراقبة.

السؤال الثاني: قلت: مع الأعمال يتداخله العجب، ومع ترك الأعمال يخلد إلى البطالة؟

الجواب: لا يترك الأعمال ويداوي العجب، بل يعلم أن ظهوره من النفس وكلما ألم بباطنه خاطر العجب يستغفر الله، ويكره الخاطر، فإنه يصير ذلك كفارة خاطر العجب، ولا يدع العمل رأساً.

والجواب عن السؤال الثالث: الخلوة تصلح لمن ليس له نصيب من البطالة وأوقاته معمورة بالمعاملة والمراقبة، والخدمة تصلح لمن عنده سعة للبطالة فيصرف سهم البطالة إلى الخدمة وتبقى شهامة الآخر للمعاملة والذكر والمراقبة.

والجواب عن السؤال الرابع: الخلوة محمودة، والمريد إذا كان تحت حكم شيخ ذي بصيرة تكون جلوته وخلوته بحكم الشيخ، فالشيخ يعلم قدر حاجته إلى الخلوة، وقدر حاجته إلى الجلوة، فالشيخ يعلم الاستعدادات، فمن المريدين من

---

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/١٩٦)، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

يؤمر بالخلوة الدائمة، ومنهم من لا يصلح إلا للخدمة، ومنها تكون [ق٨٦/ب] زيادته، والأوضاع مختلفة، ومعرفة تفاوتها للشيوخ الراسخين في العلم الذين يتصرفون بالحق لا بهوى نفوسهم، ويريدون الخلق لله لا لمحبة الاستتباع، ويكونون أمناء الله في أرضه.

والجواب عن السؤال الخامس: أصحاب رسول الله ﷺ استغنوا بملازمة رسول الله ﷺ عن الخلوة، وكان ملازمتهم لحضرته، والجهاد بين يديه أولى من كل خلوة، والخلوة معينة على دفع آفات النفوس ومعرفة الزيادة والنقصان وقد يتربى المريد بنفس الشيخ وصحبته من غير أن يدخل الخلوة أو ينحبس في بيت مظلم، بل يسري إليه من باطن الشيخ ما يستغني عن الخلوة ولكن الخلوة تصلح لبعض المريدين غير أني لا أحب للمريد أن يترك الصلاة جماعة بل يحضر الفرض ويرجع إلى خلوته حتى لا تكون خلوته رهبانية، وأما من ترك الجمعة وزعم أنه في الخلوة، وأنه إن خرج تتشوش جمعيته فهو ضال مخطئ، نعوذ بالله منه وممن يحسن له ذلك، فهو عين الضلال.

والجواب عن السؤال السادس: لبس الخرقة له أصل من السنة، وذلك أن رسول الله ﷺ: ألبس أم خالد خميصة سوداء ذات علم، وليس ذلك من لوازم الطريق، بل هو في استحسان الشيوخ، وله أصل من السنة، وإنما الاعتبار بالصحبة واقتباس العلوم والأحوال، والمريد إذا لبس الخرقة من شيخ، فكأنه حكمه في نفسه، فشرطه أن يخرج من اختياره وإرادته في الأشياء، ويكون تحت اختيار الشيخ، وهذا يكون مريداً حقيقياً، ومن لا يبلغ هذه الرتبة فخرقته مجرد التشبه بالقوم ومن تشبه بقوم فهو منهم، ويكون [ق٨٧/أ] مريداً رسمياً لا حقيقياً.

والجواب عن السؤال السابع: المريد إذا علم من الأحكام ما لابد منه، فالأولى به الانقطاع إلى الله ودوام التبتل إلا أن يكون غير صابر على الحق الصرف، ونفسه لا تجيب إلى الذنوب في العمل، والذكر، وتطالبه بالبطالة، فعند ذلك يصرف سهم البطالة إلى الإشغال بشيء من العلم من قبيل فروض الكفايات، فيكون تبتله عزيمة حاله واشتغاله رخصة حاله.

والجواب عن السؤال الثامن: في هذا الزمان الأولى للمريد ترك التزوج إذا لم يخف العنت ويجتهد في نفي خواطر التزوج، وكلما ألم به خاطر النساء يفر إلى

الله من الخاطر ويستعيذ به، فإنه إذا فعل ذلك ودام عليه سوف يسوق الحق إليه زوجة صالحة، بمؤنتها وكلفتها، ويكون محمولاً منها ومعاناً من قبل الله تعالى، فلا يقطعه إذا ذاك عن الله.

والجواب عن السؤال التاسع:الفقير إذا تزوج يكتسب لعياله إلا أن يفتح الحق عليه باب الفضل والمزيد على الصحة، وهذا إنما يكون لمريد تضيق أوقاته عن الكسب لكمال شغله بربه.

والجواب عن السؤال العاشر: لا ينبغي للمريد أن يدع الأعمال للخلق ولا يأتي بها للخلق وإذا أنا بالأعمال واسترقت النفس الغرض بالالتفات إلى الخلق، واستحلت نظرهم إليه فيستغفر الله من ذلك الاستحلاء، ولا يدع العمل رأساً لأجل ذلك.

والجواب عن السؤال الحادي عشر: لا ينبغي [للمريد أن يتواضع للأغنياء لموضع غناهم ولا يرفع] حاجته إليهم إلا أن دعت الضرورة، وإذا علم أن المال حرام لا يجوز له التلبس به البتة، ولا يحمله الغرور والاعتماد على الحال [ق٨٧/ب] أن يأكل المال الحرام، فإن المريد الصحيح لا يطفئ نور حاله نور ورعه سواء كان مجرداً أو متأهلاً.

والجواب عن السؤال الثاني عشر:يجوز للمريد أن يسكن الربط المبينة من أحوال الولاة، ولكن شرط المريد أن لا يأكل من الوقف إلا إذا كمل شغله بالله، ولم يبق للبطالة عليه سبيل وإلا فالكتب أولى به وربما كان سكن الرباط أبعد له من الآفة والشهرة؛ لأن أرباب الزوايا يشتهرون أعجل من أرباب الربط، ولكن بشرط أن يسترسل في الاختلاط، فإنه الداء المهلك.

والجواب عن السؤال الثالث عشر: إذا وجد مالاً أقل شبهة لا ينبغي أن يأكل مما كان أكثر شبهة.

والجواب عن السؤال الرابع عشر: إذا لم يبال بما أكل ولا يتورع، لم يبال الله أن يهلكه.

والجواب عن السؤال الخامس عشر: إذا قدر على إزالة منكر ينبغي أن يزيله وإن كان في نفسه مخلطاً، فإن الأمر بالمعروف مأمور به، ولكن ينبغي أن

يكون أمره بالمعروف معروفاً ولا يسطو على العصاة بصلاحه، ولكن يزيل المنكر نيابة عن الشرع ويخلص النية، وينبغي الرياء والسمعة.

والجواب عن السؤال السادس عشر: تلقين الذكر تلقيح بـاطن المريـد الصادق بنَفَسِ الشيخ الصديقِّ، وإنما يصح هذا التلقين من شيخ كامل ذي قلـب تام النور؛ لأن نور الكلمة يكون على قدر نورانية القلب، ونورانية القلب علـى قدر زوال هوى النفس، فإذا زال الهوى تنور القلب كل التنَور، وزوال الهوى لا يكون بمعنى انعدامه، ولكن يكون بمعنى ترك متابعته فلا يكون له هوى متبع [لأن الهوى روح النفس لا يـزول، ولكن يزول [ق٨٨/أ] متابعته الهوى فإذا لم يكن هناك هوى] متبع يستكمل القلب النور ويفيض منه إلى قلوب المريدين الصادقين بواسطة تلقين الكلمة، ومثلُ هذا يكون شيخاً، ولا يحتاج أن يطلب الخلق، فـإن قلوب أهل الصدق تجد نَفَسَ الرحمن عنده فتأوي إليه وتطلبه، فإن أقام الحق خلقه في طلبه، وأوقع محبته في قلوب خلقه فحينئذ يجوز له أن يطلق لسان الـدعوة إلى الله تعالى، ويكون تسعة أعشاره عند الله وعشر عند الخلق، يريد الخلق لله تعالى لا لنفسه ويكون أمين الله في أرضه، فكما أن جبريل عليه السلام أمين الوحي لرسول الله ﷺ يكون الشيخ أمين العلم والإلهام للمريدين الصادقين.

وأما الجواب عن السؤال السابع عشر: ينبغي أن يعلم [أن] الحريص على الدنيا وجمعها وإقامة الجاه، لا يصلح أن يكون شيخاً، ومن يؤهل للمشيخة ذكرنا أنه لا يكون له هوىً متبع، فإذا رأى الشيخ المريد من شيخه ذلـك يراجـع الله تعالى ويكثر اللجاء إليه أن يكشف له حال الشيخ هل هو شيخ حقيقة أم ادعـى المشيخة من غير حقيقة، ولا يعمل المريد بمجرد ظنه، فإنه إن كان صادقاً سـوف يكشف الحق سبحانه له عن شأن الشيخ وحقيقة أمره.

ومن كلامه أيضاً ما قاله: فارقاً بين ما يحدث من خوارق العادات من الأنبياء عليهم السلام وما يوجد منها من الأولياء، فإن الأنبياء عليهم السـلام غلبـت روحانيتهم جسمانيتهم، فاستتبعت أرواحهم قوالبهم في رقيها إلى حظائر القدس ومخادع الأنس، حتى كان أحدهم يمشي على الماء وفي الهواء، والولي وإن فعـل ذلك غير أنه مجبر فيه من غير شعوره، واختياره.

[ق٨٨/ب] وأما الأنبياء عليهم السلام تملكوا ناصية الأحـــوال وتســـيطروا عليها، فصار إظهار خوارق العادات لهم ملكة يأتون بها متى شاءوا على بصـــيرة وتيقظ، وكذلك الولي.

ومن كلامه في قوله تعالى إخباراً عن موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] إن قوله تعالى: لن تراني ومنعه ﷺ الرؤية لم يكن نقصاً في حق موسى ﷺ بل كان تتمة لحاله وكمالاً لمقامـــه لأنـــه ﷺ استكمل بالمنع مقام الشوق، لأن مقام الشوق لا يكمل إلا بـــالمنع، والســـر أن موسى ﷺ أراد أن يكون لبصره الظاهر قسط [من] صفو المشاهدة وروحهـــا كما كان لبصيرته الباطنة ليكون البصر والبصيرة كلامها مشاهدين معانين فمنع منه تكميلاً لشوقه وإتماماً لطلبه.

ومن كلامه في قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٧٥].

إن السالك في أول سلوكه أول ما يبدو له من لوائح أنوار التوحيد يكـــون على مقدار كوكب، فإذا توغل في السلوك وتجرد عن العلائـــق ازدادت تلـــك اللوائح لمعاناً على مقدار نور القمر، فإذا ارتقى في سلوكه رتبه أخرى تلمع على مقدار الشمس، وإلى هذا الحد يكون السالك بعد في [مقام] التكوين، فإذا جاوز التكوين إلى مخدع التمكين، ولاح له ناصية مقام التوحيد وقطع شباك الأحـــوال بقوة التفريد واستغرق في تيار بحار القرب، قال حينئذ مجهراً: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِي﴾ [الأنعام:٧٩] وأنشد مستشهداً[ق٩٨/أ]:

من كان في ظلم الليالي ســـارياً	رصـــد النجـــوم وأوقـــد المصـــباح
حتى إذا ما لبدر أرشد ضـــوء	ترك النجـــوم وراقـــب إلا صـــباحا
حتى إذا إنجاب الظلام بأســـره	ورأى الصباح بأفقـــه قـــد لاحـــا
ترك المسارج والكواكب كلـــها	والبدر وارتقـــب الســـنا الوضـــاحا

وكتب إليه الشيخ الإمام مجد الدين الخوزي رحمه الله:

يا من سقـــاه الله صِـــرْفَ ودادِه	وأنا لـــه مـــن قـــربة مأمـــوله
ماذا النكير على السماع لعاشـــق	جعل السماع إلى الحبيب رسوله

فلقد علمت بأن هذا مـــوقف　　يشـــكو المحب إلى الحبيب غليله

فأجابه الشيخ شهاب الدين السهرودي قدس الله روحه:

إني لأعـــلم ما تقول وأرتجـــي　　لك قرب من تختاره ووصـــوله
وأرى السماع محللاً لك دائمـــاً　　لكـــن لغـــيرك لا أرى تحليلـــه
يا حبذا قرب الحبيب ووصـــله　　لمتيم أضـــحى لـــديه قتيلـــه

ومن شعره أيضاً:

ربع الحمى مذ حللتم معشب نضـــر　　بروق أكنافه يزهو بهـــا النظـــر
لا كان وادي الغضا لا تنـــزلون　　به ولا الحمى سح في أكنافه مطر
ولا الرياح وإن رقـــت نســـائمها　　إن لم تفد نشركم لاضمها سحر
ولا خلت مهجتي تشكوا رشـــيش　　جوى وحر قلبي برياحكم عطـــر
ولا رقت عبرتي حتى تكون لمن ذاق　　الهـــوى لي في عـــبرتي عـــبر

ومنه أيضاً [ق٨٩/ب]:

وجود وجدي فيكم غـــير متـــهم　　لأنه قبل خلـــق اللـــوح والقلـــم
وقيل ما كنت كـــان ذكـــركم　　يعتادني وأنـــا في حالـــة العـــدم
إذا شممت نسيماً مـــن جنـــابكم　　يهزني الشوق من فوقي إلى قدمي

ومنه أيضاً:

تصـــرمت وحـــشة الليـــالي　　وأقبـــلت دولـــة الوصـــال
وجـــاد وصال بالوصـــل لي حسود　　من كان في هجـــركم رثـــالي
وحقكـــم بعـــد أن حصـــلتم　　بكل مـــا فـــات لا أبـــالـــي
ومـــا علـــى عـــادم أجاجـــاً　　وعنـــده أعـــين الـــزلال
ونظـــرة منـــكم بـــروحي　　إن رمتـــم لم يكـــن بغـــال
علـــى مـــا للـــورى حـــرام　　وحـــبكم في الحشـــا حـــلالي
تقاصـــرت دونكـــم قـــلوب　　فيـــا له مـــورد حـــلالي
تشـــربت أعظمـــي هـــواكم　　فمـــا لهذا الهـــوى ومـــالي

الفصل السابع

في ذكر الشيخ الإمام العالم الوارث المحقق صاحب الكشف والإلهام قوام الدين محمد بن عبد الحميد البسطامي قدس الله روحه ونور ضريحه

كان أوحد وقته علماً وحالاً وإرشاداً للمريدين الصادقين جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وكان يفتي على مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ. ولد ببسطام وأقام بها وتخرج بصحبته، وتربيته خلق كثير، ثم انتقل إلى مدينة هَراة وأقام بها حتى مات رحمه الله تعالى.

وكان له تمكن عظيم من الدخول إلى عالم البرزخ أي لحظة شاء، ويخبر عن أحوال أهل البرزخ ومخاطبته إياهم [ق٩٠/أ] بالعجائب.

وحُكي أنه كان يوماً ماراً في بعض الأماكن إذ وقف وقفة، وأطرق هينة، ثم قال: إن هاهنا ميتاً مدفوناً اجتمعت روحي بروحه وأخبرتني أن اسمه فلان بن فلان وله كذا وكذا سنة منذ مات، فنبشوا ذلك المكان، فوجدوا قبراً فيه ميت له سنين كثيرة.

وله في هذا الباب حكايات، وصنف كتباً مفيدة وخصوصاً من علوم هذه الطائفة منها: «رسالة تحفه السفرة إلى حضرة البررة» من انفع ما يحتاج إليه السالك، «ورسالة بلغة المسافر»، ورسالة أخرى التمسها منه بعض الأخيار في الغيب، «ورسالة في سر الصلاة»، ورسائل أخرى يطول تعدادها.

وكان جده الأعلى الشيخ الوحيد الفريد برهان الموحدين شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه، شيخ وقته، ونقل عنه الشيخ قوام الدين في مصنفاته كلاماً عالياً نفيساً مشتملاً على دررٍ من الحقائق والمعارف.

وكان أعني شيخ المشايخ له قدس الله روحه صحبه مع الخضر عليه السلام وأوصاه بوصايا نافعة قال قدس الله روحه: أول قدمنا في الفتوة صحبة الخضر عليه السلام، وقال له الخضر: موصياً لا تكن مشاءً في غير حاجة، وإياك واللجاج، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعيّر الخطائين بخطاياهم، وابك على خطيئتك، ولا تؤخر عمل اليوم إلى غد، ولا ترد السائل لوجه الله تعالى، وإن كان يبذل النفس والفؤاد

ظرفك فاخشنه بما ينفعك، والدنيا متزودك فتزود منها ليوم معـــادك، ولا تمـــل الجليس بكلامك، فإن المستمع يمل والمتكلم تتجدد لذة كلامه، ولا تفتح بابـــاً لا تعلم ضمه، ولا تضم باباً لا [ق٩٠/ب] تعلم فتحه، ولا تظـــن أن الله جـــار في حكمه بأن خصّ بعضنا بالنعم وبعضنا بالبلايا، واتبع العلم بنفي الهوى، وخـــذ العلم لأجل العمل لا للقول، واذكر الله تعالى بأن لا تنساه قطاً، ولا تشبع مـــن جمع العلم حتى تبلغ غايته، وأعف عن الخطأ مع القدر تكن أورع الناس وأعزهم.

انتهت الوصية.

تلقن الشيخ قوام الدين البسطامي ذكر كلمة لا إله إلا الله جهـــراً بطريقـــة موزونة من الخضر عليه السلام وصحب والده الشيخ عبدالحميد ولبس منـــه الخرقـــة المباركة المتصلة إلى الشيخ أبي يزيد وتلقن ضمنه ذكر كلمة لا إله إلا الله جهـــراً، وصحب أيضاً وتلقن الذكر خفياً من شيخه الشيخ قاسم السيرجاني، وسيرجان: بلدة من بلاد العجم، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر سند الطريقين.

* * *

الفصل الثامن
في ذكر شيخ شيخي الشيخ الإمام الرباني فريد عصره وفريد وقته المرشد علاء الدين علي العشقي البسطامي

وعشق بلدة من أعمال خراسان قدس الله روحه ونور ضريحه.

كان قيماً بتأديب المريدين الصادقين، وإرشادهم، وكان يأمر كلاً من مريديه بما يلائم حاله، فمنهم من كان يأمره بخدمة الفقراء ويعطيه من الخدمة ما يعلم أنه دواؤه، ومنه نفاذه، ومنهم من يأمره بالعزلة، ومنهم من يأمره بالخلوة الأربعينية على ما رتبها أستاذ الطائفة الجنيد قدس الله روحه، وكان يأمر أصحابه على العموم بملازمة ذكر لا إله إلا الله جهراً وخفياً حضراً وسفراً في جميع أحوالهم، لا يسامحهم في الفتور عن ذكرها.

وكان دائم المجاهدة، ومما يحكى من مجاهداته أنه مكث سنين لم يشرب الماء [ق٩١/أ] ولم يضع جنبه إلى الأرض للنوم إلى أن مات، وكان حشن الملبوس [والمأكول حسن الأخلاق]، والشيم، والتواضع.

صحب شيخه الشيخ قوام الدين البسطامي قدس الله روحه، وخدمه خدمة كبيرة.

يحكى عنه في ذلك العجائب، وتخرج بصحبته وبلغ مبلغ الرجال، ولم يزل في خدمته إلى أن توفي شيخه قدس روحيهما، وجاور بمكة شرفها الله وعظمها، وكان في غاية التجريد، وكان قُوته من لقط النوى.

وكان يعرف بمكة الشيخ «علي: لا إله إلا الله» لملازمته ذكرها لا يفتر عنها وقتاً من الأوقات إلا في أوقات نُهي عن الذكر باللسان فيها، قدس الله روحه، ولما أقام بالقدس الشريف بإشارة الخليل عليه السلام لقنه الخليل عليه السلام ذكر لا إله إلا الله جهراً بطريقة موزونة في واقعة وقعت له بالقدس الشريف ولم يزل مقيماً بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

***

الفصل التاسع

في ذكر شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم الرباني المرشد الكامل المكمل الصمداني(١)

جلال الدين عبد الله بن الشيخ الإمام العالم حسام الدين خليل الأسداباذي مسكناً، المقدسي موطناً، البسطامي طريقة ومسلكاً

قدس الله روحه ونور ضريحه، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته تحت لواء سيد الخلق ﷺ.

انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في زمانه، وكان قيماً بتربية المريدين الصادقين، وحل ما يطرأ لهم من الوقائع في الخلوة في أوانه رجع به خلق كثير إلى الله ﷻ، وانتفعوا بصحبته وإرشاده، وما وقع نظره على أحد بنظر محبة ورعاية إلا نتج وبرع.

وكان ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن، وأعاد وهو شاب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد، ثم لما قدم شيخه الشيخ علي المذكور إلى بغداد ونظر إليه نظر محبة [ق٩١/ب] ورعاية انعقد من تلك النظرة جنين الإرادة فتعلق بذيل إرادته ودخل تحت حكمه وتصريفه، فلما توجه شيخه من بغداد نحو الشام لزيارة بيت المقدس ترك الوظائف التي كانت بيده، وأوقف كتبه على الطلبة وتوجه في خدمته من بغداد على قدم التجريد والمجاهدة الشاقة بعد تلك الفترة الحسنة، وأقام في خدمته شيخه ببيت المقدس مشتغلاً بأنواع المجاهدات والرياضات ودخول الخلوات الأربعينات إلى أن نفذ أمره و علا شأنه ولما قارب شيخه الوفاة أشار إلى مريديه أن الذي يقدم من السفر يقوم مقامه، وكان شيخنا إذ ذاك مسافراً فساعة دخول شيخنا إلى الزاوية خرج شيخه من العالم الدنياوي ودخل إلى العالم البرزخي، وقام مقام شيخه بإشاراته في تأديب المريدين وتهذيبهم وتسليكهم على طريق شيخه من الخدمة، ورعاية الأوقات،

---

(١) انظر: كشف الظنون (٣٨٤/١)، وهدية العارفين (٤٥٣/١)، ومعجم المؤلفين (٢٨٦/٢).

والعزلة، والخلوة، وأوقع الله له القبول التام والمحبة من الخلق والانقياد من الخاص والعام.

وكان بهياً وسيماً ظاهر الوضاءة، حسن الوجه تتلألأ عليه أنوار الولاية، وكان كثير البشاشة واللطافة والتواضع، ويتنازل مع الأصاغر إلى مراتبهم، وكان كريم الشمائل منفقاً على السالكين وغيرهم، وسافر في أواخر عمره إلى الشام وانتهى إلى مدينتا حلب، وظهرت بركته على أهلها وغير أهلها، وأثر نظره بحمد الله فيمن كانت له سابقة سعادة، وتاب على يده خلق كثير.

وكان قدس الله روحه ونور ضريحه له التمكن من التشكل بأي صورة روحانية شاء، وحكي عنه في هذا الباب حكايات وقعت لبعض مريديه معه في طرق الحج وغيره.

ومن كلامه:

ما أوصاني به وكتبه [ق٩٢/أ] لي بخطه، فقال قدس الله روحه:

«وأوصيه بتقوى الله تعالى عند كل شجر وحجر ومدر، ومراقبته تعالى في كل حال ومقام، والصدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، والتخلق بأخلاق القوم حسب الطاقة والاستطاعة، وتقليل الطعام والكلام والمنام على حد الوسط من غير تفريط وإفراط، فإن التفريط والإفراط مذموم جداً، وإكثار ذكر كلمة لا إله إلا الله سراً وجهراً ليلاً ونهاراً، وإخلاص العمل لله تعالى، وإحضار القلب في طاعته وعبادته وجميع أحواله»، ثم أوصاني بوصية الخضر عليه السلام التي أوصى بها شيخ المشايخ قدس الله روحه المتقدم ذكرها، وصنف رسائل مفيدة نافعة منها: رسالة «مشكاة المصباح في بيان أوراد المساء والصباح»، ورسالة «الإحسان في بيان أعلى شُعب الإيمان»، ورسالة ذكر فيها مراتب الكشف، ورسالة ألفها لما قدم إلى القدس الشيخ الكبير المرشد الكامل صدر الدين ابن الشيخ صفي الدين الأردويلي قدس الله روحه.

وكان قد سأل بعض فقهاء القدس أن بعض المشايخ قد اختاروا من الأذكار ذكر كلمة لا إله إلا الله، وبعضهم اختاروا كلمة الله، فما الحكمة في اختيار كل طائفة منهم؟ فأجاب الشيخ صدر الدين المذكور بجواب مختصر لضيق الوقت،

فعلق شيخنا قدس الله روحه هذه الرسالة نحو الكراس وأتى فيها بأشياء بديعـــة، ورسالة «غاية الأعلام في بيان رؤية النبي ﷺ في المنام».

توفي قدس الله روحه ونور ضريحه وجمع بيننا وبينه في دار كرامته ليلة الثلاثاء الثامن و العشرين من شهر الله المحرم من شهور سنة أربع وتســـعين وســـبعمائة بالقدس الشريف [ق٩٢/ب]، ودفن بمقبرة ماملا في الضريح الذي كان أعده له تحت قدمي شيخه قدس الله روحيهما.

***

الفصل العاشر
في ذكر سند الذكر الشريف والخرقة المباركة

وهو على قسمين:

القسم الأول:

في ذكر بيان طريقنا في ذلك إلى الشيخ أبي يـزيد قدس الله روحه.

ألبسني شيخي قدس الله روحه خرقة التشـبيه، وخرقـة الإرادة، وخرقـة التصوف في أوقات مختلفة، وأحوال متباينة، ولقنني ذكر لا إله إلا الله جهراً، وهو لبسها وتلقن ذكر الجهر من شيخه الشيخ علي البسطامي وهو لبس وتلقن مـن شيخه الشيخ قوام الدين البسطامي، وهو أخذ جميع ذلك من والده الشيخ جمـال الدين عبد الحميد البسطامي، وهو أخذها من والده الشيخ نجم الدين فضـل الله، وهو أخذهما من عمه الشيخ جلال الدين مسعود، وهو أخذهما من عمه الشـيخ مجد الدين شاهنشاه، وهو أخذهما من والده الشيخ جمال الدين عبدالحميد، وهـو أخذهما من والده الشيخ جمال الدين علي، وهو أخذهما من والده الشيخ عزيـز الدين عبدالعزيز، وهو أخذهما من والده الفقيه الشيخ جمال الـدين عبدالحميـد، وهو أخذهما من والده الشيخ الوحيد الفريد قطب الرجال وكوكـب الإقبـال برهان الموحدين وإمام العارفين شيخ المشايخ أبي عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي، وهو أخذهما من الشيخ حسن الدرزجي، وهو أخذهما مـن الشـيخ أبي بكر أمهان، وهو أخدهما من الشيخ إبراهيم كسيان، وهو أخذهما من الشيخ عمى أبي موسى، وهو أخذهما من عمه برهان الموحدين، وسلطان العارفين الشيخ أبي يزيد البسطامي، وهو صحب الإمام جعفر الصادق، وهو صحب أباه محمـد الباقر، وهو صحب [ق٩٣/أ] أباه زين العابدين، وهو صحب أباه الحسين، وهو صحب أباه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وهو صحب رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً.

* * *

القسم الثاني
في ذكر بيان طريقنا بالذكر الشريف من طريق الجنيد قدس الله روحه

لقنني شيخنا قدس الله روحه ذكر كلمة لا إله إلا الله خفياً [بحركات ثلاث وأربع] وهو تلقن الذكر الشريف من شيخه الشيخ علاء الدين البسطامي، وهو تلقن من شيخه الشيخ قوام الدين البسطامي ، وهو تلقن من شيخه الشيخ قاسم السيرجاني، وهو تلقن من شيخه الشيخ عبد الله [البلياني]، وتلقن من شيخه الشيخ أصل الدين الشيرازي، وهو تلقن من شيخه الشيخ [ركن الدين السجاسي، وهو تلقن من شيخه الشيخ قطب الدين الأبهري، وهو تلقن من شيخه الشيخ شهاب الدين السهروردي، وهو تلقن من عمه وشيخه الشيخ أبي النجيب السهروردي وهو تلقن من شيخه الشيخ أحمد الغزالي، وهو تلقن من شيخه الشيخ فرج الزنجاني، وهو تلقن من شيخه الشيخ احمد الأسود، وهو تلقن من شيخه الشيخ ممشاذ الدينوري، وهو تلقن من شيخه الشيخ أبي القاسم الجنيد، وهو تلقن من شيخه وخاله سري السقطي، وهو تلقن من الشيخ معروف الكرخي، وهو تلقن من شيخه الشيخ داود الطائي، وهو تلقن من شيخه الشيخ حبيب العجمي، وهو تلقن من شيخه الشيخ حسن البصري قدس الله أرواحهم.

والحسن البصري:

قيل إنه صحب علي بن أبي طالب ﷺ صاحب رسول الله ﷺ.

فصل: اتفق الحفاظ [ق٩٣/ب] على أن الحسن البصري أخذ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وابن عمر عممه رسول الله ﷺ بيده المباركة كما تقدم.

وأما معروف الكرخي:

فأسلم وهو صبي، وصحب علي بن موسى الرضا. كما تقدم، وعلي الرضا صحب أباه موسى الكاظم، وهو صحب والده جعفراً الصادق بالسند المتقدم في القسم الأول.

وأما الجنيد: فصحب أيضاً الحارث بن أسد المحاسبي كما تقدم في مناقبه، والمحاسبي صحب أستاذه بشر بن الحارث الحافي، وهو صحب أستاذه عامر بن شعيب، وهو صحب أستاذه الحسن البصري قدس الله أرواحهم، وبشر الحافي صحب أيضاً الفضيل بن عياض، وهو صحب جعفر الصادق، وكان ممشاذ الدينوري فصحب أيضاً أبو عبد الله أحمد بن يحيى بن الجلاء، وهو بغدادي الأصل أقام بالرملة ودمشق، وكان من أجلة مشايخ الشام، وكان عالماً ورعاً، وابن الجلاء صحب أبا تراب عسكر بن حصين النخشبي من أجلة مشايخ خراسان المذكورين وكبارهم والمشهورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع، مات بالبادية فنهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين، وهو صحب حاتماً بن عبد الرحمن بن عنوان، ويقال: حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان، قيل: إنه لم يكن أصم، وإنما تصامم مرة فسمي به، وهو [صحب] أبا علي شقيق ابن إبراهيم البلخي من كبار مشايخ خراسان له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، وقيل: هو أول من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان، وهو صحب أبا إسحاق إبراهيم ابن أدهم وناهيك به، وهو صحب أبا عمران موسى بن زيد الداعي ببلخ، وهو صحب أويساً القرني، وهو صحب أميزي المؤمنين عمر [ق٩٤/أ] ابن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع.

وهما من كبار أصحاب رسول الله ﷺ ومن جملة العشرة المشهود لهم بالجنة، وأما إبراهيم بن أدهم رحمه الله صحب بمكة الفضيل بن عياض، وهو صحب جعفر الصادقﷺ.

وأما الشيخ أبو النجيب السهروردي:

فصحب أيضاً عمّه وحيد الدين عمر بن محمد، وهو صحب الشيخ فرج الزنجاني، وهو صحب أبا العباس النهاوندي، وهو صحب أبا عبد الله بن خفيف، وهو صحب أبا محمد رويم، وهو صحب أبا القاسم الجنيد بن محمد رضي الله عنهم.

وأما الشيخ أحمد الغزالي:

فهو صحب أيضاً أبا بكر النساج، وهو صحب أبا علي الفارمدي، وهو صحب أبا القاسم الكركاني، وهو صحب أبا عثمان المغربي، وهو صحب أبا

علي الحسين بن أحمد الكاتب، وهو صحب أبا علي الروذباري، وهو صحب أبا القاسم الجنيد قدس الله أروحهما:

شعر:

سلام على قوم مضوا لسبيلهم	فلم يبق إلا ذكرهم وحديثهم
لقد جمعتهم جذبة الحق فاستوى	قديمهم في شأنها وحديثهم

تنبيهات الأول:

اعلم أن بعض المشايخ يذكرون عنعنة الخرقة مسلسلة إلى النبيﷺ، وكذلك فعل شيخنا قدس الله روحه وغيره. وقال الشيخ مجد الدين البغدادي قدس الله روحه وغيره: قال الشيخ مجد الدين البغدادي قدس الله روحه: ألا إني رأيت بخط الإمام شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي، وهو أحد المعتبرين في هذا الشأن فيما كتب لواحد من مريديه وقد ألبسه الخرقة، فذكر إلباس الخرقة إلى الجنيد وبعد ذلك اقتصر على الصحبة، وقد اعتمد السهروردي في تحقيق سنة الخرقة على حديث أم خالد أنها، قالت: أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال:

« **من ترون اكسو هذه؟**» فسكت القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بأم خالد**»، قالت: فأتى بي فألبسنها بيده، وقال: «**أبلي واخلقي**» يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر، وقال: يا أم خالد: «**هذا سناً والسنا هو الحسن بلسان الحبشية**[1] ».

قال الشيخ مجد الدين ولعمري إن إسناد [ق٩٤/ب] الخرقة على ما ذكرناه أصح وأولى بأن يعتمد عليه من حديث أم خالد، فإن رجاله كلهم من الأولياء والأوتاد وعباد الله الصالحين التي لهم وراء العدالة التي عليها مدار الصحة نصيب مراتب ومقامات وأحوال، واتفاق جمهور المشايخ المحفوظين المعتبرين على إلباس

---

(١) **حديث صحيح** : رواه البخاري (٥/٢١٩١، ٢١٩٨)، وأبو دواد (٤/٤٢)، وأحمد في المسند (٦/٣٦٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/٢٣٤)، والبيهقي في الشعب (٥/٩٢)، والحاكم في المستدرك (٨/٢٣٤).

الخرقة، ومباهاتهم بها ولا يليق بشأنهم مع علو درجتهم في الدين المباهاة بشــيء ابتدعوه ما وجدوا له أصلاً من السنة، انتهى.

ولا ينبغي أن يستغرب إلباس الخرقة من النبي ﷺ لما تقدم من تخريج أبي داود في سننه بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: لقــد عممــني رسول الله ﷺ بعمامة فسدلها من بين يدي ومن خلفي، أي أرخى لها طرفــاً[(١)]، وهذا الحديث أولى بان يستدل به من حديث أم خالد على إلباس الخرقة من النبي ﷺ والله أعلم.

الثاني: فقال هل المعتبر في إسناد الخرقة العلو بقلة الرواة كإسناد الحديث؟

فاعلم أن المعتبر في رواية الحديث الإسناد العالي ليقل فيه احتمال الكــذب، لأنه كلما كثر الرجال احتمل الكذب، والمعتبر في الخرقة كثرة المشايخ لتكثر بهم أنوار الحق في سلوك الطريق.

قال الشيخ مجد الدين البغدادي قدس الله روحه: خطر ببالي في أثناء الخلــوة أنه لم صار سلوك الطريق في زماننا أسهل مما كان في زمان المشــايخ المتقــدين والسلف من سادات الأمة، فأراني الله تعالى طريقاً فيحاء انقلب البصر عن إدراك كنهها خاسئاً وهو حسير، وإذا هي مملوءة بالمشاعل والأنوار، فألقى في روعــي أوان الرؤية أن هذه هي للطريقة، وإن المشاعل والأنوار هــي أرواح المشــايخ، فكلما ازدادت الأنوار في الطريق [ق٩٥/أ] تقل الظلمة فيسهل السلوك، فعلــى هذا كلما كان الشيوخ بين المريد وبين النبي ﷺ أكثر كان استهدائه من أرواحهم أكثر وأتم، ولهذا السر كانت شريعة نبينا ﷺ أسمح وأسهل، إذ بالسهل يوصــل بإعانة أرواح المشايخ والأنبياء، ولا حاجة إلى الصعب كما قال النبي ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة السهلة**[(٢)]»، فإنه كان آخر الأنبياء عليهم الســلام، وكل من أكرمه الله تعالى بالتأسي به وشرفه بكمال متابعته، حظي بأنوار جميــع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) **حديث صحيح**:رواه أبو دواد (٥٥/٤).

(٢) **حديث حسن**: رواه أحمد في المسند (٥٦٦/٥)، والروياني في مسنده (٣١٧/٢)، والطبراني في الكبير (٢٢٢/٨،٢١٦،١٧٠).

الثالث: الخرقة عندهم اسم لجنس الملبوسات كالطواقي، والقلانس، والعمائم، والجباب، والمرقعات، والدلوق، والقمص[1].

قال الشيخ عبس رحمه الله:

حضر عند الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله، وهو يتكلم مع رجل من أهل بيت الشيخ أحمد الرفاعي، وطلب منه لبس الخرقة فلم يوجد إلا مئزر صوف، فعممه الشيخ به، ولا يشترط في الخرقة أن تكون من عند الشيخ، ولا ملكه، ولا من لباسه، بل بركتها المعتبرة وضعها على بدنه كثوب مثلاً، أو أعلى رأسه كطاقية، وعمامة مزدوجة، والمقصود من بركة الشيخ لمسها بيده ووضعها عليه كما عمم النبي ﷺ عبد الله بن عمر ﷺ، وإن كانت من لباس الشيخ فهو أعلا وأفضل والله ينفع في ذلك كله بنية الشيخ لمريده، وبنية المريد في شيخه فبالنية وصدقها من الجانبين انتفع من انتفع وبإخلالها والعياذ بالله طرد من طرد عن الباب، [ق٩٥/ب] وبعد نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الإخلاص وصدق النية.

واعلم أنه ينبغي للمريد إذا شرفه الله بلبس الخرقة من شيخ له أهلية لإلباسها، أن يحتفظ بها ولا يمتهنها باللباس، وليتحرى بلبسها أوقات المناجاة، وطلب الحوائج المهمات، أو في الأعياد والجمعات، مبتغياً بذلك حصول الفرج والبركات، ويوصي أهله أنه إذا مات أن تدفن معه، وقد أوصى معاوية بن أبي سفيان أهله أن يدفن في الثياب التي أعطاه رسول الله ﷺ.

وحكي أن بعض الفقراء أوصى أنه إذا مات أن تدفن خرقة شيخه معه ففعل ذلك، فرآه بعض الصالحين في المنام، فسأله عن أمره؟ فقال: سألني الملكان؟ فقلت لهما: تسألاني وخرقة سيدي فلان معي.

ومن بركتها ما حكي عن جعفر الخلدي أنه قال: دخلت على بعض الشيوخ فأعطاني قلنسوة وجعلها على رأسي، ثم خرجت عن البلد فجزت على أجمة، فخرج علي السباع، فكانوا يقربون مني ويتذللون فتحيرت، ثم رجعت إلى أمري فإذا هم يفعلون ذلك لقلنسوة الشيخ، ولا زال الحكماء وأهل الخير يتبركون بهذه

---

(١) انظر: رسائل في الخرقة، طبع دار الرازي بالأردن.

الخرقة ويتعرفون بركتها، ويفتخرون بلبسها قديماً وحديثاً، وإمامهم في ذلك الشافعي رحمه الله وهو ممن يعد عند صالحي العباد في وقته من الأوتاد، فأكرم بهذه الخرقة إذ كانت علماً للصحبة ووسيلة إلى النسبة، ولذا كان شيخ شيوخ الإسلام في وقته الشيخ شهاب الدين السهروردي يقول: الخرقة عتبة الدخول إلى الصحبة.

وقد يترك الإمام الشافعي بثوب الإمام أحمد بن حنبل بل بما خرج من ثوبه من الماء، وذلك أن الشافعي رحمه الله كتب كتاباً إلى أحمد بن حنبل مع الربيع بن سليمان، قال الربيع: فدخلت بغداد فلقيت أحمد بن حنبل [ق٩٦/أ] في صلاة الصبح، فصليت معه الصبح، فلما انتقل من المحراب سلمت إليه الكتاب، وقلت: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال أحمد: نظرت فيه؟ قلت: لا، فكسر، أبو عبد الله الختم وقرأ الكتاب فغرقت عيناه بالدموع، فقلت: أمر فيه أبا عبد الله قال: يذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السلام، وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجيبهم، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة.

قال الربيع فقلت: البشارة، فخلع علي إحدى قميصيه الذي يلي جلده، ودفعه إلي فأخذته، وخرجت إلى مصر، وأخذت جواب الكتاب فسلمته إلى الشافعي، فقال الشافعي: يا ربيع، أي شيء الذي دفع إليك؟ فقلت: القميص الذي يلي جلده، قال الشافعي: ليس نفجعك فيه، ولكن بُله وادفع إلي الماء حتى أُشركك فيه، وفي رواية ادفع إلي الماء لأتبرك به، رضي الله عنهم.

الرابع: اعلم أن الخرق أربع: خرقة إرادة، وخرقة صحبة، وخرقة بركة، وخرقة رواية، والمعوّل عليها خرقة القدوة اذ هي الأصل في النسبة، وهي التي إذا لبسها من شيخ له أهلية لإلباسها لا يجوز له أن يلبس خرقة أخرى من شيخ آخر بنية القدوة، وأما باقي الخرق [الثلاثة] الصحبة والبركة والرواية، فيجوز أن يلبسها من جماعة عدة.

الخامس: اعلم أن للأب أن يخير ابنه قبل البلوغ على لباس الخرق كلها من نفسه ومن غيره، وكذلك لمُوصَى، إليهم وللعبد أن يلبسها بإذن سيده.

وحكي أن شيخ الإسلام هبة الرحمن بن أبي سعد عبد الوهاب بن الشيخ [ق٩٦/ب] أبي القاسم القشيري قدس الله أرواحهم، وكان من «مُقَيَدمي» هذه الطريقة شرقاً وغرباً أخذ الخرقة من جده أبي القاسم القشيري.

وحُكي أنه في السنة الخامسة قال: أدخلني الحمام، وأقعدني على حجره، وحلق رأسي، ثم لقنني وقال لي قل:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

وقال قل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

السادس: في فائدة التشبه بالقوم والتزين بزيهم.

حُقَّ لهذا اللباس الذي اتخذه أهل التقوى شعارهم ودثارهم أن يتخذه له المرء وقاية وجُنة، وعوذه من مردة الإنس والجنة، واتخاذ أهل التقوى من اللباس هو عمل من مضى من صدر السلف من الناس.

واعلم أن المشايخ الذين اختاروا للمريد تغيير الشكل والهيئة في ابتداء الأمر، وأوائل خوضه في المعاملة، إنما اختاروه لنيات صالحة ولفوائد مهمة:

منها: مفارقة أخدان السوء، ومهاجرة حزب الشيطان وأوليائه، فإن ضرر شياطين الإنس لا يناسب ضرر شياطين الجن، فإنه إذا ظهرت الإرادة في القلب وتحلي القلب بحلية التوبة والإنابة فهو على نور مغلوب مستكن في القلب غريب في ولاية ظلمة الجحود والإنكار، كما قال النبي ﷺ:

«**الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبي للغرباء**[1]» فإن نور الإسلام يبدو غريباً في ولاية ظلمة الجحود والإنكار، فإنه كما أن للإسلام نوراً، وللإيمان نوراً، وللإحسان نوراً، فكذلك للكفر ظلمة، وللنفاق ظلمة، [ق٩٧/أ] وللجحود ظلمة، فإذا كان هذا النور الذي هو سر التوبة مغلوباً، والولاية للظلمة، فيجب على العبد تربية هذا النور، وإزالة هذه الظلمة، وذلك مثل معالجة المرضى، فإن قانون المعالجة إنما يتم بأمرين:

---

(١) **حديث صحيح**: رواه مسلم (١٣٠/١)، والترمذي (١٨/٥)، وابن ماجة (١٣١٩/٢)، والدارمي (٤٠٢/٢)، والشافعي في المسند (٣٧٥).

أحدهما: الاحتماء عن الأشياء المضرة، التي تزيد في نفس المرض.

وثانيهما: التداوي بالأدوية التي تزيل أسباب المرض، فكما أنه لا يتم أمر التداوي إلا بالاحتماء الصادق، فكذلك لا يتم تربية نور الباطن إلا مع إزالة أسباب الظلمة، وأعظم أسباب الظلمة، وأقواها مخالطة الأغيار، ومجالسة أحدان السوء، فإذا ظهر نور الإنابة والإرادة في القلب، ولم يغير الشكل والهيئة لا يفارقه أحدان السوء الذين ليس لهم إطلاع على تغيير الباطن، وإذا خالطوه زادت المخالطة في الظلمة، فيؤدي الأمر إلى اضمحلال نور التوبة والمراجعة إلى ما خرج منه.

ومنها: تقييد ظاهره وتحريضه بها على المعاملات.

حُكي أن رويماً قدس الله روحه، قال اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان، واستسقيت من دار ففتحت صبية بابها ومعها كوز، فلما رأتني قالت: صوفي يشرب الماء بالنهار ورمت بالكوز إلى الأرض فكسر، فما أفطرت بعد ذلك قط، فهذه الإشارة كانت بسبب بركة الخرقة التي عرفته الصبية بها، ولم يكن رويم رحمه الله غيّر يرتدي زي القوم وتصفيتهم حين صادفته الإشارة بلسان الصبية.

ومنها: أن المتشبة تعرض لشيء من أمر القوم، ويوجب له ذلك القرب منهم، والقرب منهم مقدمة كل خير.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردي قدس الله روحيهما يقول: جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ [ق٩٧/ب] أحمد الغزالي ونحن بأصبهان يريد منه الخرقة، فقال له الشيخ: اذهب إلى فلان يشير إلي، حتى يعلمك معني الخرقة، ثم احضر حتى ألبسك الخرقة، قال: فجاء إلي فذكرت له حقوق الخرقة، وما يجب له من رعاية حقها وآداب من يلبسها، ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن أن يلبسها، فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي فاستحضرني، وعاتبني على قولي له ذلك، وقال: بعثته إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخير، فكلمته بما فترت به عزيمته، ثم الذي ذكرته كله صحيح، وهو الذي يجب من حقوق الخرقة، ولكن إذا ألزمنا المبتدئ بذلك نفر وعجز عن القيام به، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه

بالقوم ويتزيّا بزيهم، فيقربه ذلك من مجالستهم ومخالطتهم، وببركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يحب أن يسلك مسلكهم، ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم، وأما من تشبه بظاهر اللبسة والمشاركة في الزي والصورة دون السير والصفة، ولا قصد مقاصدهم فليس بمتشبه بالصوفية؛ لأنه غير محاك لهم بالدخول في بداياتهم، فإذا هو متشبه بالمتشبه يعتزي إلى القوم بمجرد لبسه، ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم والمتشبه بهم والمحب لهم، فالمتشبه بلُبسْةَ القوم، له مقصد صالح، وغير المتشبه له مقصد غير صالح، ولكل وجهة هو موليها، والله يتولى الصالحين ويصلح المعاندين بمنه وكرمه.

السابع: اعلم رحمك الله أن من أراد الله به أن يجعله داعياً إليه، فلابد من إظهاره إلى العباد، إذ لا يكون الدعاء لله إلا لذلك الشخص، فإنه [ق٩٨/أ] يكسوه الحق كسوتين: كسوة الجلالة وكسوة البهاء، وأما الجلالة ليعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه، ويضع له في قلوب العباد هيبة ينصره بها ليكون إذا أمر ونهى مسموع أمره ونهيه، وجعل هذه الهيبة في قلوب العباد من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة، قال الله سبحانه:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ﴾ [الحج:٤١]، وهي من إظهار إعزاز الحق لعبادة المؤمنين قال الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وهذه الهيبة التي جعلها الحق من قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لا نبساط جاه المتبوع عليهم ﷺ ألم تسمع قوله: «**ونصرت بالرعب مسيرة شهر**[1]» ألبسهم الحق ملابس هيبته وأظهر

(١) **حديث صحيح**: رواه البخاري (١٠٨٧/٣)، ومسلم (٣٧٠/١) وأحمد في المسند (٣٧٠/١)، (٢٦٤/٢).

عليهم إجلال عظمته، كلما نزلوا إلى أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية، فهم الملوك، وإن لم تخفق عليهم البنود، والأعزاء، وإن لم تسير أمامهم الجنود.

الكسوة الثانية التي يكسوها الحق لأوليائه إذا أظهرهم كسوة البهاء، وذلك ليحليهم في قلوب عباده، فينظرون إليهم بعين المحبة، فيكون ذلك باعثاً لهم على الانقياد إليهم، ألا ترى كيف قال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام:

﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**﴾ [طه:٣٩]، وقال سبحانه:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾ [مريم:٩٦]

فحلاهم بحلية البهاء ليحبهم العباد، فيجرهم حبهم إلى حب الله، والحب في الله دون الحب من الله لقوله ﷺ:

«**وجبت محبتي للمتحابين في**[1]».

وهي على مراتب أربع: الحب لله، والحب في الله [ق٩٨/ب] والحب بالله والحب من الله.

فالحب لله: أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه، والحب في الله: أن تحب فيه من والاه، والحب بالله: أن يحب العبد من أحبه وما أحبه مقتطعاً عن نفسه وهواه، والحب من الله: أن يأخذك من كل شيء فلا تحب إلا إياه.

وعلامة الحب لله: دوام ذكره مع الحضور، وعلامة الحب في الله: أن تحب من لم يَحْسُنْ لَكَ بدُنياَ من أهل الطاعة والحبور، وعلامة الحب بالله: أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهوراً، وعلامة الحب من الله: أن يجتذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستوراً، قاله الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمة الله في كتابه لطائف المنن.

* * *

---

(١) **حديث صحيح**: رواه أحمد في المسند (٥/٢٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/١٨٦)، وابن حبان (٢/٣٣٥)، والضياء في المختارة (٨/٣٠٦)، وعبد بن حميد في المنتخب (١/٧٢)، والطبراني (٢٠/٨٠).

خاتمة الكتاب

من كلام الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ﷺ[1]

قال أيضاً: اعلم أن من الناس من واجهه الخذلان من الله فأنكر كرامات الأولياء لله أصلاً فنعوذ بالله من هذا المذهب وهو حقيق أن لا يذكر.

ومن الناس فرقة أخرى صدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمنهم، كمعروف، وسري، والجنيد، وأشباههم.

وكذبوا بكرامات أولياء زمنهم، فهم كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام، وكذبوا بمحمد ﷺ لأنهم أدركوا زمنه.

وفرقة أخرى يصدقون بأن في مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لأحد من أهل زمنهم معنياً، فكل من ذكر لهم أنه ولي أو نسبت إليه كرامة دافعوا ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة، المخدوعة بمتابعة الهوى، فأني يجدي عليهم هذا التصديق وجود الاقتداء ولإشراق نور الاهتداء إذ الاقتداء لا يكون بولي مجهول العين في كون الله[2].

وإياك يا أخي أن تكون من [ق٩٩/أ] الواقعين في هذه الطائفة المستهزئين بهم لئلا تسقط من عين الله، وتستوجب المقت من الله، فإن هؤلاء القوم جلسوا

---

(١) هو الشيخ الإمام تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري الشاذلي، صاحب الحكم والتنوير في إسقاط التدبير، ومفتاح الفلاح، ولطائف المنن وتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، بتحقيقنا، توفي سنة ٧٠٩هـ، وانظر: الدرر الكامنة (٢٧٣/١)، وطبقات ابن السبكي (١٧٦/٥)، ولواقح الأنوار للشعراني (٢٧/٢)، ومرآة الجنان (٢٤٦/٤).

(٢) انظر: جامع الأصول في الأولياء لضياء الدين، ونسمات الأسحار في كرمات الأولياء الأخيار للشيخ علوان الحموي، والمفاخر العلية لابن عياد، بتحقيقنا، والحجج البينات للبلخي، والأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للرخاوي، والحدائق الوردية في حقئق أجلاء النقشبندية لعبد المجيد الخاني، والمواهب السرمدية للشيخ محمد أمين الكردي.

مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله، قد سلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلماً بين يديه، تركوا الانتصار لنفوسهم حياء من ربوبيته واكتفاء بقيوميته، فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم، ولقد ابتلى الله هذه الطائفة خصوصاً المعاندين من أهل الإنكار فقلّ أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين، بل يقول: نعم، نعلم أن الأولياء موجودين، ولكن أين هم؟ فلا يذكر له أحد إلا وأخذ يدفع خصوصية الله له، فيطلق اللسان بالاحتجاج عارياً من وجود نور التصديق، فاحذر مَن هذا وصفه، وفر منه فرارك من الأسد.

جعلنا الله وإياك من المصدقين لأوليائه بمنه وكرمه، وهذا ما يسر الله الكريم بذكره في هذا الكتاب من مناقب السادة الأقطاب، أعاد الله علينا من بركتهم، إنه كريم وهاب.

والحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وسبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وكان ذلك على يد العبد الفقير الحقير المعترف بالخطأ والتقصير:

محمد بن أحمد بن محمد البسطامي طريقة الشهير بابن الاطعاني تاب الله عليه توبة نصوحاً، في سادس شهر الله الحرام رجب الأطيب من شهور سنة تسع وتسعين وسبعمائة، أحسن الله [ق٩٩/ب] تقضيها، ونسأل الله خير هذه السنة والتي بعدها ونعوذ به من شرها وشر ما بعدها بالنبي وآله.

[كتب] بالزاوية البسطامية بالحلبة، جعلها الله محط رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بحلب المحروسة حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من الآفات.

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) وتم بحمد الله ومدده التحقيق والمراجعة والتعليق على هذا الكتاب المبارك، السادس من شهر رجب سنة ١٤٢٥هـ بدار الحقيقة المحمدية لتحقيق التراث.

الفهـــــارس

- فهرس الآيات القرآنيـــة.
- فهـــرس الأحـــاديـــث.
- فهـــرس الموضوعـــات.

فهـــرس الآيـــات القرآنيـــة

الآيـــــة | رقم الصفحة

* * *

فهـــرس الأحاديـــث الشريفـــة

طرف الحديث — رقم الصفحة

فهـــرس الموضوعـــات